

الإمام القاضى أبي بكر بن العربي المالكي

٤٦٨ - ٥٤٣

العواصم من القواصم

في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ

حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ حَوَاشِيَهُ
الشيخ محمد الدين الخطيب

خَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
محمود مهدي الاستانبولي

وَتَقَبَّلَهُ وَنَزَادَ فِي تَحْقِيقِهِ وَالْعَلِّيقَ عَلَيْهِ
مركز السنة للبحث العلمي

مَشُورَةُ الْمَكْتَبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ

العواصم من القواصم
في تحقيق مواقف
الصحابة بعد
وفاة النبي ﷺ

الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ

الطبعة السادسة ١٤١٢ هـ

جميع الحقوق محفوظة للناشر
مكتبة السنة لصاحبها شرف الدين محمد عبد الفتاح مجازي



مكتبة السنة
الناشر: شرف الدين محمد عبد الفتاح مجازي

القاهرة ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين « ناصية شارع الجمهورية »
تليفون ٣٩٠٠٣١٨ فاكس ٣٩٠٠٣١٨ توكس ٢١٧١٩ TLTHRB UN
صندوق بريد ١٢٨٩ القاهرة

مفتاح رموز التحقيق

ج = نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية ، تحت رقم « ٤٢٦٥٤ »

ز = نسخة ثانية مخطوطة في دار الكتب المصرية ، تحت رقم « ٦٢١ »
عقائد تيمور •

د = نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية ، تحت رقم « ٢٢٠٣١ ب »

ب = النسخة المطبوعة التي نشرها الشيخ عبد الحميد بن باديس
رحمه الله ، في قسنطينة ، الجزائر الجزء الأول سنة ١٩٢٧ •

الجزء الثاني سنة ١٩٢٨

وكان قد نشرها اعتماداً على مخطوطة واحدة توجد بجامع الزيتونة ،
بتونس فيها بياض وخروم في بعض المواطن ، وقد اجتهد في قراءة النص
اجتهاداً جيداً ، وحاول أن يحافظ على النص كما هو (١) •

✽ والجدير بالذكر أن العلامة الشيخ محب الدين الخطيب نشر هذا
الكتاب اعتماداً على طبعة الشيخ ابن باديس سالفة الذكر ، دون غيرها كما
نص على ذلك في مقدمة كتابه (٢) ، ولم يعتمد على آية مخطوطة أخرى •

وهذا ما جعله يتصرف في بعض النصوص ، فيقدم ويؤخر على حسب
ما أداه اليه اجتهاده ، وخاصة في التهم التي وجهها الخوارج ••• ، وتصرف
في بعض التراكيب والكلمات ، وقد أشرنا الى أغلب ذلك في هوامش الكتاب •

س = المكتب السلفي لتحقيق التراث •

خ = محب الدين الخطيب رحمه الله •

م = محمود مهدي الاستانبولي •

(١) آراء أبي بكر بن العربي الكلامية - الجزء الأول - صفحة ٢٩٠ •

(٢) العواصم من القواصم - مقدمة المحقق ، صفحة ٨ •

بسم الله الرحمن الرحيم

التقدمة

بقلم : الدكتور محمد جميل غازي

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ،
وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له • وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله •

* * *

الثقافة الاسلامية بين الأصيل والدخيل

— ١ —

الاسلام دين صاغ « دائرة معارف » هائلة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً !
وقد انبثق من هذه الدائرة العديد من العلوم والفنون والمؤلفات بل و ••
« دوائر المعارف » أيضاً ! ••

وظلت البشرية منذ أن ابتدأت هذه الدائرة ترسل أضواءها الأولى بدءاً
من « اقرأ باسم ربك الذي خلق » تعب من هذا الرقيق المختوم ، وترتوي
من هذا المعين الصافي ، وتتزود من هذا الزاد الذي لا ينفد ••• !

بحيث يحق لنا أن نقول : ان « دائرة المعارف الاسلامية » التي وضع
لبنائها الأولى « الرسول الخاتم محمد بن عبد الله ، عليه صلوات الله » بوحى

من الله ، ومدد من هداة ! ظلت .. وستظل المصدر الأول لكل ثقافة ،
والمرجع الأساسى لكل علم ، والمحرك العظيم لأى حضارة ..
أقر بهذا من أقر ، وجهله من جهله ، وأنكره من أنكر ! ..

* * *

وموسوعة الثقافة الاسلامية - هذه - وسعت بين دفتها عقولا ،
وأماً ، ومدارس ، واتجاهات ... وصاغت كل أولئك صياغة اسلامية
موفقة وباهرة !

ولم يكن بناء هذه الحضارة ودعاتها وأساتذتها من العرب وحدهم ،
بصفتهم هم أول من تلقى الوحي ، وآمن به !

وانما - شارك - فى إثراء هذه الحضارة الفكرية أجيال من المفكرين
والعلماء والأئمة المذكورون ومسطورون فى أعز وأعلى صفحات الفكر
الاسلامى والانسانى ! ..

ان « الحضارة الفكرية الاسلامية » لم تكن ، ولن تكون ملكاً لأمة
من الأمم ، أو دولة من الدول ، أو جيل من الأجيال ! بحيث يحق لأى فرد
أو جماعة أن يحتفظ لنفسه أو لأئمة بحقوق التأليف والنشر والتصرف !

لأن هذه الثقافة .. ثقافة مرتبطة بالوحي الذى أنزله الله ، لهداية البشر،
كل البشر ! ..

— ٢ —

وكانت السمة الغالية على هذه الثقافة ... الحرية ، والاجتهاد ،
والاختيار ... وتلك ميزات نعرفها للثقافة التى تتفاعل مع الانسان ، كل
انسان ، وتتعامل مع الزمان ، كل زمان ، وتنداح حتى تستوعب المكان كل
مكان !

وظل باب الاجتهاد - فى هذه الثقافة - مفتوحاً ، على كل مصاريعه ليقول
كلمة الحق فى كل ما يعترى « المسيرة البشرية » من مشكلات وتطلعات
وارتباطات ! ..

وينبغي لنا ، ويجمل بنا ، أن نتوقف عند هذه النقطة من هذه المقدمة لنقول :

ان ثراء الثقافة الاسلامية ...

وان باب الاجتهاد المفتوح على مضاريعه فيها ...

وان ترحيها المستمر بكل الأمم والشعوب ...

ان كل أولئك كان مدخلا تسلت منه رواسب ثقافات ، وبقايا اعتقادات ومزيج من الخرافات التي لا تتفق مع الاسلام في الشكل أو في الموضوع !
أرأيت الى النهر العظيم ، وهو يهدر في مجراه ... وينساب قوياً عظيماً ليروي الظماء من البشر والحيوان والطيور والقفار ... !

أرأيت الى هذا المنهل العذب وعطائه العظيم ...

كذلك ... نهر الثقافة الاسلامية ...

ثم ...

أرأيت الى ما يعلق بهذا النهر من غناء ... ونباتات طفيلية ... وجنادل وصخور فائقة من شطآنه ... أو ملقاة في سبيل مده الهادر !

كذلك ... نهر الثقافة الاسلامية .

واذا كان كل نهر في حاجة الى من يطهر مجراه .. ويعمقه .. ويزيل ما علق بمجراه ، من كل ما يعوق تدفقه واندفاعه فكذلك الاسلام ... وهذا هو دور المجددين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

[ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر

دينها] ..

وكلمة [من] لا تعنى مجدداً واحداً ... بل تعنى عشرات ، ومئات ، وألوف المجددين ... على « طول » الزمان .. و « عرض » المكان !

والتجديد يكون [لأمر الدين] لا للدين نفسه !
وأمر الدين كله تتسع لتشمل كل المعارف التي فجرها هذا الدين ،
سواء أكانت في أصول الدين ، أم أصول الفقه ، أم أصول الدنيا ...



ان الأمم الكثيرة والاملاء التي لا تكاد تنتهى حصراً واستقصاء من
الداخلين في هذا الدين .. قد جروا معهم عن قصد أو عن غير قصد ، بحسن
نية أو بسوء نية ... مجموعة من الأفكار ، والاتجاهات ، والمأثورات
الشعبية ، والأساطير القومية ، والاتجاهات السياسية ، والانتماءات
الحزبية ...

وكل ذلك — وغيره كثير — شكل ركائماً من الدخيل الذى ألصق
بالثقافة الاسلامية الصاقاً ... ومثل من نسميه بالخرافات والبدع
والأقاصيص .. !



ولقد كان المجال التاريخى — ولا زال ، وسيظل — معبراً للتصورات
الباهتة ، والروايات الموضوعة ، التي تؤيد حزباً ضد حزب ، وتعين فريقاً
على فريق ! ان « الرواية التاريخية » أصبحت على لسان المحاربين كالسيف
الذى فى أيديهم يقتلون بها ... ! ويشيرون القلائل فى صفوف أعدائهم ! ..
واذا كانت « الحرب الباردة » تعتمد على « الاشاعة » و « الأكاذيب »
.. فان « الاشاعة » و « الأكاذيب » تحولت الى روايات تاريخية .. بل الى
روايات حديثة .. يضعها الوضعاء ، ثم يرفقونها بلا خوف ولا خجل
الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو يققونها بلا حياء ولا استخزاء عند
صحابته رضوان الله عليهم .. !



وان الله الذى تعهد بحفظ « ذكره » و « وحيه » قيض لهذه الثقافة
من ينقى عنها الخبث والعبث والضلال والتضليل والزيف والدخيل ...

وما هذا الكتاب الذى تقدمه للناس اليوم الا واحد من هذه « الأعمال
الجليلة » التى قام بها « علماء أجلاء » ينافحون بها عن دين الله ، ويبعدون
بها الخرافة والضلالة عن كواه .

ومؤلف هذا الكتاب هو الامام الحجة الثبت محمد بن عبد الله بن محمد
ابن عبد الله بن أحمد المعافى الأشبلى المعروف بالقاضى أبى بكر بن العربى،
ولد فى ٢٢ شعبان سنة (٤٦٨ هـ) وتوفى فى ربيع الأول سنة (٥٤٣ هـ) .

— ٦ —

* والعواصم من القواصم « مؤلف عظيم للقاضى أبى بكر بن العربى
نشره الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة (١٣٤٧ هـ) فى جزئين
وذلك عن مخطوطة جامع الزيتونة بتونس وبالمخطوطة خروم وسقطات وتقديم
وتأخير ، ولعل ذلك من الناسخ .

* أخذ منه الشيخ محب الدين الخطيب قسماً من الجزء الثانى منه
ابتداء من صفحة (٩٨) الى صفحة (١٩٣) ونشره معتمداً على هذه
المطبوعة فقط ولم يلتفت الى أى مخطوطة أخرى (٣) . وسماء :

« العواصم من القواصم » . .

فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .
وذلك للمرة الأولى سنة (١٣٧١ هـ) ثم توالى الطباعات عن هذه
الطبعة نفسها .

* نشر الكتاب بعد ذلك كاملاً فى قسمين الاستاذ الدكتور « عمار
طالبى » الاستاذ بكلية الآداب جامعة الجزائر ورئيس قسم الفلسفة آنذاك .
— القسم الأول : دراسة لآراء أبى بكر بن العربى الكلامية ونقده
للفلسفة اليونانية .

(٣) انظر مقدمته للكتاب — صفحة ٨ .

— القسم الثانى : النص الكامل والصحيح للمرة الأولى لكتاب :
« العواصم من القواصم » •

* نشر الأستاذ محمود مهدي الاستانبولى (حفظه الله) — طبعة الشيخ
محب الدين الخطيب نفسها محتفظاً بتعليقات الشيخ الخطيب كاملة الا أنه
زاد عليه فى التعليق فقط فى اثبات بعض التحقيقات الحديثية والتاريخية •

— ٧ —

وما قام به الاخوة — الكرام — فى المكتب السلفى لتحقيق التراث (٤)
هو :

● المقابلة على مخطوطات ثلاث كلها فى دار الكتب المصرية :

١ — الأولى برقم ٢٢٠٣١ ب

٢ — الثانية برقم ٦٢١ عقائد تيمور •

٣ — الثالثة برقم ٤ ش علم الكلام •

واثبات ما رأوه صحيحاً بين قوسين [—] •

● حذف التعليقات التى بناها الشيخ الخطيب على أخطاء مطبوعة
الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس •

مع الاحتفاظ بكل التعليقات الأخرى ، وقليل ما حذفوا •

● عمل ترجمة للإمام القاضى أبى بكر بن العربى وكتبه •

● زيادة تخريج وتحقيق الأحاديث النبوية • وان كان صديقنا العلامة

(٤) هو هيئة علمية تتكون من خيرة متخصصة فى تحقيق التراث (وهى
تابعة لدار الكتب السلفية) تقوم بنشر النادر والتمين من تراثنا الاسلامى •
وقد أخذت على عاتقها إعادة نشر كتب التراث التى لم تأخذ حقها من
التحقيق أو نشرت بدون الاعتماد على مخطوطات موثقة ، كذا اعداد الفهارس
لتيسير البحث والاستفادة لطلاب العلم — والله الموفق وهو وحده المستعان •

محمود مهدي الاستانبولي - حفظه الله - قد قام بذلك ولكن صدق من قال « كم ترك الأول للآخر !! » .

وكذلك قد أثبتوا جميع الفوائد التي كتبها الشيخ محمود مهدي في نشرته .

● توثيق نص الكتاب بالاعتماد على المخطوطات سألقة الذكر . دون أخطاء .

● اضافة بعض التعليقات التي اقتضاها الموضوع .

* * *

وانني اذ أقدم هذا الكتاب العظيم ، لذلك المؤلف العظيم ، لا يسعني الا أن أسجل هنا كلمة تحية وتقدير للشاب السلفي الغيور الأستاذ شرف حجازي : الذي قام باخراج هذا الكتاب ومتابعة العمل فيه ، على هذا النحو الجيد . .

وان كنت لا أنسى أن أسجل له - أعزه الله ووفقه - جهوده الكبيرة والكريمة في سبيل اخراج كثير من كتب التراث النافعة ، بهذا الاخراج الطيب .

فجزاه الله عن العلم وأهله خير الجزاء .

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك . .

الزيتون في ٣ من شهر جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ . .

الدكتور محمد جليل غباري

رئيس المركز الاسلامي العام لبعثة التوحيد والسنة

ترجمة القاضي ابي بكر بن العربي

٤٦٨ — ٥٤٣ هـ

اسمه ونسبه :

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأشبيلي المالكي .

ولد في ٢٢ شعبان سنة (٤٦٨ هـ) (٣١ مارس ١٠٧٦ م) بمدينة اشبيلية ، في أحضان أسرة كانت لها حظوة لدى المعتمد بن عباد في عصر دول الطوائف .

* * *

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

— قال الشيخ صديق حسن خان في (التاج المكلل / ٣٨٠ / ٣٠٨) :
امام في الأصول والفروع ، سمع ودرس الفقه والأصول وجلس للوعظ والتفسير ، وصنف في غير فن ، والتزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى أودى في ذلك بذهاب كتبه وماله فأحسن الصبر على ذلك كله . ١ هـ .

— وقال الشيخ العلامة أحمد بن محمد الشهير بالمقرئ من كتابه « فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » : علم الأعلام ، الطاهر الأثواب ، الباهر الأبواب ، الذي أنسى ذكاء اياس ، وترك التقليد للقياس ؛ وأنتج الفرع من الأصل ، وغدا في الاسلام أمضى من النصل « ١ هـ من التاج المكلل .

* * *

فوائد منقولة عنه :

١ — قوله : قال علماء الحديث — ما من رجل يطلب الحديث الا كان على وجه نضرة ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها ... » الحديث .

قال : وهذا دعاء منه صلى الله عليه وسلم لحملة علمه ، ولا بد بفضل الله تعالى من نيل بركته » .



٢ - ومنها أيضاً :

قوله : تذاكرت بالمسجد الأقصى مع شيخنا أبي بكر الفهرى حديث أبي ثعلبة المرفوع « ان من ورائكم أياماً للعامل فيها أجر خسين منكم ، فقالوا : منهم ؟ فقال : بل منكم ، لأنكم تجدون على الخير أعواناً ، وهم لا يجدون عليه أعواناً ، وتفاوضنا كيف يكون أجر من يأتى من الأمة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الاسلام وعضدوا الدين ، وأقاموا المنار ، واقتحموا الأمصار ، وحموا البيضة ، ومهدوا الملة » .

وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح في البخارى : « لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهباً ما بلغ أحدهم ولا نصيفه » فتراجعنا القول وتحصل ما أوضحناه في شرح الصحيح .. وخلاصته أن الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها أحد ، ولا يدانيهم فيها بشر ، وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها في الأجر من أخلص اخلاصهم ، وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين ، والاسلام وهو أيضاً انتهاؤه ؛ وقد كان قليلاً في ابتداء الاسلام صعب المرام لغلبة الكفار على الحق ؟ وفي آخر الزمان أيضاً يعود كذلك لوعد الصادق صلى الله عليه وسلم فساد الزمان وظهور الفتن وغلبة الباطل واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق ؛ وركوب من يأتى من سنن من مضى من أهل الكتاب كما قال صلى الله عليه وسلم :

« لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغريباء » [رواه مسلم] .

فلا بد والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الاسلام الى واحد كما بدأ من واحد ، ويضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى اذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف وباع نفسه من الله تعالى في الدعاء اليه كان له من الأجر أضعاف ما كان لمن كان متمكناً منه معاناً عليه بكثرة الدعاة الى الله تعالى ، وذلك قوله لأنكم تجدون على الخير أعواناً وهم لا يجدون عليه أعواناً حتى ينقطع ذلك انقطاعاً تاماً - لضعف الدين وقلة اليقين .

كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » . رواه مسلم - يروى برفع الهاء ونصبها ؛ فالرفع على معنى لا يبقى موحد يذكر الله عز وجل ؛ والنصب على معنى لا يبقى أمر بمعروف ونه عن منكر - .



٣ - ومن فوائده أيضاً :

أنه قال : كنت بمجلس الوزير العادل أبي منصور بن جهير ؛ فقرأ القارئ : « تحيتهم يوم يلقونه سلام » وكنت بظهر أبي الوفاء بن عقيل امام الحنبلية - بمدينة السلام - وكان معتزلي الأصول ، فلما سمعت الآية - قلت لصاحب لي كان يجلس على يساري - هذه الآية دليل على رؤية الله تعالى في الآخرة ، فان العرب لا تقول لقيت فلاناً الا اذا رأيته ، فصرف أبو الوفاء وجهه مسرعاً الينا ؟ وقال : ينتصر لمذهب الاعتزال في أن الله لا يرى في الآخرة ، فقد قال تعالى : « فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه » وعندك ان المنافقين لا يرون الله تعالى في الآخرة ؛ وقد شرحنا وجه الآية في « المشكلين » وتقدير الآية : فأعقبهم هو نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه ، فيحتمل ضمير - يلقونه - أن يعود الى ضمير الفاعل - في أعقبهم - المقدر بقولنا - هو - ويحتمل أن يعود الى النفاق مجازاً على تقدير الجزاء « اهـ » .



٤ - ومن فوائده أيضاً :

قوله : انه كان بمدينة السلام امام من الصوفية وأى امام يعرف
بابن عطاء ؛ فتكلم يوماً على يوسف وأخبره حتى ذكر تبرئته مما نسب اليه
من مكروه ، فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالحليقة من كل طائفة
فقال يا شيخ يا سيدنا ! فاذن يوسف هم وماتم !! - فقال نعم - لأن العناية
من ثم ! فانظروا الى حلاوة العالم والمتعلم ، وفطنة العامى فى سؤاله والعالم
فى اختصاره واستيفائه .

ولذا قال علماءنا الصوفية ان فائدة قوله تعالى : « فلما بلغ أشده آتيناه
حكماً وعلماً » ان الله أعطاه العلم والحكمة أيام غلبة الشهوة لتكون سبباً
للعصمة . اهـ .

٥ - ومنها قوله :

كنت بمكة مقيماً فى سنة ٤٨٩ ، وكنت أشرب من ماء زمزم كثيراً وكلمنا
شربته نويت العلم والايمان ؛ ففتح الله لى بركته فى المقدار الذى يسره لى
من العلم ؛ ونسيت أن أشربه للعمل ، ويا ليتنى شربته لهما حتى يفتح الله لى
فيهما ولم يقدر فكان صفوى للعلم أكثر منه للعمل ، وأسأل الله الحفظ
والتوفيق برحمته .

٦ - ومنها قوله :

حكاية عن الجوهري : أنه كان يقول : اذ أمسكت علاقة الميزان بالابهام
والسبابة وارتفعت سائر الأصابع كان شكلها مقروءاً بقولك « الله » فكأنها
اشارة منه سبحانه لتيسير الوزن الى أن الله سبحانه مطلع عليك فأعدل فى
وزنك . اهـ .

مؤلفاته

للامام القاضي أبي بكر ابن العربي مؤلفات كثيرة لم يصلنا أغلبها ، وقد قضى أربعين سنة في الاملاء والتدريس ، وفي بث ما حصله من العلوم ، ونستطيع أن نصنف أسماء مصنفااته حسب موضوعاتها •

أما التصنيف حسب تاريخ تأليفها فمن الصعب القيام به ، لأنه يحيل الى كتبه في أماكن كثيرة من مصنفااته مما يدل على أنه يملأ في وقت واحد عدة كتب وأنه لا يقتصر على كتاب واحد حتى يفرغ منه ، ثم يبدأ في غيره (٥) •

(٢) علوم القرآن :

١ - احكام القرآن :

لا شك في نسبة هذا الكتاب الى أبي بكر بن العربي لأنه قد ذكره في كتابه « شرح صحيح الترمذي » المسمى بـ « عارضة الأهودى » •

• (ج ١ ص ٥١ ، ٥٩ ، ١١٦ ، ١٢٤ ، ٢٠٤) •

• وذكره في (سراج المريدين) (ورقة ٢٣٧) •

ونسبه اليه تلميذه أبو بكر بن خير الأشبيلي في فهرست ما رواه عن شيوخه •

• (ط • سرقسطة ١٨٩٣ ، ص ٥٤) •

• ونسبه اليه ابن فرحون في (الديباج ص ٢٨١) •

٢ - انوار الفجر :

هو أعظم كتاب له ، كان كثيراً ما يفتخر به ، ويشيد بأهميته في مختلف

(٥) آراء أبي بكر بن العربي الكلامية - د. عمار طالبى (ج ١ / ٦٥) •

كتبه ، ذكر أنه ألفه في مدة عشرين عاما ، وأن به ثمانين ألف ورقة • ولم يصل إلينا شيء منه فيما نعلم ^(٦) •

• وذكره المقرئ في نفح الطيب (ج ٢ ص ٢٤٢) •

٣ - قانون التأويل :

ذكر أبو بكر بن العربي أنه ألفه في سنة ثلاث وثلاثين وخمسة وصرح بذلك في مقدمة كتابه (عارضة الأحوذى) (ج ١ ص ٤٩) •

• وذكره المقرئ في نفح الطيب (ج ٢ ص ٢٤٢) •

٤ - النسخ والنسوخ :

ذكره في كتابه سراج المريدين (ورقة ٢٣٧) وتحدث عنه في عدة مواضع من « أحكام القرآن » وذكره ابن خير والمقرئ • وابن فرحون في الديباج (ص ٢٨٢) •

٥ - المقتبس في القراءات :

نسبه إليه حاجي خليفة في « كشف الظنون » [٤٩٩/٢] ^(٧) •



(٦) آراء أبي بكر بن العربي الكلامية (ج ١ ص ٦٧) . د. عمار طابى .

(٧) آراء أبي بكر بن العربي الكلامية (ج ١ ص ٦٩) .

(ب) الحديث :

١ - عارضة الأحوذى فى شرح الترمذى :

ذكره بهذا العنوان ابن خلكان فى وفيات الأعيان (ط • محى الدين عبد الحميد ، القاهرة / ٤٠٣٤ / ٣) وسماه المؤلف فى كتابه « سراج المريدين » (ورقة ٢٣٧) بشرح الترمذى •
وذكره المقرئ فى (تفح الطيب) [٢٤٢ / ٢] •
وطبع الكتاب فى ثلاثة عشر مجلدا •

٢ - شرح الحديث :

ذكر المؤلف هذا الكتاب فى أحكام القرآن فى ثلاثة مواضع ويحتمل أن يكون هو نفس كتاب شرح صحيح الترمذى •

٣ - كتاب النيرين فى الصحيحين :

وسماه أحيانا شرح الصحيحين كما فعل فى كتابه « أحكام القرآن » وذكره فى كتابه العواصم من القواصم •
واقصر أحيانا على تسميته « بالنيرين » كما فعل فى كتابه عارضة الأحوذى (١٠ / ٢٢) •

٤ - مختصر النيرين :

ذكره فى شرح صحيح الترمذى (١٠ / ٢٢) •

٥ - الأحاديث المسلسلات :

نسبه اليه أبو بكر بن خير الأشيبلى فى فهرست ما رواه عن شيوخه (ص ١٧٥) وأخذه عنه ، وذكره المقرئ فى تفح الطيب (٢٤٢ / ٢) •

٦ - الأحاديث السبعيات :

نسبه اليه أبو بكر بن خير الانبيلى ودرسه عليه (ص ١٧٥) وذكره
أيضاً المقرئ في نفح الطيب (٢٤٢/٢) .

٧ - شرح حديث أم زرع :

نسبة اليه المقرئ (نفح الطيب ، ٢٤٢/٢)

٨ - شرح حديث الافك :

نسبة اليه المقرئ (نفح الطيب ، ٢٤٢/٢)

٩ - شرح حديث جابر في الشفاعة :

نسبة اليه المقرئ (نفح الطيب ، ٢٤٢/٢)

١٠ - الكلام على مشكل حديث السبعات والحجاب :

ذكره المقرئ (نفح الطيب ، ٢٤٢ / ٢) .

١١ - كتاب مصافحة البخارى ومسلم :

أخذه عنه أبو بكر الأشبيلى (ص ١٦٦ فى فهرسته) .

* * *

(ج) مشكل القرآن والحديث :

يدخل تحت هذا القسم كتاب واحد هو كتاب « المشكلين » ذكره فى
« أحكام القرآن » ونص عليه فى « عارضة الأخوذى » [٢٧٥/١١] .

* * *

(د) اصول الدين او علم الكلام :

١ - العواصم من القواصم :

وهو كتابنا هذا .

— وقد أشار المؤلف نفسه الى كتابه في عدة كتب من تأليفه كسراج
المريدين وعارضة الأخوذى (٢٥٥/١٣) ، (٢٢٩/١٣) .

— ونسبه اليه المقرئ في نفح الطيب (٢٤٢/٢)

— وابن فرحون في الدياج (ص ١٢١)

— والشاطبي في الاعتصام [١٩٤/١ ، ٢٠٢ ، ٣١٦ ، ٣٤٣ ، ج ٣/ ١٥٤]

— والذهبي في تذكرة الحفاظ (ج ٣ / ٣٢٤ ، ٣٢٥) .

٢ - النواهي والنواهي :

ذكره في كتبه كأحكام القرآن والعواصم من القواصم .

ونسبه اليه المقرئ (نفح الطيب ، ٢٤٢/٢) .

وذكره حاجي خليفة [كشف الظنون ، ج ١ / ٤٩٦]

٣ - رسالة الفرة :

ذكرها المؤلف في العواصم من القواصم وبين أنه كتبها ردأ على رسالة

لابن حزم تسمى « رسالة الدرة في الاعتقاد » .

(العواصم من القواصم ص ٢٦٦ — طبعة د. عمار طالبى) .

٤ - الامد الاقصى باسماء الله الحسنى وصفاته العليا :

نوه بكتابه هذا في عدة مواضع من مصنفاته كشرح الترمذى وأحكام

القرآن .

ونسبه المقرئ في نفح الطيب اليه (٢٤٢/٢) .

قال الدكتور عمار طالبى — حفظه الله :

وقد عثرنا على الكتاب مخطوطاً في خزانة الوثائق بالرباط سنة ١٩٦٧ ووقفنا عليه ، وهو يقع تحت رقم (ق ٤) .

٥ - كتاب المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد ، والرد على من خالف السنة ، وذوى البدع والالحاد :

ذكره في كتابه « عارضة الأحوذى ، ١٢ / ١١٨ » .

ذكره أبو بكر بن خير الأشيلى في فهرست ما رواه عن شيوخه (ص ٢٥٩) ونسبه اليه المقرئ في تفح الطيب (٢ / ٢٤٢) .

٦ - كتاب المقسط في شرح المتوسط :

ذكره في كتابه « أحكام القرآن » ونص عليه في غير ما كتاب من مؤلفاته .

ونسبه اليه أبو بكر بن خير في فهرست ما رواه عن شيوخه (ص ٢٥٨)

٧ - نزهة المناظر وتحفة الخواطر :

وسماه أحيانا « نزهة المناظر وتحف الخواطر » ، ذكره في العواصم من القواصم (ص ٧) [من طبعة د. عمار طالبى] ولم يذكره المقرئ ولا ابن خير .

* * *

(هـ) كتب الزهد :

١ - سراج المريدين في سبيل المهتدين كاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات الدينية والدنيوية ، بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية :

هو الكتاب الذى سماه « القسم الرابع من علوم القرآن في التذكير » ذكره مؤلفه في كتابه : [شرح صحيح الترمذى (عارضة الأحوذى ، ١ / ٢٨) وحاجى خليفة [كشف الظنون / ٢ / ٢٣] نقلا عن تذكرة القرطبى .

ونسبه اليه ابن فرحون [الديباج المذهب / ٢٨٢] .

وذكره ابن الحاج العبدري (٧٣٧ هـ) في كتابه مدخل الشرع ، البابى
الحلبى ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ج ٤ ، ص ٣٠١ .

ويوجد هذا الكتاب كاملاً مصوراً فى دار الكتب المصرية تحت رقم
(٢٠٣٤٨ ب) وهو مأخوذ عن نسخة الشيخ أحمد بن الصديق الغمارى
المغربى .

وتوجد نسخة أخرى منه فى مكتبة الكتانى بخط أندلسى واضح .

٢ - سراج المهتدين :

نسبه اليه ابن فرحون (الديباج ص ٢٨٢) .

والمقرى فى نفح الطيب (٢٤٢/١) .

٣ - مراقى الزلفى :

نسبه اليه العبدري فى [مدخل الشرع ج ١ / ١١٩ ، ٦٦ ، ج ٢ / ١٢٣ ،

١٢٥ ، ج ٤ / ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥] .

والمقرى فى نفح الطيب (٢٤٢/٢) .

٤ - كتاب العقد الاكبر للقلب الاصفر :

نسبه اليه المقرى (نفح الطيب / ٢٤٢/٢) .

٥ - تفصيل التفصيل بين التحميد والتهليل :

ذكره المقرى فى نفح الطيب ج ٢ ص ٢٤٢ .

* * *

(و) اصول الفقه :

١ - كتاب المحصول فى اصول الفقه :

أشار اليه المؤلف فى أحكام القرآن .

• وابن فرحون في الديباج المذهب (ص ٢٩٢) •

• والمقرئ في نفح الطيب (٢/٢٤٢) •

٢ - كتاب التمهيد :

ذكره المؤلف في أحكام القرآن ، وفي العواصم من القواصم [٢٤ من طبعة د. عمار طالبي] وذكره في سراج المريدن (ورقه ١٣٨) •

* * *

(ز) كتب الفقه (الفروع) :

١ - المسالك في شرح موطأ الامام مالك :

بنى هذا الكتاب على أساس المسائل الفقهية فهو كتاب حديث وفقه في آن واحد ، ولكن اخترنا أن نعتبره من كتب الفقه لاهتمام أبي بكر بن العربي في شرحه بمسائل الفقه ، ولعارضته فيه للظاهرية ، ونقده لها أعنف النقد فيما يتعلق بالرأي عند الامام مالك (٨) •

• نسبه اليه ابن فرحون (الديباج ص ٢٨٢) •

• والمقرئ في نفح الطيب (ج ٢ ص ٢٤٢) وسماه « ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك » •

وتوجد من هذا الكتاب نسختان الأولى في المكتبة الوطنية بالجزائر (رقم ٤٢٥) ، والثانية في خزانة جامعة القرويين بفاس تحت رقم (١٨٠) وتاريخ نسخها ٧١١ هـ •

٢ - القبس على موطأ مالك بن أنس :

نسبه اليه أبو بكر بن خير وسماه (القبس من شرح مالك بن أنس) فهرست ما رواه عن شيوخه ص ٨٨ •

• وذكره المقرئ (نفح الطيب ج ١ ، ص ٢٤٢) •

(٨) د. عمار طالبي . آراء أبي بكر بن العربي الكلامية (ج ١ ص ٧٨) •

• وابن فرحون (الديباج ص ٢٨٢)

• ويوجد للكتاب سبعة نسخ متفرقة في مكتبات الجزائر والمغرب وتركيا .
• انظر مجلة معهد المخطوطات العربية (مجلد ٥ ص ١٧٦ ، ١٩٢)

٣ - شرح غريب الرسالة :

وهو شرح للألفاظ اللغوية والفقهية الغريبة من رسالة ابن أبي زيد القيرواني المالكي ٣٨٩ هـ .

• نسبه اليه المقرئ (نفح الطيب ج ٢ ص ٢٤٢)

٤ - تبين الصحيح في تعيين الذبيح :

• نسبه اليه المقرئ في نفح الطيب ج ١ ص ٢٤٢

٥ - كتاب ستر العورة :

ذكره المقرئ في نفح الطيب ج ٢ ص ٢٤٢

٦ - كتاب التقصى :

ويبدو أنه في الفقه لاشارة المؤلف اليه في أحكام القرآن بصدد مسألة في الوضوء .

٧ - تخطيط التخليص :

ذكره مؤلفه في كتابه أحكام القرآن وأحال اليه في مسألة قصر الصلاة والنية في الأحرام وابن فرحون (الديباج ٣٨٣)

• والمقرئ (نفح الطيب ج ٢ ص ٢٤٢)

٨ - تخطيط الطريقتين :

ذكره في كتابه أحكام القرآن ، ويبدو أنه كتاب في الفقه لأنه أحال اليه في مسألة فقهية تتعلق بالتسمية في الذبح .

(ج) الجدل والخلافات :

١ - الكافي في ان لا دليل على النافي :

• نسبه اليه المقرئ (تفح الطيب ، ج ٢ ص ٢٤٢)

٢ - الانصاف في مسائل الخلاف :

يقع هذا الكتاب في عشرين مجلدا ، أشار اليه مؤلفه في بعض مصنفاته

وسماه « كتاب المسائل » [عارضة الأخوذى / ١ / ٦٥]

• ونسبه اليه المقرئ (تفح الطيب / ٢ / ٢٤٢)

• وحاجي خليفة (١ / ١٦٠) من كشف الظنون

* * *

(ط) اللغة والنحو :

١ - رسالة له في النحو واللغة أطلق عليها « ملجئة المتفهمين » الى مصرفة غوامض النحويين ، واللغويين :

ذكرها أبو بكر بن العربي في عدة مواضع من كتبه ، في أحكام القرآن

وفي شرح الترمذى (عارضة الأخوذى / ١ / ١٤٤)

• ونسبها اليه المقرئ في تفح الطيب ٢ / ٢٤٢

٢ - رده على ابن السيد البطليوسى :

رد أبو بكر بن العربي على أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسى

(٥٣١ هـ) في شرحه على ديوان أبي العلاء المعرى المسمى بلزوم مالا يلزم

ورد ابن السيد على رد أبي بكر بن العربي بكتاب سماه (الانتصار عن

عدل عن الاستبصار)

وقد نسب هذا الرد الى أبي بكر بن العربي تلميذه أبو بكر بن خير

الأشيلي (فهرست ما رواه عن شيوخه ص ٤١٩)

(ي) تاريخ :

١ - ترتيب الرحلة للترغيب في الملة :

- ذكره مؤلفه في كتابه سراج المريدين ، ورقة ٩٧ .
- وفي العواصم من القواصم (ص ٤٣ من طبعة د. عمار طالبي) .
- ونسبه اليه المقرئ (فتح الطبيب ج ٢ ص ٢٤٢) .

٢ - اعيان الاعيان :

- نسبه اليه المقرئ (فتح الطبيب ، ج ٢ ، ص ٢٤٢) .

٣ - فهرست شيوخه :

ألف أبو بكر بن العربي كتاباً ترجم فيه لشيوخه ، سماه تلميذه أبو بكر ابن خير الأشبيلي « بكتاب فيه جملة من شيوخ الحافظ أبي بكر بن العربي » وذكر أنهم واحد وأربعون رجلاً خرج عن كل واحد منهم حديثاً ، وأنه قرأه عليه (فهرست ما رواه عن شيوخه ص ١٦٦) .



* وأخيراً فإن أبا بكر ذكر أن له كتاباً يسمى « بالأمالى » ذكر ذلك في كتاب « سراج المريدين - ورقة ٩٧ » .

وذكره أيضاً في كتاب « العواصم من القواصم » [ص ١٧٦ من طبعة د. عمار طالبي] وان كان ذكره له في العواصم قرن به « أنوار الفجر » وأغلب الظن أنه ليس كتاباً مستقلاً وإنما هو عبارة عن أماليه عامة بما في ذلك أغلب كتبه التي كان يملئها .

* وذكر أبو بكر بن العربي أن له كتاباً سماه « بالعوض المحمود » غير أن هذا الكتاب محير لا نعرف أين نضعه غير أنه أشار الى أنه تحدث فيه عن مسألة الرؤيا وبين اسم جزء من أجزاء هذا الكتاب وسماه « محاسن

الانسان » [انظر عارضة الأحوذى ١٢٣/٩١١ ، ١٣٠] فلمله أن يكون
في الأخلاق (٩) .

* * *

(٩) اعتمدنا في نقل مؤلفات القاضي أبي بكر من العربى على الله سبحانه
وتعالى ثم على الجهد العظيم الذى قام به الدكتور عمار طالبى — حفظه الله
وآثابه عن العلم وأهله خيرا .

وفاته

أتاه أجله « بمفيلة » قرب مدينة « فاس » في ربيع الأول سنة ٥٤٣ هـ
ودفن في فاس خارج باب المحروق . على مسيرة يوم من فاس غرباً منها .

وصلى عليه صاحبه أبو الحكم بن حجاج ، ودفن في يوم الأحد ٧ ربيع
الأول سنة ٥٤٣ هـ .

وبموته انطفأت شعلة من الذكاء متقدة ، وأفل نجم طلعة متوثبة ، وسكنت
روح ذات طموح غالب ، وخمد ذهن نافذ كان ينير للناس ظلمات حالكة ،
ويذهب بإشكالات معضلة .

وفاضت نفس تواقفة الى تحقيق العدل ، وإشاعة مبادئ الأخلاق والدين
في الواقع الاجتماعي ، والى بث الروح العلمية النافذة الفاحصة ، والى تكوين
جيل جديد على أسس تربوية جديدة .

أقبل صاحب هذه الروح من المشرق ليغرسها في المغرب ، وكفاه أنه ما فارق
الوجود حتى بذل جهده ، وحقق بعض الذي كان يتوق اليه « (١٠) » .

رحمه الله رحمة واسعة .



(١٠) د. عمار طالبي . آراء أبو بكر بن العربي الكلامية (١ / ١٨٨) .

وصف المخطوطات التي اعتمدنا عليها في التحقيق

المخطوطة الأولى (د) :

كتبت بخط اندلسي جميل وواضح ، وإن كانت فيها آثار رطوبة ومحو في بعض أوراقها ، تقع تحت رقم ٢٢٠٣١ ب بها مائة وأربع وثلاثون ورقة (١٣٤) وفي كل ورقة ٢٣ سطراً ، مقاس حجمها المكتوب ٢٣ سطراً معاً ٢٧ ونصف / ١٩ ونصف ، لا يعرف ناسخها ، ولا تاريخ نسخها ويبدو من خطها أنها أقدم النسخ ، كتب على أول ورقة منها كتاب القواصم والعواصم س ١ للامام العالم الأجل س ٢ أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي رضي الله عنه س ٣ ، وكتب في السطر الرابع بخط حديث : ألفه في سنة ٥٣٠ هـ في شعبان وفي الورقة الثانية : بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، س ١ . قال الشيخ الفقيه الامام الأوحـد الحافظ س ٢ ، العلامة الأمجد أبو بكر بن العربي رضي الله عنه ورحمه س ٣ . أول هذه النسخة الحمد لله رب العالمين اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد . . . الخ ، وكتبت العناوين فيها وأوائل الفقرات بحروف بارزة سوداء . وآخر هذه النسخة مبتور ، كما ترى نقص بعض أوراق منها في أثناء الكتاب كما هو مبين في الهوامش ولكن نصها في أغلب الأحيان يعتبر أصح النصوص وأوضحها رغم نقص بعض أوراقها . وينبغي التنبيه الى أنه قد وقع خلط في بعض أوراقها . اذ ما نقص منها في بعض مواضعها ، وجد في آخر النسخة مرقماً على أنه تابع للنص ، ومسترسل معه ، والواقع أنه راجع الى ما نقص من مواضع أخرى ، وقد أشرنا الى ذلك كله في الهوامش وآخر ما ورد في النسخة : من رأني في المنام فقد رأني حقاً . . . (١١) قطعاً انه لا يرى ذات النبي .

(١١) طمست منها كلمات .

المخطوطة الثانية (ز) :

أما النسخة الثانية فهي نسخة جيدة أيضاً ، الا أنها رغم أنها كاملة ، لا تبلغ جودة النسخة الأولى ، وهي واقعة تحت رقم ٦٢١ عقائد تيمور بدار الكتب المصرية أيضاً ، والورقة الأولى منها مزخرفة ، وكتب في آخر ظهرها : ٩٧ في ثانی الملل والنحل لابن حزم كروية الأرض ، وقوله تعالى : والشمس (س ١) • تجرى لمستقر لها ، وفي قصة ذا القرنين ، « وجدها تغرب في عين حمئة » (س ٢) وكتب على وجه الورقة الثانية ، الحمد لله ، أعلم أن كلام جميع الحكماء ، والفلاسفة وعلومهم مستفادة من الشرائع والملل السابقة ، وأن كفرهم وضلالهم — والعياذ بالله ، بسبب ارتباط العوائد الجارية ، في العالم ، وخفاء تعلق القدرة بالموجودات وذلك مثل انكار النصارى ، وجود الكيمياء لغموض علمها ، وخفاء سرها ، وأيضاً لخبفاء سر القدر ، والحكمة الالهية عند الخلق ، نعوذ بالله من الضلال ، والخذلان ، والاستهواء في خارف (كذا) الدنيا والميل الى الراحة ، من مشقة التكليف ، الطائفة مشقتها على الطبع البشري ، لأن وحده ، بمجرد لا يتوصل به ، الى شيء الا بما تقتضى التجربة ، والتكرار المقتضيان لآلاف عديدة وافرة من السنين ، تأمله منصفاً وفوق كل من ذوى العلم ، العليم ه • وفي ظهر الورقة الثانية كتب عنوان : فهرست الكتاب ، وتحت كتب فهرست تفصيلي لمسائل الكتاب متفق مع ما ورد فيه من موضوعات وكتب ذلك على شكل جدول ذي أربع مربعات ، كل مربع يوضع فيه رقم الورقة وعنوان المسألة التي وردت في تلك الورقة وفيما بعدها ، هذه المربعات الأربع على عرض الورقة ، أما على طولها فهي ثمانية مربعات ويكون ذلك مستطيلاً ذا اثنين وثلاثين مربعاً صغيراً ، وكتب هذا الفهرست ابتداء من ظهر الورقة الثانية الى حوالى ثلثي وجه الورقة الخامسة وبقي ظهر الورقة المذكورة بياضاً مع وجود رسم ذلك الجدول •

وكتب على وجه الورقة الأولى التي تعتبر أول نص الكتاب حسب ترقيم الناسخ الذي اعتبر أوراق الفهرست زوائد ، كتب على الجانب الأيسر من أعلى : عقائد تيمور (لك ١) أى رقم الكتاب ورقم الكراس الأول منه •

وكتب في وسط الورقة من أعلى : كتاب العواصم من القواصم (س ١) ،
تأليف الشيخ الفقيه ، قاضي القضاة (س ٢) أبي بكر محمد بن عبد الله
ابن العربي (س ٣) ، رحمه الله تعالى أمين (س ٤) . وكتب على الجانب
الأيسر : وكانت بداءة نسخة يوم ٢ الأحد ثاني شهر ربيع الأنور بمولده
الشريف صلى الله عليه وسلم من سنة ١٢٥٨ وكتب تحت ذلك بخط آخر
يبدو أنه أحدث من الأول : ودخلت في توبة عبيد الله محمد المكي بن عزوز
سنة ١٣١٣ ، وأسأل الله أن تبقى لذريتي باذن الله ينتفعون وينفعون بها
ان شاء الله . ويبدو أن ذلك بخط الشيخ محمد المكي بن عزوز نفسه ، وهو
من العلماء الجزائريين المعاصرين كانت لهم مكانة مرموقة في العلوم الإسلامية
في المغرب الإسلامي ، ويبدو أنه أتى بهذه النسخة الى مصر حين وروده اليها ،
وذهايه الى تركيا مهاجراً ، وكتب على الورقة الثانية من النسخة : بسم الله
الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وأولها :
قال صالح بن عبد الملك بن سعيد قرأت على الامام الحافظ أبي بكر
ابن العربي رضي الله عنه قال : الحمد لله رب العالمين ، اللهم صلى على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم . الخ .

بها ٢٢٦ ورقة . وقد أخطأ الناسخ في الترقيم فعد الورقات (٢٢٩)
أي أنه زاد ثلاث ورقات ، وذلك أنه أخطأ من ترقيم ورقة ٨٦ فكتبها ٨٩
واستمر على ذلك .

وفي كل ورقة ٥ أسطرا ومقاس حجمها ١٤ × ٩ بالنسبة للمكتوب فقط
و ٢١ ونصف × ١٥ ونصف للمكتوب والهامش .

أما الناسخ فهو الحاج حمودة بن حمودة بوسن (التونسي مولداً
الطرابلسي قرباني أصلاً ونسباً ، المالكي مذهباً ، الأشعري اعتقاداً ، وقد
ذكر أنه ابتداء بنسخ الكتاب في ٢ ربيع الأنور سنة ١٢٥٨ هـ وفرغ من نسخه
في ١٢ ذي الحجة سنة ١٢٥٨ هـ . وقد كتب العناوين أيضاً بالحروف البارزة
وكذلك أوائل الفقرات) .

وتمتاز هذه النسخة بالتعليقات التي كتبها الناسخ وبالمقارنات التي
سجلها بالهوامش بين النسخ المتعددة التي قابل بها نسخته أو نسخ عنها .

الخطوة الثالثة (ج) :

وهي تقع تحت رقم « ٤ توحيد ش » بدار الكتب المصرية •

وأول النسق :

قال صالح بن عبد الملك بن سعيد قرأت على الامام الحافظ ابى بكر
ابن العربى رضى الله عنه قال : الحمد لله رب العالمين اللهم صلى على محمد
وآل محمد ••• الخ •

وبهذه النسخة ٢١٥ ورقة •

وفى كل ورقة ٢١ سطراً ، ومقاس حجمها المكتوب ١٦ × ٨ وبزيادة غير
المكتوب ٢٢ × ١٦ •

أما الناسخ فهو غير مذكور •

وأما تاريخ النسخ فهو ١٤ يوم الأحد محرم سنة ١٢٨٩ هـ • وعلى
العموم فهي أقل النسخ جودة لكثرة أخطائها ولجهل ناسخها •

* * *

المجلد والعلامة والسلاخ على صيرتها
 ومكان الحجر وعلى الحجر والد وصحة
 القوام والجو مائة نور هبت منوا
 (كتاب) (مصحف) بالعوام والقوام
 الأية بغير (العربية) لشخصنا (استنساخ)
 (العلم) العلامة مديونية حجر صحرى كمال الله
 شريك مسود (خ) هو به (حق) (أولى)
 لتقيد مفسر ريد حجر العربية روف على
 تنوال (كبارك) سنة



وقف وقفه مالك مير محمد بن التلاميذ التركي على عتبة
 بعده وقفاً موداً من بذله بأشقه عليه وكنه مير محمد
 الحقة به ١٩ شوال ١٣١٠

صفحة العنوان من المخطوطة « ج »

يَسْمَعُ اللَّهُ الْخَمْرَ الرَّجِيمَ وَحَالَهُ عَلَى سِرِّهِ وَأَمْرِهِ

قَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ أَقْبَسَ
عَلَى ذِي الْمُلْكِ الْحَافِي لِيَهْجِيَهُ أَنْتُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ عَنْهُ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ حَالَهُ عَلَى سِرِّهِ وَأَمْرِهِ
كُلَّ صَبْرٍ عَلَى أَرْهَامِهِمْ وَبَارَكَ عَلَى سِرِّهِ وَأَمْرِهِ
عَلَى أَرْهَامِهِمْ وَآلِهِمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ
أَنْتُمْ سِرُّكُمْ مِنْكُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ
وَأَنْتُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ
تَسْمَعُ فَلَوْ بَدَلْتُمْ أَمْرَهُمْ أَمْرَهُمْ أَمْرَهُمْ
وَأَنْتُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ
وَأَنْتُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ
وَأَنْتُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ
وَأَنْتُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ
وَأَنْتُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرُهُمْ

عقائد سيمر

٦٤٩

٦٤٩

والمعروف بـ
تأليف الشيخ الفقيه
في الفقه والحديث
في الفقه والحديث
في الفقه والحديث

وكتبت بـ
في الفقه والحديث
في الفقه والحديث
في الفقه والحديث

مدخل في فقه
عبد الله بن محمد
في الفقه والحديث
في الفقه والحديث
في الفقه والحديث



صفحة العنوان من المخطوطة « ز »

بسم الله الرحمن الرحيم

والمؤمنين على ما هم عليه

الحمد لله الذي جعل في الدنيا
كل شيء رزقا للمؤمنين
والمؤمنين على ما هم عليه
والمؤمنين على ما هم عليه
والمؤمنين على ما هم عليه
والمؤمنين على ما هم عليه

الحمد لله الذي جعل في الدنيا
كل شيء رزقا للمؤمنين
والمؤمنين على ما هم عليه
والمؤمنين على ما هم عليه
والمؤمنين على ما هم عليه
والمؤمنين على ما هم عليه

الحمد لله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم للشيخ محمود مهدى الاستانبولى

حفظه الله

ان المسلمين - بل الانسانية كلها - أشد ما كانوا اليوم حاجة الى معرفة فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكرم معدنهم ، وأثر تربيته فيهم ، وما كانوا عليه من علو المنزلة التى صاروا فيها « الجيل المثالى » الفذ فى تاريخ البشر .

وشباب الاسلام معذرون اذا لم يحسنوا التأسي بالجيل المثالى فى الاسلام . لأن أخبار أولئك الأخيار قد طرأ عليها من التحريف والأغراض والبتر والزيادة وسوء التأويل فى قلوب شعنت بالفل على المؤمنين الأولين ، فأنكرت عليهم حتى نعمة الايمان !!

وقد أصبح من الفرض الدينى والقومى والوطنى على كل من يستطيع « تصحيح تاريخ صدر الاسلام » أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات ، وأن يبادر له ، ويجهتد فيه ما استطاع الى أن يكون أمام شباب المسلمين مثال صالح من سلفهم يقتدون به ، ويجددون عهده ، ويصلحون سيرتهم بصلاح سيرته (١) .

وهذا التوجيه يذكرنا بأثر ورد عن الصحابى الجليل « جابر بن عبد الله » « اذا لعن آخر هذه الأمة أولها ، فمن كان عنده علم فليظهره ، فان كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ! » .

(١٢٦) من مقال « اليل المثالى » للاستاذ محب الدين الخطيب .

وقد كان أول من سارع الى القيام بهذا الواجب العلامة القاضى « أبو بكر ابن العربى » رحمه الله تعالى فى كتابه العظيم : « العواصم من القواصم فى تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى ، وتبرئتهم مما نسب اليهم الملاحدة والمفسدون والمضللون » .

وقد كشف فى هذا الكتاب عن نور الحق ، وخذل الباطل ، فاذا هو زاهق وأضاء المصباح بعدما كاد يخبو .

« فالى العالم الراقد فى جدته الهائى بمضجعه تحفله مسحة من النور الالهى نهى غايات من الدعوات ، ونستمر وابلا من الرحمات ، فقد كان — بكتابه « العواصم من القواصم » — كالبدر طلع علينا على خابط ليل ضل السبيل ، وخانه الدليل . وكالفيت أصاب أرضاً قابلة فأنبتت من كل زوج بهيج » .

والمعجب من كثير من علماء المسلمين أنهم نسوا كتاب « العواصم من القواصم » (*) ، فجهل الجيل المسلم الحقيقة التى تذبح على مائدة الخونة والمتآمرين على الاسلام ، ليضلوه وينفروه من سيرة « الجيل المثالى » خشية أن يقتدى به ويحلق — كما حلق سلفه من قبل — فى ذرا المجد والعظمة فيعيد سيرة الاسلام الأولى .

لهذا كله رأينا أن نتحف بهذا الكتاب العظيم القراء ، ليصحح الكثيرون منهم ما تلقوه من معلومات خاطئة ، آملين أن يضعوه بين أيدي أبنائهم وبناتهم ، لينجوا من الأفكار الخاطئة التى علقت فى أذهانهم بسبب الكتب التى يتداولونها ، والدروس التى يتلقونها ، فيتخذوا من سيرة الصحابة مثلاً عالياً يحتذونه ، وشحنة ، بل شحنات قوية تدفع بهم الى الأمام .. الى آفاق العظمة والمجد والسؤدد ، والى التشوق الى حياة البطولة والجهاد والشوق لرائحة الجنة .

(*) المقصود من عنوان الكتاب : الحقائق التى تعصم المسلم من افتراءات المفسدين القاصمة المدمرة ، فتكشف عن اكاذيبهم وتجعلها هباء ! .

وزاد هذا الكتاب روعة وتمماً وايضاً تعليقات فقيد الاسلام والعروبة
العلامة محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى وأجزل ثوابه وأسكنه فسيح
جناته .

وقد أضفنا اليه بعض التحقيقات الحديثية والتاريخية ، فبهاء تحفة
علمية ووثيقة تاريخية قليلة النظير .

والله — سبحانه — نسأل أن ينفع به ويدخر لنا ثوابه « يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » .

محمود مهدي الاستنبولي

تصدير للعلامة

محب الدين الخطيب

رحمه الله

الحمد لله الذى أنعم على الانسانية برسالة الاسلام ، وصلى الله وسلم على الانسان الأعلى ، والمعلم الأكمل ، محمد بن عبد الله صفوته من خلقه .
وأعلى مقام الذين قاموا بتحقيق رسالته ، ممن تشرّفوا بصحبته ، وأحسنوا الخلافة على أمته . ومن واصلوا عملهم بعدهم ، ملتزمين سنتهم ، ومتحررين أهدافهم . الى يوم الدين .

وبعد فان هذا العالم الاسلامى الذى نعتز بالانتساب اليه ، ونعيش لاسعاده والسعادة به ، قد افتتح أكثره فى الدولة الاسلامية الأولى بعد الخلفاء الراشدين ، ودخل معظم شعوبه فى هداية الاسلام على أيدي الخلفاء الأمويين وولايتهم وقواد جيوشهم ، اتماماً لما بدأ به صاحباً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته الأولان - أبو بكر وعمر - سلام الله عليهما ، ورضى عنهما وأرضاهما ، وأحسن جزاءهما عنا وعن الاسلام نفسه وجميع أهله .

وان حادثة انتشار الاسلام ، ودخول الأمم فيه ، أصبحت فى ذمة التاريخ . والأجيال التى أتت بعد ذلك الى يومنا هذا منهم من يفتخر بذلك ، ويمتلىء قلبه سروراً به ، ويدعو بالخير لمن كانوا سبب هذا الخير العظيم . ومنهم من ابتأس به ، وامتلاً فؤاده حقداً على الذين علموا فيه ، وجعل من دأبه أن يصممهم بكل نقيصة .

وقد نعذر الذين لم يذوقوا حلاوة الاسلام ، وحالت البيئة بينهم وبين الأنس بعظمته ، وشريف أغراضه ، وسيرة الذين قاموا به ، اذ نظروا الى

تاريخ الاسلام نظرة خاطئة ، واتخذوا له في أذهانهم صورة غير صورته التي كانت له في الواقع . ولكنى أعترف - ولا فائدة من الإنكار - بأن في المنسوين الى الاسلام من يبغض حتى الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقلب جميع حسناته سيئات . وان أحد الذين شاهدوا بأعينهم عدل عمر ، وزهده في متع الدنيا ، وانصافه لجميع الناس ، لم يستطع أن يمنع الحقد الذي في فؤاده على الاسلام من أن يدفعه الى طعنه بالسكين دون أن يسيء اليه . وفي قوم طاعن^(٢) عمر بالسكين من يؤلفون المؤلفات الى يومنا هذا في تشويه حسنات هذا المثل الأعلى للعدل والانسانية والخير . وفي عصر عثمان^(*) من ضاقت صدورهم بطيبة ذلك الخليفة الذي خلق قلبه من رحمة الله ، فاخترعوا له ذنوباً ، وما زالوا يكررونها على قلوبهم حتى صدقوها ، وتفننوا في اذاعتها ، ثم استحلوا سفك دمه الحرام ، في الشهر الحرام ، بجوار قبر أبى زوجته محمد عليه الصلاة والسلام . وما برحت الانسانية تشاهد المعجزات من رجالات الاسلام في نشره وادخال الأمم فيه وتوسيع النطاق في الآفاق لكلمة « الله أكبر » . حتى على الفلاح » حتى نودى بها على جبال السند ، وفي ربوع الهند ، وعلى سواحل المحيط غرباً ، وفي أوديه أوربا وجبالها ، بما لم يملك أن يصفه حتى أعداء الاسلام الا بأنه معجزة . كل هذا في زمن هذه الدولة الأموية التي لو صدر عن المجوس ، وعبداء الأوثان ، عشر ما صدر عنها من الخير ، وجزء من مائة جزء مما أثر عن رجالها من انصاف ومروءة وكرم وشجاعة وإيثار وفصاحة ونبل ، لرفموا لأولئك المجوس والوثنيين ألوية الثناء والتقدير في الخافقين . والتاريخ الصادق لا يريد من أحد أن يرفع لأحد لواء الثناء والتقدير ، لكنه يريد من كل من يتحدث عن رجاله أن يذكر لهم حسناتهم على قدرها ، وأن

(١٢٧) يحتفل بعض الزنادقة من كل عام في اليوم الذي استشهد فيه الخليفة عمر على يد المجوسى أبى لؤلؤة الذي يعطونه لقب « بابا شجاع » !! فيا للخيانة الشنيعة والحقد الدفين !! (م) .

(*) ان عصر عثمان رضى الله عنه هو من أسعد وأعظم العصور الاسلامية برخائه وفتوحاته العظيمة وقد حاول تشويهه أناس لا دين لهم واوضحنا ذلك في الصفحات المقبلة .

يتقى الله في ذكر سيئاتهم فلا يبالغ فيها ولا ينخدع بما أفتراه المفرضون من أكاذيبها .

نحن المسلمين لا نعتقد العصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل من ادعى العصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كاذب . فالإنسان إنسان ، يصدر عنه ما يصدر عن الإنسان ، فيكون منه الحق والخير ، ويكون منه الباطل والشر . وقد يكون الحق والخير في إنسان بنطاق واسع فيعد من أهل الحق والخير ، ولا يمنع هذا من أن تكون له هفوات . وقد يكون الباطل والشر في إنسان آخر بنطاق واسع ، فيعد من أهل الباطل والشر ، ولا يمنع هذا من أن تبدر منه بوادر صالحات في بعض الأوقات .

يجب على من يتحدث عن أهل الحق والخير إذا علم لهم هفوات ، أن لا يسيء ما غلب عليهم من الحق والخير فلا يكفر ذلك كله من أجل تلك الهفوات . ويجب على من يتحدث عن أهل الباطل والشر إذا علم لهم بوادر صالحات ، أن لا يوهم الناس أنهم من الصالحات من أجل تلك الشوارد الشاذة من أعمالهم الصالحات .

إن أحداث المائة الأولى من عصور الإسلام كانت من معجزات التاريخ ، والعمل الذي عمله أهل المائة الأولى من ماضينا السعيد لم تعمل مثله أمة الرومان ، ولا أمة اليونان قبلها ، ولا أمة من أمم الأرض بعدها .

أما أبو بكر وعمر ، وسائر الخلفاء الأربعة الراشدين ، وأخوانهم من العشرة المبشرين بالجنة ، وطبقتهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خصوصاً الذين لازموه وراقبوه وتمتعوا بجميل صحبته — من أتقى منهم من قبل الفتح وقاتل ، والذين أنفقوا من بعد وقاتلوا — فانهم جميعاً كانوا شموساً طلعت في سماء الإنسانية مرة ، ولا تطمع الإنسانية بأن يطلع في سمائها شمس من طرازهم مرة أخرى ، إلا إذا عزم المسلمون على أن يرجعوا إلى فطرة الإسلام ، ويتأدبوا بأدبه من جديد ، فيخلق الله منهم

خلقاً آخر يعيش للحق والخير ، ويجاهد الباطل والشر ، حتى تعرف الانسانية طريقها الحقيقي الى السعادة . وهذه الشموس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تتفاوت أقدارها ، وتباين في أنواع فضائلها ، الا أنها كلها كانت من الفضائل في مرتقى درجاتها . واذا بدأ المشتغلون بتاريخ الاسلام من أفاضل المسلمين في تمييز الأصيل عن الدخيل من سيرة هؤلاء الأفاضل العظماء ، فانهم ستأخذهم الدهشة لما اخترعه اخوان أبى لؤلؤة ، وتلاميذ عبد الله بن سبأ ، والمجوس الذين عجزوا عن مقاومة الاسلام وجهاً لوجه في قتال شريف ، فادعوا الاسلام كذباً ، ودخلوا قلعه مع جنوده خلسة ، وقتلوههم بسلاح (التقية) بعد أن حولوا مدلولها الى النفاق ، فأدخلوا في الاسلام ما ليس منه ، وألصقوا بسيرة رجاله ما لم يكن فيها ولا من سجة أهلها . وبهذا تحولت أعظم رسالات الله وأكملها الى طريقة من الخمول والعطالة والجمود كان من حقها أن تقتل الاسلام والمسلمين قتلاً ، لولا قوة الحيوية الخارقة التي في الاسلام ، وهى التي يرجى اذا رجعنا اليها ، وجردناها من الطوارئ عليها ، وخلصنا سيرة رجالها مما شيبت به ، وسرنا في طريقهم مخلصين : أن نعود مسلمين من ذلك الطراز الأول كما كان في الواقع ، لا كما أراد مبغضوا الصحابة والتابعين لهم باحسان أن يعرضوه على الناس .

ونحن بتقديمنا هذه الحقائق من قلم الامام ابن العربي ، أو من النصوص الأصيلية التي علقنا بها عليها ، انما أردنا عكس ما يريد المتعرضون لهذه البحوث من ترديد خلافت غفى عليها الزمن . والصحابة كانوا أسمى أخلاقاً وأصدق اخلاصاً لله وترفعاً عن خسائس الدنيا من أن يختلفوا للدنيا ، لكن كان في عصرهم من الأيدي الخبيثة التى عملت على ايجاد الخلاف وتوسيعه ، مثل الأيدى الخبيثة التى جاءت فيما بعد فصورت الوقائع بغير صورتها . ولما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم قدوتنا في ديننا ، وهم حملة الكتاب الالهى والسنة المحمدية الى الذين حملوا عنهم أماناتها حتى وصلت الينا ، فان من حق هذه الأمانات على أمثالنا أن ندرأ عن سيرة حفظتها الأولين كل ما ألصق بهم من افك ظلماً وعدواناً ، لتكون

صورتهم التي تعرض على أقطار الناس هي الصورة النقية الصادقة التي كانوا عليها ، فتحسن القدوة بهم ، وتطئن النفوس الى الخير الذي ساقه الله للبشر على أيديهم . وقد اعتبر في التشريع الاسلامي أن الطعن فيهم طعن في الدين الذي هم رواته ، وتشويه سيرتهم تشويه للأمانة التي حملوها ، وتشكيك في جميع الأسس التي قام عليها كيان التشريع في هذه الملة الحنيفة السمحة . وأول نتائج حرمان شباب الجيل ، وكل جيل بعده ، من القدوة الصالحة التي من الله بها على المسلمين ليتأسوا بها ، ويواصلوا حمل أمانات الاسلام على آثارها ، ولا يكون ذلك الا اذا ألموا بحسناتهم ، وعرفوا كريم سجايهم ، وأدركوا أن الذين شوهوا تلك الحسنات وصوروا تلك السجيا بغير صورتها ، انما أرادوا أن يسيئوا الى الاسلام نفسه بالاساءة الى أهله الأولين . وقد آن لنا أن نتبه من هذه الغفلة فنعرف لسلفنا أقدارهم لنسير في حاضرنا على هدى ونور من سيرتهم الصحيحة وسيرتهم النقية الطاهرة .

وهذا الكتاب الذي ألفه عالم من كبار أئمة المسلمين بياناً لما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال وادحاضاً لما ألصق بهم وبأعوانهم من التابعين لهم باحسان ، يصلح على صغره لأن يكون صيحة من صيحات الحق توقظ الشباب المسلم الى هذه الدسيسة التي دسها عليهم أعداء الصحابة ومبغضوهم ، ليتخذوها نموذجاً لأمثالها من الدسائس ، فيتفرغ الموفقون الى الخبر منهم لدراسة حقيقة التاريخ الاسلامي ، واكتشاف الصفات النبيلة في رجاله ، فيعلموا أن الله عز وجل قد كافأهم عليها بالمعجزات التي تمت على أيديهم وأيدي أعوانهم في احداث أعظم انقلاب عرفه تاريخ الانسانية . ولو كان الصحابة والتابعون بالصورة التي صورهم بها أعداؤهم ومبغضوهم لكان من غير المعقول أن تتم على أيديهم تلك الفتوح ، وأن تستجيب لدعوتهم الأمم بالدخول في دين الله أفواجا .

والقاضي أبو بكر بن العربي مؤلف « العواصم من القواصم » امام من أئمة المسلمين ، ويعتبره فقهاء مذهب الامام مالك أحد أئمتهم المقتضى بأحكامهم ، وهو من شيوخ القاضي عياض مؤلف كتاب « الشفا » في التعريف بحقوق المصطفى ، ومن شيوخ ابن رشد العالم الفقيه والد أبي الوليد

الفيلسوف ، ومن تلاميذه عشرات من هذه الطبقة كما ستري من ترجمته الآتية بعد . (**) وكتابه «العواصم من القواصم» من خيرة كتبه، ألفه سنة ٥٣٦ وهو في دور النضج الكامل بعد أن امتلأت الأمصار بمؤلفاته وتلاميذه الذين صاروا في عصرهم أئمة يهتدى بهم . وهذا الكتاب في جزئين متوسطي الحجم ، ومبحث الصحابة الذي تقدمه لقرائنا هو أحد مباحث جزئه الثاني (من ص ٩٨ الى ص ١٩٣ من طبعة المطبعة الجزائرية الاسلامية في مدينة قسنطينة بالجزائر سنة ١٣٤٧) وكان قد وقف على تلك الطبعة شيخ علماء الجزائر الأستاذ عبد الحميد بن باديس رحمه الله . ومما يؤسف له أن الأصل الذي اعتمد عليه في تلك الطبعة كان مكتوباً بقلم ناسخ غير متمكن ، فوقت فيه تحريفات لفظية واملائية حرصنا على ردها الى أصلها ، بل ان النسخة المخطوطة التي طبعت عليها طبعة الجزائر يظهر أن المجلد وضع بعض ورقاتها في غير موضعها ، فأرجعناها الى ما دل عليه السياق في القول ، والترتيب في المسائل . وفيما عدا ذلك التزمنا الأمانة في عرض الكتاب الى أقصى غاية . وعلقت على كل بحث منه بما يزيده وضوحاً ، مقتبساً ذلك من أوثق المراجع وأهمات الكتب الاسلامية المعتمدة ، مبيناً في كل نص مأخذه بكل أمانة ووضوح .

وأرجو الله أن يجزل ثواب الامام ابن العربي على دفاعه هذا عن أصحاب رسول الله الذين حملوا معه صلى الله عليه وآله وسلم أعظم رسالات الله ، وكانوا أصدق أعوانه على تبليغها في حياته وبعد أن اختاره الله اليه . بل كانوا سبب كياننا الاسلامي ، ولهم ثواب انتمائنا الى هذه الملة الحنيفية السمحة التي لا عيب لها غير تقصيرنا في التخلق بأدائها في أنفسنا ، وتعميم سننها في بيوتنا ومجتمعنا وأسواقنا ومحاكمنا ودور حكمنا . وعسى أن يكون في قراء هذا الكتاب من يعاهد الله على أن يكون خيراً منا عملاً وأصح منا علماً ، وعلى الله قصد السبيل .

محب الدين الخطيب (*)

(**) نلفت نظر القارئ أن الترجمة المثبتة من اعداد المکتب السلفی للتراث وقد رتبناها على أبواب جديدة مما يجعلها أكثر فائدة (س) .
(*) توفي العلامة محب الدين الخطيب - رحمه الله - سنة ١٣٨٩ هـ

**العواصم من القواصم
في تحقيق مواقف
الصحابة بعد
وفاة النبي ﷺ**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وآله [وسلم]

قال صالح بن عبد الملك بن سعيد :

قرأت على الامام محمد أبى بكر بن العربى (١٢) رضى الله عنه قال :

الحمد لله رب العالمين (١٣) اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما
صليت على ابراهيم . وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على
ابراهيم وآل ابراهيم . انك حميد مجيد .

اللهم انا [نستدعى من رضاك] المنحة ، كما نستدفع بك المحنة .
ونسألك العصمة ، كما نستوهب منك الرحمة .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، ويسر لنا العمل كما علمتنا ، وأوزعنا
شكر ما آتيتنا . وانهج لنا سبيلا [تهدي] اليك ، وافتح بيننا وبينك باباً قد
منه عليك ، لك مقاليد السماوات والأرض وأنت على كل شىء قدير .

* * *

(١٢) هو غير (ابن العربى) المتصوف الذي يكتب اسمه نكرة (م) .
(١٣) بهذا التحميد ، والدعاء السديد ، افتتح الامام ابن العربى الجزء
الاول من كتابه (العواصم من القواصم) . فافتتحنا به هذا القسم من جزئه
الثانى (من ص ٩٨ الى ص ١٩٣ من مطبوعة الجزائر سنة ١٣٤٧) وهو
ما اخترنا افراده بهذا السفر خاصاً بتحقيق مواقف الصحابة رضوان الله
عليهم بعد وفاة النبي ﷺ ، كما اشرنا الى ذلك فى تصدير الكتاب . (خ)

قاصمة الظهر

بعد أن استأثر الله بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم — وقد أكمل له ولنا دينه ، وأتم عليه وعلينا نعمته ، كما قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » (المائدة : ٣) ، وما من شيء في الدنيا يكمل الا وجاءه النقصان ، ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله خاصة ، وذلك العمل الصالح والدار الآخرة ، فهي دار الله الكاملة — قال أنس : « ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أنكرنا قلوبنا (١٤) » .

واضطربت الحال ، ثم تدارك الله الاسلام ببيعة أبي بكر ، فكان موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم (قاصمة الظهر) ومصيبة العمر :

فأما علي فاستخفى (١٥) في بيته مع فاطمة (١٦) .

(١٤) في مطبوعة الجزائر « نفوسنا » والمروى في الحديث « قلوبنا » من وجوه متعددة اشار اليها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥ : ٢٧٣ — ٢٧٤) أحدها للامام أحمد عن أنس : « لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة اضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء » . قال : وما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا » . وهكذا رواه الترمذي ، وابن ماجه . وقال الترمذي : هذا حديث صحيح غريب . قال ابن كثير : واسناده صحيح على شرط الصحيحين . (خ)

(١٥) لان فاطمة وجدت علي أبي بكر لما اصر على العمل بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا نورث ما تركنا صدقة » وسيأتي تفصيل ذلك في ص (٦٢ — ٦٣) ، فعاشت فاطمة بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر معتزلة في بيتها ومعها علي . قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦ : ٣٣٣) : فلما مرضت جاءها الصديق فدخل عليها فجعل يترضاها فرضيت . رواه البيهقي من طريق اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي ثم قال : وهذا مرسل حسن باسناد صحيح . وقال البخاري (ك ٦٤ ب ٣٨ ج ٥ ص ٨٢ — ٨٣) من حديث عروة عن عائشة : « فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن لها أبا بكر وصلى عليها ، وكان لعلي من الناس وجه في حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر علي وجه الناس ، فالتمس مصالحة أبي بكر

وأما عثمان فسكت .

وأما عمر فأهجر وقال : « ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،

ومبايعته الخ » وببيعة على هذه هي الثانية بعد بيعته الأولى في سقيفة بني ساعدة . وأضاف الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥ : ٢٤٩) أن علياً لم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلف الصديق ، وخرج معه الى ذى القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتل أهل الردة .

ويحتمل أن يكون مراد المؤلف باستخفاء على ما كان منه ومن الزبير قبيل الاجتماع في سقيفة بني ساعدة ، وقد أشار عمر بن الخطاب الى ذلك في خطبته الكبرى التي خطبها في المدينة في عقب ذى الحجة بعد آخر حجة حجها عمر ، وهذه الخطبة في مسند الامام أحمد (١ : ٥٥ الطبعة الاولى - ج ١ رقم ٣٩١ الطبعة الثانية) من حديث ابن عباس . (خ)

(١٦) ان هذا الخبر لا يتفق مع الخبر الوارد في اعلى هذا الكلام القائل بأن علياً لم ينقطع عن صلاة من الصلوات خلف الصديق . . . وانه خرج معه لما خرج ابو بكر شاهراً سيفه لقتال المرتدين .

والحقيقة لقد اضطربت الروايات في بيان موقف علي بن ابي طالب من خلافة ابي بكر الصديق ، ولعبت الدسائس دورها ، ونسجت الافتراءات والأكاذيب حولها بقصد زعزعة الثقة بالاسلام بصورة عامة ، وبالصحابة بصورة خاصة ، واطهارهم بمظهر الجشع والمتهالك على المناصب والاموال ولو بمخالفة الشريعة . ونحن ننقل فيما بلى اصح الروايات عن موقف علي النبيل ثم نأتى على بعض الروايات الاخرى التي تقول بامتناعه عن البيعة حتى وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونوضح زيفها وكذبها .

قال العلامة محمد عزة دروزة في كتابه « الجنس العربى » (٧ : ١٤ وما بعدها) : لقد روى الطبرى عن عبد الله بن سعيد الزهرى عن عمه يعقوب عن سعيد بن عمر عن الوليد بن عبد الله عن الوليد بن جميع الزهرى ان عمرو ابن حريث سأل سعيد بن زيد :

قال : فمتى بويع ابو بكر ؟ .

اشهدت وفاة النبي ؟

قال : نعم . .

قال : يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كرهوا ان يبقوا بعض يوم ، وليسوا في جماعة قال : فخالف عليه أحد ؟ !

قال : لا ! الا مرتد أو من قد كاد ان يرتد لولا ان الله أنقذهم من الانصار . قال : فهل قعد أحد من المهاجرين ؟ قال : لا ! تنابخوا على بيعته من غير ان يدعوهم (ج ٢ ص ٤٤٧) والمتبادر ان القائل اراد بما ذكره عن الانصار

موقف سعد بن عبادہ وأنصاره يوم السقيفة وتطلعهم الى رئاسة الحكم ،
فأنقذهم الله وجعلهم يتراجعون ويتابعون أبا بكر دون افتراق وخلاف ونزاع .
والرواية تعبر عما كان من شدة حرص أصحاب رسول الله من مهاجرين وأنصار
على سرعة البت في أمر الرئاسة حتى تجتمع كلمتهم ، وتفيد أن الهاشميين
أيضا - وهم من المهاجرين - قد تابعوا على بيعة أبي بكر ولم يقعد منهم أحد .
ولقد روى الطبري خبر مبايعة عليّ لأبي بكر فوراً ، وبحركة رائعة حيث روى
بأسانيده عن حبيب بن أبي ثابت أن علياً كان في بيته ، فأتى اليه الخبر عن
جلوس أبي بكر للبيعة ، فخرج في قميص ما عليه أزرار ولا رداء عجلأ كراهية أن
يبطئ عنه حتى يايعه ، ثم جلس اليه وبعث فأحضر ثوبه وتخلله ولزم مجلسه
(٤٤٧/٢) .

وعلى كل حال فإن المتفق عليه في روايات الشيعة وغيرهم أن علياً
وبني هاشم يايعوا أبا بكر فوراً ! كما يروى الطبري ، أو بعد تردد كما تروى
رواية الشيعة ، وتعاونوا معه ، حيث يدل هذا دلالة حاسمة على أنه لم يكن
هناك وصية صريحة أو ضمنية من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يكون
الأمر لعليّ من بعده وما رواه الطبري كذلك بأسانيد أخرى خبر امتناع عليّ
وبني هاشم عن بيعة أبي بكر طوال حياة فاطمة ، لأن فاطمة جاءت هي والعباس
الى أبي بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أرضه
من فداء وسهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر أما اني سمعت رسول الله يقول :
« لا نورث ما تركنا صدقة » ، انما يأكل آل محمد في هذا المال » واني والله
لا أدع امرأ رأيت رسول الله يصنعه الا صنعته . فهجرته فاطمة فلم تكلمه في
ذلك حتى توفيت بعد ستة أشهر من وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ورأى عليّ انصراف وجوه الناس عنه ، وكان لم يبايع أبا بكر هو ولا أحد من
بني هاشم والقصة طويلة وفي ختامها : بايع عليّ أبا بكر . أي بعد وفاة فاطمة
ويلحظ أن صيغة خبر الطبري تجعل مسألة الميراث سبباً لامتناع عليّ ، وبني
هاشم عن مبايعة أبي بكر ، ومطالبتهم بالميراث من أبي بكر تقتضي أن تكون بعد
الاعتراف بخلافته . وفي هذا من التناقض ما يجعل القصة متهافئة . وان كان
لها أصل ما فكل ما يمكن أن يكون هو أنهم بعد مبايعتهم لأبي بكر طالبوا بما
اجتهدوا أنه ميراثهم من النبي ، فأورد أبو بكر عليهم حديث النبي ﷺ الذي
سمعه ووقف الأمر عند هذا الحد . ويكون ما عدا ذلك من مزيدات الشيعة
ومدسوساتهم . لأنه لا يمكن أن يكون عليّ وفاطمة وبني هاشم لم يصدقوا
أبا بكر في الحديث الذي رواه ، كما لا يمكن أن يكونوا كابروا وأصروا بقصد
سماعهم لحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم . اهـ . (الجنس العربي
(١٧/٧) .

وانما واعد الله كما واعد موسى (١٧) ، وليرجعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليقطعن أيدي ناس وأرجلهم (١٨) .

ومن الغريب أن أعداء الاسلام الذين يحملون على أبى بكر رضى الله عنه منع فاطمة من أرثها في فذلك وسهمها من خير ، بينما على نفسه لما تولى الخلافة لم يعط أحد ورثها ولا لأحد من بنى هاشم ما تركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحديث : « لا نورث . . . » .

واذا كان أبو بكر منع ذلك ، فيكون قد منع ابنته عائشة أيضاً من هذا الارث !!

وهناك روايات أخرى مختلطة ومكدوبة في رفض على وبنى هاشم بيعة أبى بكر ضربنا عنها صفحا لتهافتها وللروايات الكثيرة التي تثبت مسابقة على لبيعة أبى بكر ومعاونته في شؤون الخلافة ، وهو من أعرف الناس بفضله . (م) (١٧) إشارة الى قول الله عز وجل في سورة البقرة : ٥١ « واذا واعدنا موسى أربعين ليلة » ، وقوله سبحانه في سورة الأعراف : ١٤٢ « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة » . (خ)

(١٨) مسند أحمد (٣ : ١٩٦ الطبعة الأولى) حديث أنس بن مالك عن يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيه : « ثم أرخى الستر ، فقبض في يومه ذاك . فقام عمر فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يمّت ، ولكن ربه أرسل اليه كما أرسل الى موسى ، فمكث عن قومه أربعين ليلة . وأنى لأرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يقطع أيدي رجال المنافقين والسنتهم يزعمون (أو قال : يقولون) ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد مات » . وفي كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٣ ب ٥) عن عائشة : « . . . فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . . . والله ما كان يقع في نفسى الا ذاك ، وليبعثه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم » ونقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥ : ٢٤٢) ما رواه البيهقي من طريق ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة ابن الزبير قال : قام عمر بن الخطاب يخطب الناس ويتوعد من قال « مات » بالقتل والقطع ، ويقول : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غشية لو قد قام قتل وقطع (※) . وفي (٥ : ٢٤١) من البداية والنهاية من حديث

(※) في سننه ابن لهيعة ، فهو ضعيف في هذه الحال . (م) تنبيه : - يفهم من إطلاق الأستاذ محمود مهدي الاستانبولى ان في الاستاذ عبد الله بن لهيعة ان الحديث ضعيف . ولكن في أمر ابن لهيعة تفصيل كبير فهو قد اختلف في آخره فمن سمع منه قبل الاختلاف فعديته حسن كالمبادلة الثلاثة ومن سمع منه بعد الاختلاف فعديته ضعيف ، انظر تقريب التهذيب (٤٤٤/١) . (س)

وتعلق بالعباس وعلى* بأمر أنفسهما في مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال العباس لعلى : « انى أرى الموت في وجوه بنى عبد المطلب ، فتعال حتى نسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فان كان هذا الأمر فينا علمناه » (١٩) .

وتعلق بالعباس وعلى* بميراثهما فيما تركه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فذك وبنى النضير وخيبر (٢٠) .

واضطرب أمر الأنصار يطلبون الأمر لأنفسهم ، أو الشركة فيه مع المهاجرين (٢١) .

عائشة وهى تذكر الساعة التى توفى فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستاذنا ، فأذنت لهما . ثم قاما ، فلما دنوا من الباب قال المغيرة : يا عمر ، مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال عمر : كذبت ، بل أنت رجل تحوسك (أى تخالطك) فتنة ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يموت حتى يفنى الله المنافقين . ثم جاء أبو بكر . . . وخرج الى المسجد وعمر يخطب الناس ويقول : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يموت حتى يفنى الله المنافقين . ومعنى أهجر : خلط في كلامه ، وهذى ، وأكثر الكلام فيما لا ينبغي . وذلك من هول ما وقع في نفس عمر من هذا الحادث العظيم ، فهو لا يكاد يصدقه . (خ)

(١٩) فأجابه على كرم الله وجهه : « انا والله لئن سألتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بمده ، وانى والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . رواه البخارى في كتاب المغازى من صحيحه (ك ٦٤ ب ٨٣ ج ٥ ص ١٤٠ - ١٤١) . ونقله ابن كثير في البداية والنهاية (٥ : ٢٢٧ و ٢٥١) من حديث الزهرى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن ابن عباس . ورواه الامام أحمد في مسنده (١ : ٢٦٣ و ٣٢٥ الطبعة الاولى ج ٤ رقم ٢٣٧٤ و ج ٥ رقم ٢٩٩٩ الطبعة الثانية) . (خ)

(٢٠) سيأتى تفصيله ص ٤٨ عند الكلام على حديث « لا نورث ما تركنا صدقة » . (خ)

(٢١) فاجتمعوا في سقيفة بنى ساعدة ، وبين ظهرائهم سعد بن عباد ، وهم يرون أن الأمر لهم لأن البلد بلدهم وهم انصار الله وكتيبة الاسلام ، أما قريش فان داقة منهم دفنت ، فلا ينبغي أن تختزل الأمر من دون الانصار . وقال خطيب منهم - وهو الحباب ابن المنذر - « انا جديلبها المحكك ، وعديقتها

وانقطعت قلوب الجيش الذي كان قد برز مع أسامة بن زيد بالجرف (٢٢)

المرجب . منا أمير ومنكم أمير » . (وجذيلها المحكك : هو أصل تنجرتها الذي تتحكك به الأبل . وعذيقها المرجب : نخلتها التي دعمت ببناء أو خشب لكثرة حملها) . ومع ذلك فقد كان رجل من الأنصار - وهو بشير بن سعد الخزرجي والد النعمان بن بشير - يسابق عمر لمبايعة أبي بكر . وقبيل ذلك كان في السقيفة الرجلان الصالحان عويم بن ساعدة الأوسى ومعن بن عدي حليف الأنصار ولم تعجبهما هذه النزعة من الأنصار فخرجا وهما يريان أن يقضى المهاجرون أمرهم غير ملتفتين إلى أحد ، لكن حكمة أبي بكر ونور الإيمان الذي ملأ قلبه كانا أبعد مدى وأحكم تدبيرا لهذه الملة في أعظم نوازلها . (خ)

(٢٢) كان هذا الجيش سبعمائة ، والأمير عليهم أسامة بن زيد ، وكان قد نديهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمسير إلى تخوم البلقاء (شرق الأردن) حيث قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وابن رواحة . ولما انتقل صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى أشار كثير من الصحابة - ومنهم عمر - أن لا ينفذ الصديق هذا الجيش لما وقع من الاضطراب في الناس ولا سيما في القبائل . نقل ابن كثير في البداية والنهاية (٦ : ٣٠٤ - ٣٠٥) حديث القاسم وعمرة عن عائشة قالت : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتدت العرب قاطبة وأشربت النفاق ، والله لقد نزل بي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كأنهم معزى مطيرة في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبمة . فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا صار أبي يخطئها وعنانها وفصلها » . (خ)

عاصمة

فتدارك الله الاسلام والأنام — وانجابت (الغمة) انجياب الغمام ، وتقذ وعد الله باستئثار رسول الله (ﷺ) واقامة دينه على التمام ، وان كان قد أصاب ما أصاب من الرزية الاسلام — بأبى بكر الصديق رضى الله عنه (٢٤) وكان اذ مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم غائباً في ماله بالسنج (٢٥) ، فجاء الى منزل ابنته عائشة رضى الله عنها — وفيه مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم — فكشف عن وجهه ، وأكب عليه يقبله وقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، طبت حياً وميتاً . والله لا يجمع الله عليك الموتين ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقدمتها . ثم خرج الى المسجد — والناس فيه ، وعمر يأتى بهجر من القول كما قدمنا — فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » . ثم قرأ : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على

(٢٣) استأثر الله فلاناً ، وبغلان : اذا مات . (خ)

(٢٤) أى فتدارك الله الاسلام والأنام بأبى بكر . (خ)

(٢٥) فى البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥ : ٢٤٤) : كان الصديق قد صلى بالمسلمين صلاة الصبح ، وكان اذ ذاك قد افاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افاقة من غمرة ما كان فيه من الوجع ، وكشف سترة الحجرة ونظر الى المسلمين وهم صفوف فى الصلاة خلف أبى بكر ، فاعجبه ذلك وتبسم صلى الله عليه وآله وسلم حتى هم المسلمون أن يتركوا ما هم فيه من الصلاة لفرحهم به ، وحتى أراد أبو بكر أن يتأخر ليصل الصف ، فأشار اليهم صلى الله عليه وآله وسلم أن يمشوا كما هم . وأرخى الستارة ، وكان آخر العهد به صلى الله عليه وآله وسلم . فلما انصرف أبو بكر من الصلاة دخل عليه وقال لعائشة : ما أرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا قد أفلح عنه الوجع ، وهذا يوم بنت خارجة — يعنى احدى زوجتيه ، وكانت ساكنة بالسنج شرقى المدينة — فركب على فرس وذهب الى منزله ، وتوفى صلى الله عليه وآله وسلم حين اشتد الضحى ... فذهب سالم بن عبيد وراء الصديق فاعلمه بموت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاء الصديق حين بلغه الخبر ، وكان منه ما سيذكره المؤلف . والسنج منازل بنى الحارث بن الخزرج فى عوالى المدينة ، بينها وبين مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ميل واحد . (خ)

عقبه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين » (آل عمران : ١٤٤)
فخرج الناس يتلونها في سكك المدينة كأنها لم تنزل الا ذلك اليوم (٢٦) .

واجتمعت الأنصار في سقيفة بنى ساعدة يتشاورون ، ولا يدرون
 ما يفعلون . (وبلغ ذلك المهاجرين) فقالوا : نرسل اليهم يأتوننا . فقال
 أبو بكر : بل نمشي اليهم . فسار اليهم المهاجرون ، منهم أبو بكر وعمر
 وأبو عبيدة ، فتراجعوا الكلام ، فقال بعض الأنصار : منا أمير
 ومنكم أمير (٢٧) . . فقال أبو بكر كلاماً كثيراً مصيباً ، يكثر ويصيب .
 منه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء . ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 قال « الأئمة من قريش » (٢٨) وقال : « أوصيكم بالأنصار خيراً : أن تقبلوا

(٢٦) رواه البخارى في كتاب فضائل الصحابة من صحيحه (ك ٦٢ ب ٥
 — ج ٤ ص ١٩٤) من حديث عائشة . وفي البداية والنهاية للحافظ ابن كثير
 (٥ : ٢٤٢) من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى أحد
 اعلام المسلمين ، عن أبيه أحد المشرة المبشرين بالجنة ، عن عائشة أم المؤمنين
 التى وقعت هذه الحوادث فى بيتها وفى المسجد النبوى الذى يطل بيتها عليه .
 وجميع دواوين السنة سجلت هذا الموقف العظيم للصديق الأكبر بأصح
 الأحاديث . وانفاظها قريب بعضها من بعض (خ)
 (٢٧) الذى قال ذلك من خطباء الأنصار الحباب بن المنذر ، وقد تقدم
 فى هامش ٢١ ص ٥٦ . (خ)

(٢٨) الحديث فى مسند الطيالسى برقم ٩٢٦ عن أبى برزة ، وبرقم ٢١٣٣
 منه عن أنس ، وفى كتاب الأحكام من صحيح البخارى (ك ٩٣ ب ٢ — ج ٨ ص
 ١٠٤ — ١٠٥) عن معاوية أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :
 « ان هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين » .
 وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يزال هذا الأمر فى
 قريش ما بقى منهم اثنان » . وفى مسند الامام أحمد (٣ : ١٢٩ الطبعة الاولى)
 عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام على باب البيت
 ونحن فيه فقال « الأئمة من قريش . ان لهم عليكم حقاً . . الخ » ورواه الامام
 أحمد أيضاً فى المسند (٣ : ١٨٣ الطبعة الاولى) عن أنس قال : كنا فى بيت
 رجل من الأنصار فجاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى وقف فآخذ
 بعضادة الباب فقال : « الأئمة من قريش ، ولهم عليكم حق ، ولكم مثل ذلك . .
 الخ » الامام أحمد كذلك (٤ : ٤٢١ الطبعة الاولى) عن أبى برزة يرفعه الى
 النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الأئمة من قريش : اذا استرحموا

من محسنهم ، وتتجاوزوا عن مسيئتهم^(٢٩) » • ان الله سمانا (الصادقين^(٣٠))
وسماكم (المفلحين^(٣١)) • وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال :
« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (التوبة : ١١٩) •
الى غير ذلك من الأقوال المصيبة والأدلة القوية • فتذكرت الأنصار ذلك
وانقادت اليه ، وبايعوا أبا بكر الصديق رضى الله عنه^(٣٢) •

رحموا ، واذا عاهدوا وفوا ، واذا حكموا عدلوا • فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » (﴿﴾ (خ)

(٢٩) في كتاب مناقب الأنصار من صحيح البخارى (ك ٦٣ ب ١١) من
حديث هشام بن زيد بن أنس قال : سمعت أنس بن مالك يقول : مر أبو بكر
والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار يكون (والظاهر أن ذلك
كان في مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى مات به) فقال : ما يبيكم ؟
قالوا : ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم منا • فدخل على النبي
صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بذلك • قال : فخرج النبي صلى الله عليه
وآله وسلم وقد عصب على رأسه حاشية برد • قال فصعد المنبر — ولم يصعده
بعد ذلك اليوم — فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أوصيكم بالأنصار فانهم
كرشى وعيبتى ، وقد قضوا الذى عليهم وبقي الذى لهم ، فاقبلوا من محسنهم
وتجاوزوا عن مسيئتهم » • وبعده في صحيح البخارى حديث لعكرمة عن ابن
عباس ، وحديث لقتادة عن أنس بمعنى ذلك • وقريب من ذلك في صحيح
مسلم عن أبى سعيد الخدرى ، وفي سنن الترمذى عن ابن عباس • (خ)

(٣٠، ٣١) في سورة الحشر : ٨ — ٩ « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من
ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ،
أولئك هم (الصادقون) ﴿﴾ والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من
هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو
كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم (المفلحون) » • (خ)

(٣٢) نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥ : ٢٤٧) من حديث الامام
أحمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى (ابن اخت أمير المؤمنين

تكملة : ذكر العلامة القارى في شرحه تشرى النخبة ان الحافظ قال في هذا الحديث أنه
متواتر » أه • والحديث تكملة هي « .. لا يقبل منه في صرف ولا عدل » رواه الامام أحمد
والنسائى والفضلاء المتنبسى في « المختارة » • (س)

(﴿﴾ الحديث صحيح لطرقه وشواهده الكثيرة (راجع تخريج الأرواء) (م)

وقال أبو بكر لأسامة : انهض لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
فقال عمر : كيف ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك ! ؟ فقال :
لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ، ما رددت جيشاً انهضه رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم (٣٣) .

وقال له عمر وغيره : اذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم . فقال :

عثمان) خطبة ابي بكر في سقيفة بنى ساعدة ، ومنها قوله : لقد علمتم ان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت
الانصار وادياً سلكت وادي الانصار » (※) . ولقد علمت يا سعد ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال وانت قاعد : « قرىش ولاة هذا الامر : فبسر
الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم » فلقل له سعد : « صدقت ،
نحن الوزراء وانتم الامراء » (※※) .

(٣٣) نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦ : ٣٠٥) عن الحافظ
أبي بكر البيهقي حديث محمد بن يوسف الفريابي الحافظ (قال البخاري :
كان أفضل أهل زمانه) ، عن عباد بن كثير الرملي أحد شيوخه (قال ابن المديني :
كان ثقة لا بأس به) ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (أحد التابعين ، توفي
بالاسكندرية) عن أبي هريرة قال : « والله الذي لا اله الا هو ، لولا أبو بكر
استخلف ما عبد الله » ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة . فقبيل له :
مه يا أبا هريرة . فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجه أسامه
ابن زيد في سبعمائة الى الشام ، فلما نزل بدى خشب قبض رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، وارتدت العرب حول المدينة . فاجتمع اليه
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : يا أبا بكر ، رد هؤلاء ،
توجه هؤلاء الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ! ؟ فقال :
« والذي لا اله غيره ، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ما ردت جيشاً وجهه رسول الله ، ولا حطت لواء عقده رسول الله »
فوجه أسامة ، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد الا قالوا لولا ان لهؤلاء قوة
ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم . فلقوا الروم ،
فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الاسلام . (خ)

(※) رواه البخاري . (م)

(※※) رجاله ثقات الا حميد بن عبد الرحمن . وللحديث شواهد تقوية
(راجع الأحاديث الضعيفة ١١٥٦) . (م)

« والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلنهم عليه . والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة (٣٤) » .
 قيل : ومع من تقاتلهم ؟ قال : « وحدي ، حتى تنفرد سالفتي (٣٥) » .
 وقدم الأمراء على الأجناد والعمال في البلاد مختاراً لهم ، مرتباً فيهم ، فكان ذلك من أسد عمله ، وأفضل [مقدمة] (٣٦) .

(٣٤) لما مضى جيش أسامة في طريقه الى شرق الاردن جعلت وفود القبائل تقدم المدينة ، يقرون بالصلاة ويمتنعون عن اداء الزكاة . قال ابن كثير (٦ : ٣١١) ومنهم من احتج بقوله تعالى « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » (التوبة : ١٠٣) . قالوا : فلسنا ندفع زكائنا الا الى من صلاته سكن لنا . وقد تكلم الصحابة مع الصديق في ان يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الايمان في قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون ، فامتنع الصديق من ذلك واباه . وقد روى الجماعة في كتبهم - سوى ابن ماجه - عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر : علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا الا اله الا الله وان محمداً رسول الله ، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها ؟ » فقال أبو بكر : « والله لو منعوني عناقاً (وفي رواية : عقالا) كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلنهم على منعها ان الزكاة حق المال . والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » قال عمر : فما هو الا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فمرفت أنه الحق . وهذا الحديث في مسند أحمد (١ : ١١ و ١٩ و ٢٥ - ٣٦ الطبعة الأولى - ج ١ رقم ٦٧ و ١١٧ و ٢٣٩ الطبعة الثانية) من حديث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة . وفي البداية والنهاية (٦ : ٣١٢) : قال القاسم بن محمد (ابن أبي بكر الصديق ، وهو أحد الفقهاء السبعة) : اجتمعت أسد وغطفان وطىء على طليحة الأسدي ، وبعثوا وفوداً الى المدينة فنزلوا على وجوه الناس ، فانزلوهم الا العباس ، فحملوهم الى أبي بكر على أن يقيموا الصلاة ولا يؤتوا الزكاة . فعزم الله لأبي بكر على الحق وقال « لو منعوني عقالا لجاهدتهم » (خ)

(٣٥) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، ولا تنفرد احدهما عما يليها الا بالموت . (خ)

(٣٦) غير الشيخ محب النعمي اجتواهاً منه فكتب (عمله وأفضل ما قدمه للإسلام) وهو في جميع النسخ كما أثبتنا ، ولكنه لم ينبه الى ما عمله في النص (صفحة ٤٧) . (س)
 (٣٧) و في طليحة هؤلاء القواد : أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري ، وعمرو بن العاص السهمي ، وخالد بن الوليد المخزومي ، وخالد =

وقال لفاطمة وعلى والعباس : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا نورث ، ما تركنا صدقة » . فذكر الصحابة ذلك (٣٨) .

ابن سعيد بن العاص الاموى ، وزيد بن ابي سفيان ، وعكرمة بن ابي جهل ، والمهاجر بن ابي امية شقيق ام المؤمنين ام سلمة ، وشرجيل بن حسنة ، ومعاوية بن ابي سفيان ، وسهيل بن عمرو العامرى خطيب قريش ، والقعقاع ان عمرو التميمى ، وعرفجة بن هرثمة البارقى ، والعلاء بن الحضرمى حليف بنى امية ، والمثنى بن حارثة الشيبانى ، وحذيفة بن محصن الغطفانى . وفى طليعة ولاته : عتاب بن اسيد الاموى ، وعثمان بن العاص الثقفى ، وزيد ابن لبيد الانصارى ، وابو موسى الاشعرى ، ومعاذ بن جبل ، ويعلى بن منية ، وجريز بن عبد الله الجلى ، وعياض بن غنم ، والوليد بن عقبة بن ابي معيط ، وعبد الله بن ثور احد بنى غوث ، وسويد بن مقرن المزنى .

(٣٨) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (٦٢ ب ١٢ - ج ٤ ص ٢٠٩ - ٢١٠) حديث الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة ان فاطمة ارسلت الى ابي بكر تساله ميراثها من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيما افاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم تطلب صدقة النبى صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم التى بالمدينة فذلك وما بقى من خمس خبير ، فقال ابو بكر : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا نورث » ما تركنا فهو صدقة . انما يأكل آل محمد من هذا المال - يعنى مال الله - ليس لهم ان يزيدوا على الماكل » وانى والله لا اغير شيئاً من صدقات النبى صلى الله عليه وآله وسلم التى كانت عليها فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا عملن فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فتشهد على ثم قال : انا عرفنا يا ابا بكر فضيلتك (وذكر قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحققهم) . فتكلم ابو بكر فقال : والذى نفسى بيده ، لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احب الى ان اصل من قرابتي . واوسع منه فى كتاب المغازى بباب غزوة خيبر من صحيح البخارى (ك ٦٤ ب ٣٨ - ج ٥ ص ٨٢) .

وفى كتاب الوصايا من صحيح البخارى (ك ٥٥ ب ٣٢ - ج ٣ ص ١٩٧) وكتاب فرض الخمس منه (ك ٥٧ ب ٣ - ج ٤ ص ٤٥) حديث ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا يقتسم ورثتى ديناراً ، ما تركت - بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملى - فهو صدقة » . قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة (٢ : ١٥٨) : قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « لا نورث ، ما تركنا صدقة » رواه عنه ابو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، والعباس بن عبد المطلب ، وازواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وابو هريرة ، والزواية عن هؤلاء ثابتة فى الصحاح والمسانيد . وقال قبل ذلك (٢ : ١٥٧) :

ان الله تعالى صان الانبياء ان يورثوا دنيا لثلا يكون ذلك شبهة لمن يقدر في نبوتهم بانهم طلبوا الدنيا وورثوها لورثتهم . ثم ان من ورثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ازواجه ومنهم عائشة بنت ابي بكر وقد حرمت نصيبها بهذا الحديث النبوي ، ولو جرى ابو بكر مع ميله الفطري لاحب ان ترث ابنته .

وفي كتاب فرض الخمس من صحيح البخارى (ك ٥٧ ب ١ - ج ٤ ص ٤٢) حديث ابن شهاب عن عروة بن الزبير ان عائشة ام المؤمنين اخبرت ان فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألت ابا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما آفأ الله عليه ، فقال لها ابو بكر : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا نورث ، ما تركنا صدقة » ... فأبى ابو بكر عليها ذلك وقال : « لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعمل به الا عملت به ، فاني اخشى ان تركت شيئا من أمره أن أزيغ » .

وفي الباب نفسه من صحيح البخارى (ج ٤ ص ٤٢ - ٤٤) من حديث الامام مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان النصرى انه قال : بينما انا جالس في اهلى حين متع النهار اذا رسول عمر بن الخطاب فقال : احب أمير المؤمنين . فانطلقت معه . . . فبينما انا جالس عنده اتاه حاجبه يرفأ فقال : هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابى وقاص يستأذنون ؟ قال : نعم . فأذن لهم . . . ثم جلس يرفأ يسيراً ثم قال : هل لك في على وعباس ؟ قال : نعم : فأذن لهما ، فدخلا فسلما فجلسا . فقال عباس : يا أمير المؤمنين اقض بينى وبين هذا - وهما يختصمان فيما آفأ الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من بنى النضير - فقال الرهط ، عثمان واصحابه : يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح احدهما من الآخر . قال عمر : تيدكم . أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه ؟ قال الرهط : قد قال ذلك . فأقبل عمر على على وعباس فقال : أنشدكما الله ، أتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال ذلك ؟ قالا : قد قال ذلك . (وبعد ان ذكر انه صلى الله عليه وآله وسلم كان ينفق على اهله سنتهم من هذا المال ثم يجعل ما بقى مجمل مال الله ، واستشهدهم على ذلك فشهدوا ، قال) : ثم توفى الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال ابو بكر : انا ولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقبضها ، فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق . ثم توفى الله ابا بكر ، فكانت انا ولى ابى بكر ، فقبضتها سنتين من امارتى . اعمل فيها

وقال : سمعته صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا يدفن نبي الا حيث يموت ^(٣٩) » وهو في ذلك كله راط الجأش ، ثابت العلم والقدم في الدين .

بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما عمل فيها أبو بكر ، والله يعلم اني فيها لصادق بار راشد تابع للحق . ثم جئتماني تكلماني وكلمتكما واحدة وامركما واحد ، جئتني يا عباس تسألني نصيبك من ابن أخيك ، وجاءني هذا — يريد علياً — يريد نصيب امراته من أبيها ، فقلت لكما : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » . فلما بدا لي ان أدفعه اليكما قلت : ان شئتما دفعتهما اليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبما عمل فيها أبو بكر ، وبما عملت فيها منذ وليتها . فقلتما : ادفعها إلينا . فبذلك دفعتهما اليكما . فأنشدكم بالله ، هل دفعتهما اليهما بذلك ؟ قال الرهط : نعم . ثم أقبل على علي وعباس فقال : أنشدكما بالله ، هل دفعتهما اليكما بذلك ؟ قالا : نعم . قال : أفلتتسان مني قضاء غير ذلك ! فوالله الذي باذنه تقوم السماء والأرض ، لا أقضي فيها قضاء غير ذلك ، فان عجزتما عنها فادفعماها الي فاني أكفيكماها .

وأود البخاري حديث مالك بن أوس هذا في كتاب المفازي من صحيحه (ك ٦٤ ب ١٤ - ج ٥ ص ٢٣ - ٢٤) من حديث شعيب عن الزهري عن مالك ابن أوس ، وفي كتاب النفقات من صحيحه (ك ٦٩ ب ٣ - ج ٦ ص ١٩٠ - ١٩٢) ، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيحه (ك ٦٩ ب ٥ - ج ٨ ص ١٤٦ - ١٤٧) . وانظر كتاب الفرائض من صحيح البخاري (ك ٨٥ ب ٣ - ج ٨ ص ٣ - ٥) . ومسند الامام أحمد (١ : ١٣ الطبعة الأولى - ورقم ٧٧ ، ٧٨ الطبعة الثانية) .

وقد نبه شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣ : ٢٣٠) الى أن أبا بكر وعمر أعطيا من مال الله أضعاف هذا الميراث للذين كانوا سيرثونه قال : وانما أخذ منهم قرية ليست كبيرة ، لم يأخذ منهم مدينة ولا قرية عظيمة . ثم قال (٣ : ٢٣١) وقد تولى علي بعد ذلك ، وصارت فدك وغيرها تحت حكمه ، ولم يعط لأولاد فاطمة ولا زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا ولد العباس شيئاً من ميراثه . . . الخ . (خ)

(٣٩) في كتاب الجنائز من موطأ مالك (ك ١٦ ج ٢٧ - ص ٢٣١) أن مالكا بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفي يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء صلى الناس عليه أفذاذاً لا يؤمهم أحد . فقال ناس : يدفن عند المنبر . وقال آخرون : يدفن بالبقيع . فجاء أبو بكر الصديق فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ما دفن نبي قط الا في مكانه الذي توفي فيه »

ثم استخلف عمر ، فظهرت بركة الاسلام ، وثقد الوعد الصادق في
الخليفتين (٤٠) .

ثم جعلها عمر شورى ، فأخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من الأمر حتى

قال الحافظ ابن عبد البر : صحيح من وجوه مختلفة واحاديث شتى جمعها
مالك . وفي كتاب الجنائز من جامع الترمذى (ك ٨ ب ٣٣) حديث عائشة : لما
قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اختلفوا في دفنه ، فقال أبو بكر :
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً ما نسيته ، قال : « وما
قبض الله نبياً الا في الموضع الذى يجب أن يدفن فيه » ادفنوه في موضع
فراشه . وفي كتاب الجنائز من سنن ابن ماجه (ك ٦ ب ٦٥) عن ابن عباس :
لقد اختلف المسلمون في المكان الذى يحفر له ، فقال قائلون : يدفن في مسجده ،
وقال قائلون : يدفن مع أصحابه ، فقال أبو بكر : انى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ما قبض نبي الا دفن حيث يقبض » .
ورواه ابن اسحاق (في السيرة لابن هشام ٣ : ١٠٣ بولاق) من حديث عكرمة
عن ابن عباس . وانظر البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥ : ٢٦٦ - ٢٦٨) .
(خ) .

(٤٠) وهو وعد الله عز وجل في سورة النور : ٥٥ « وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى
لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » . ولقد كان
المجتمع الاسلامى - بتوجيه هذين الخليفتين - أسعد مجتمع انسانى عرفه
التاريخ ، لأن الناس - من ولاية ورعية - كانوا يتعاملون بالايثار ، وكان الواحد
منهم يكتفى بما يفى بحاجته ، ويبذل من ذات نفسه أقصى ما يستطيع أن
يستخرج منها من جهد لاقامة الحق في الارض وتعميم الخير بين الناس . وبقى
الرجل الخير منهم رجلاً لا تزال تنزع به نزعات الشر ، فلا يزال به حتى يخدر
عناصر الشر المتوثبة في نفسه ، ويوقظ ما كمن فيها من عناصر الخير الى أن
يكون من أهل الخير . وفي المنتسبين الى الاسلام حتى يومنا هذا طوائف امتلات
قلوبهم بالضعف حتى على أبى بكر وعمر ، فضلاً عن استعانة بهم أبو بكر وعمر
من أهل الفضل والاحسان ، فصنعوا لهم من الأخبار الكاذبة شخصيات أخرى
غير شخصياتهم التى كانوا عليها في نفس الامر ، ليقتنوا أنفسهم بأنهم ابغضوا
اناساً يستحقون منهم هذه البغضاء . ولهذا امتلأ التاريخ الاسلامى بالكاذب ،
ولن تتجدد للمسلمين نهضة الا اذا عرفوا سلفهم على حقيقته واتخذوا منه قدوة
لهم ، ولن يعرفوا سلفهم على حقيقته الا بتطهير التاريخ الاسلامى مما
الصق به . (خ)

ينظر ويتحرى فيمن يقدم (٤١) فقدم عثمان ، فكان عند الظن به : ما خالف له عهداً ، ولا نكت عقداً ، ولا اقتحم مكروهاً ، ولا خالف سنة (٤٢) .

(٤١) في كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٨ - ج ٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٧) حديث عمرو بن ميمون أحد تلاميذ معاذ وابن مسعود ومن شيوخ الشعبى وسعيد بن جبير وطبقتهما ، وقد اشتمل هذا الحديث على خبر مقتل أمير المؤمنين عمر ، وكيف جعل عمر الخلافة شورى بين الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض ، وكيف أخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه منها . ثم انتهى الى تقديم عثمان . وهذا الحديث من اصح ما ثبت في هذا الموضوع وأجوده . واقرأ بعد ذلك ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية عن موقف عمر في جعله الأمر شورى في كتاب منهاج السنة (٣ : ١٦٨ - ١٧٢) ، وفيه ارشاد دقيق الى ما كان عليه بنو هاشم وبنو أمية من الاتفاق والمحبة والتعاون في أيام النبی صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وعمر ، وان عثمان وعلياً كان أحدهما أقرب الى صاحبه من سائر الأربعة اليهما . ونقل ابن تيمية في (٣ : ٢٣٣ - ٢٣٤) قول الامام احمد : لم يتفق الناس على بيعة كما اتفقوا على بيعة عثمان : ولاه المسلمون بعد تشاورهم ثلاثة أيام ، وهم مؤتلفون متحابون متواردون معتصمون بحبل الله جميعاً . وقد أظهرهم الله ، وأظهر بهم ما بعث به نبيه من الهدى ودين الحق ، ونصرهم على الكفار ففتح بهم بلاد الشام والعراق وبعض خراسان . الخ (خ)

(٤٢) وكيف لا يكون عثمان عند حسن الظن به وقد شهد له بطهارة السيرة وحسن الخاتمة رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى . قال الحافظ ابن حجر في ترجمة عثمان من (الإصابة) : جاء من أوجه « متواترة » أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر عثمان بالجنة ، وعده من أهل الجنة ، وشهد له بالشهادة . والحديث الذى يتواتر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يرتاب فيه ولا يجنح الى غير مدلوله الا الذى يرضى لنفسه بان يقتحم أبواب الجحيم . وروى الترمذى من طريق الحارث بن عبد الرحمن عن طلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لكل نبي رفيق ، ورفيقي في الجنة عثمان » (※) . وقال الحافظ بن عبد البر في ترجمة عثمان من كتاب (الاستيعاب) : ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « سألت ربى عز وجل أن لا يدخل النار أحداً صاهر الى أو صاهرت اليه » (※※) .

(※) قال الترمذى : هذا حديث غريب . وليس اسناده بالقوى . وهو منقطع . (م)

(※※) صححه الحاكم عن طريق عمار بن سيف ووافقه الذهبى وفيه نظر فان عماراً هذا قال الحافظ ضعيف الحديث (راجع الأحاديث الضعيفة) . (م)

وشهادة أخرى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الإنسان الأفضل
يتمنى مثلها أبو بكر وعمر ، فقد روى الامام مسلم في كتاب فضائل الصحابة
من صحيحه (ك ٤٤ ح ٢٦ - ج ٧ ص ١١٦ - ١١٧) عن عائشة أن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال في عثمان : « ألا استحي من رجل تستحي منه
الملائكة ؟ » . وفي صحيح البخاري (ك ٦٢ ب ٧ - ج ٤ ص ٢٠٣) عن نافع عن
عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : كنا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لا نعدل بأبي بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان . ثم نترك أصحاب النبي صلى الله
عليه وآله وسلم لا نفاضل بينهم . وقيل للمهلب بن أبي صفرة : لم قيل لعثمان
ذو النورين ؟ قال : لأنه لم يعلم أن أحداً أرسل سترأ على ابنتي نبي غيره .
وروى خيثمة في فضائل الصحابة عن النزال بن سبرة العامري (أحد الذين
أخذوا عن أبي بكر وعثمان وعلى ، وهو من شيوخ الشعبي والضحاك وطبقتهما)
قال : قلنا لعلي حدثنا عن عثمان ، فقال : « ذلك امرؤ يدعى في الملا الأعلى
ذا النورين » . وقال ابن مسعود حين بويع عثمان بالخلافة « بايعنا خيرنا ،
ولم نأل » . ووصفه علي بن أبي طالب بعد انقضاء أجله فقال « كان عثمان
أوصلنا للرحم ، وكان من الذين آمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب
المحسنين » . وروى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن أباه قال « لقد
عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا عليه » . وعبد الله بن عمر كان
شاهد عيان لخلافة عثمان من أولها إلى آخرها ، وكان أشد الناس في التزام
السنة المحمدية ، ومع ذلك فإنه يشهد لعثمان بأن كل ما عتبوا به عليه كان
يحتمل أن يكون من عمر - وهو أبوه - ولو كان ذلك من عمر لما عتب أحد
به عليه . وقال مبارك بن فضالة مولى زيد بن الخطاب : سمعت عثمان يخطب
وهو يقول « يا أيها الناس ما تنقمون علي ، وما من يوم إلا وأنتم تقتسمون فيه
خيراً » . وقال الحسن البصري : شهدت منادي عثمان ينادي : يا أيها الناس
اغدوا على أعطيائكم ، فيغدون ويأخذونها وافية . يا أيها الناس اغدوا على
أرزاقيكم ، فيغدون ويأخذونها وافية . حتى - والله - سمعته أذنأي يقول
اغدوا على كسوتكم . فيأخذون الحلل . واغدوا على السمن والصل . قال
الحسن : أرزاق دارية ، وخير كثير ، وذات بين حسن . ما على الأرض مؤمن
يخاف مؤمناً ، إلا يوده وينصره ويألفه . فلو صبر الأنصار على الأثرة لو سمعهم
ما كانوا فيه من العطاء والرزق ، ولكنهم لم يصبروا ، وسلوا السيف مع من
سل ، فصار عن الكفار مغمداً ، وعلى المسلمين مسلولا (روى ذلك عنه الحافظ
أبن عبد البر) . وقال ابن سيرين صنو الحسن البصري وزميله وهو أيضاً كان
مماصرأ لعثمان : « كثر المال في زمن عثمان حتى بيعت جارية بوزنها ، وفرس
بمائة ألف درهم ، ونخلة بالف درهم » . وسئل عبد الله بن عمر بن الخطاب
عن علي وعثمان ، فقال للسائل : « قبحك الله ، تسألني عن رجلين - كلاهما
خير مني - تريد أن أغض من أحدهما وأرفع من الآخر ! » . (خ)

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بأن عمر شهيد ، وبأن عثمان شهيد (٤٣) ، وبأن له الجنة على بلوى تصيبه (٤٤) .

وهو زوجه رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أول

(٤٣) عن انس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صعد احداً ، وأبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برحله ، فقال : « اثبت أحد ، فانما عليك نبى وصديق وشهيدان » رواه البخارى . ولعل هذا الحديث هو الذى دعا عثمان الى منع الصحابة من الدفاع عنه ، خشية على ارواح المسلمين ، ما دام المصير محتوماً ! . (م)

(٤٤) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٧ - ج ٤ ص ٢٠٢) حديث أبى موسى الأشعرى قال : ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم دخل حائطا (أى بستانا) وأمرنى بحفظ باب الحائط ، فجاء رجل يستأذن ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ائذن له وبشره بالجنة » فاذا أبو بكر . ثم جاء آخر يستأذن ، فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » فاذا عمر . ثم جاء آخر يستأذن ، فسكت هنيهة ثم قال : « ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه » فاذا عثمان بن عفان . (وانظر صحيح البخارى ك ٦٢ ب ٥ و ٦ - ج ٤ ص ١٩٥ - ١٩٧ و ٢٠١ - ٢٠٢) . ومثله فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح مسلم (ك ٤٤ ح ٢٨ و ٢٩ - ج ٧ ص ١١٧ - ١١٩) من حديث أبى موسى الأشعرى أيضاً . وروى ابن ماجه فى الباب ١١ من مقدمة السنن (ج ١ ص ٢٨ طبعة مصر سنة ١٣١٣) عن محمد بن سيرين من أئمة التابعين ، عن كعب ابن عجرة البلوى حليف الأنصار وأحد الذين شهدوا عمرة الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزلت فيه آية الفدية ١٩٥ من سورة البقرة ، قال كعب بن عجرة : ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتنة فقربها فمر رجل مقنع رأسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « هذا يومئذ على الهدى » فوثبت فأخذت بضبعى عثمان ، ثم استقبلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : هذا ؟ قال : هذا . وفى مسند أحمد (١ : ٥٨ الطبعة الأولى - رقم ٤٠٧ الطبعة الثانية) عن أبى سهلة مولى عثمان - وهو تابعى ثقة - أن عثمان قال يوم الدار حين حصر : « ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد الى عهداً ، فأنا صابر عليه » والحديث عند الترمذى (٤ : ٣٢٤) من طريق وكيع ، وقال : حديث حسن صحيح . وعند ابن ماجه (١ : ٢٨) حديثان أحدهما لأبى سهلة مولى عثمان والآخر لعائشة . وأوردهما الحاكم فى المستدرک على الصحيحين (٣ : ٩٩) عن عائشة . (خ)

مهاجر بعد ابراهيم الخليل صلى الله عليه وآله وسلم ، دخل به في باب « أول من ... » (٤٥) وهو علم كبير جمعه الناس .

ولما صحت امامته قتل مظلوما (٤٦) ، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً .
ما نصب حرباً (٤٧) ولا جيشاً عسكرياً (٤٨) ، ولا سعى الى فتنة (٤٩) ولا دعا الى بعة (٥٠) ، ولا حاربه ولا نازعه من هو من أضرابه ولا أشكاله (٥١) ،

(٤٥) للجلال السيوطي وغيره من العلماء قبله وبعده كتب الفوها في تسمية الأشخاص الذين سبقوا غيرهم الى شيء من الأعمال المحموده وغيرها ، فيقولون (مثلاً) : كان عثمان أول من هاجر في سبيل الله الهجرة الأولى الى الحبشة . (خ) .

تكملة : تسمى هذه الكتب بـ « الأوائل » منها :

- الأوائل : لأبي هلال العسكري .
- الأوائل : للإمام الطبراني . (س)
- الأوائل للإمام القرني .

(٤٦) روى الامام أحمد في مسنده (٢ : ١١٥ الطبعة الاولى - ج ٨ رقم ٥٩٥٣ الطبعة الثانية) عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتنة ، فمر رجل ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما » قال (عبد الله بن عمر) : فنظرت ، فإذا هو عثمان بن عفان . قال الشيخ أحمد شاكر : والحديث رواه الترمذي (٤ : ٣٢٣) ونقل شارحه عن الحافظ ابن حجر أنه قال : اسناده صحيح . وروى الحاكم في المستدرک (٣ : ١٠٢) نحوه من حديث مرة بن كعب وضححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي . (خ)

(٤٧) أى لقتال أهل القبلة . أما حروبه لاعلاء كلمة الله ونشر دعوة الحق فكانت من انشط ما عرفه التاريخ الاسلامي . (خ)

(٤٨) أى للدفاع عن نفسه ، وكبح جماح البغاة عليه . (خ)

(٤٩) بل كان أشد خلق الله كرها لها وحرصاً على تضيق دائرتها ، حقناً لدماء المسلمين ، ولو أدى ذلك به الى أن يكون هو ضحية لغيره . (خ)

(٥٠) وإنما اتته منقادة على غير تشوف منه اليها ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣ : ١٦٤) : « ان الصحابة اجتمعوا على عثمان رضى الله عنه لان ولايته كانت أعظم مصلحة وأقل مفسدة من ولاية غيره . ثم قال في الصفحة التالية : ولا ريب ان الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض - أى الذين عينهم عمر - لا يوجد أفضل منهم ، وان كان في كل منهم ما كرهه فان غيرهم يكون فيه من المكروه أعظم ، ولهذا لم يتول بعد عثمان خير منه ولا أحسن سيرة . (خ)

(٥١) إضراب أمير المؤمنين عثمان وأشكاله هم اخوانه الذين أشركهم أمير المؤمنين عمر في الشورى ، أما الذين استطاع عبد الله بن سبأ وتلاميذه أن

ولا كان يرجوها لنفسه . ولا خلاف أنه ليس لأحد أن يفعل ذلك في غير عثمان ، فكيف بعثمان رضى الله عنه .

وقد سموا من قام عليه ، فوجدناهم أهل أغراض سوء ، حيل بينهم وبينها (٥٢) ، فوعظوا وزجروا (٥٣) ، وأقاموا [بجمع] عند عبد الرحمن

يوقعوهم في جبال الفتنة فيبينهم وبين مستوى أهل الشورى أبعد مما بين الحضيض والقمة ، بل أبعد مما بين الشر والخير . وإن الشر الذي أقحموه على تاريخ الإسلام بحماقاتهم وقصر انظارهم لو لم يكن من نتائجها الوقوف حركة الجهاد الإسلامى فيما وراء حدود الإسلام سنين طويلة لكفى به اثما وجناية . قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢ : ١٨٦) : أن خيار المسلمين لم يدخل واحد منهم في دم عثمان . لا قتل ، ولا أمر بقتله ، وإنما قتله طائفة من المفسدين في الأرض من أوباش القبائل وأهل الفتن . وكان على رضى الله عنه يقول « اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل » (خ)

(٥٢) الذين شاركوا في الجناية على الإسلام يوم الدار طوائف على مراتب : فيهم الذين غلب عليهم الغلو في الدين فأكبروا الهنات وارتكبوا في انكارها الموبقات . وفيهم الذين ينزعون إلى عصبية يمنية على شيوخ الصحابة من قريش ، ولم تكن لهم في الإسلام سابقة . فحسدوا أهل السابقة من قريش على ما أصابوا من مفاتن شرعية جزاء جهادهم وفتوحهم ، فأرادوا أن يكون لهم مثلها بلا سابقة ولا جهاد . وفيهم المتورون من حدود شرعية أقيمت على بعض ذريهم ، فاضطفئوا في قلوبهم الاحنة والغل لأجلها . وفيهم الحمقى الذين استغل السبائون ضعف عقولهم فدفعوهم إلى الفتنة والفساد والعقائد الضالة . وفيهم من أثقل كاهله خير عثمان ومعروفة نحوه ، فكفر معروف عثمان عندما طمع منه بما لا يستحقه من الرئاسة والتقدم بسبب نشأته في أحضانه . وفيهم من أصابهم من عثمان شيء من التعزير لبوادر بدرت منهم تخالف أدب الإسلام ، فأغضبهم التعزير الشرعى من عثمان ، ولو أنهم قد نالهم من عمر أشد منه لرضوا به طائعين . وفيهم المتعطلون بالرياسة قبل أن يتأهلوا لها اغتراراً بما لهم من ذكاء خلاب أو فصاحة لا تفذيها الحكمة ، فثاروا متعجلين بالأمر قبل إبانته . وبالإجمال ، فإن الرحمة التي جبل عليها عثمان وامتلا بها قلبه أطمعت الكثيرين فيه ، وأرادوا أن يتخذوا من رحمته مطية لأهوائهم . وأعلى إذا اتسع لى الوقت أنفرغ لدراسة نفسيات هؤلاء الخوارج على عثمان ، وتنظيم المعلومات الصحيحة التى بقيت لنا عنهم ، ليكون من ذلك درس وعبرة لطلاب التاريخ الإسلامى . (خ)

(٥٣) وقد وعظهم وزجرهم أهل العافية والحكمة والرضا من أميـان

ابن خالد بن الوليد^(٥٤) [يؤنبهم ويؤدبهم] ، حتى تابوا^(٥٥) فأرسل بهم إلى عثمان فتابوا^(٥٦) . وخيرهم فاختاروا التفرق في البلاد ، فأرسلهم . فلما سار كل الى ما اختار أنشأوا الفتنة ، وألبوا الجماعة ، وجاءوا اليه^(٥٧) بجملتهم ، فاطلع عليهم من حائط داره ووعظهم ، وذكرهم ، وورعهم عن دمه^(٥٨) ، وخرج طلحة يبكى وبورع الناس ، وأرسل على^(٥٩) ولديه^(٥٩) ، وقال الناس لهم^(٦٠) : انكم أرسلتم إلينا « أقبلوا الى من غير سنة الله^(٦١) » فلما جئنا قعد هذا في بيته يعنون علياً - وخرجت أنت^(٦٢) تقيض عينيك . والله لا يرحنا حتى نريق دمه .

وهذا قهر عظيم ، وافتتات على الصحابة ، وكذب في وجوههم وبهت

أمصارهم وعلماؤها في الكوفة والبصرة والفسطاط ، ثم وعظهم وزجرهم معاوية في مجالس له معهم عندما سيرهم عثمان الى الشام كما سيجيء عند كلام المؤلف على سطوهم على المدينة - بحجة الحج - فحولوا حجهم الكاذب الى البقى على خليفتهم وسفك دمه الحرام في جوار قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام . (خ)
(٥٤) وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والياً لمعاوية على حمص وما يليها من شمال الشام الى أطراف جزيرة ابن عمر ، وسيأتي الحديث عن أحوالهم عندما قبض عليهم هذا الشبل المخزومي بمثل مغالب أبيه . (خ)
(٥٥) بل تظاهروا بأنهم تابوا ، « وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم » . (خ)

(٥٦) خيرهم عبد الرحمن بن خالد في أن يذهبوا الى عثمان ، فذهب كبيرهم الاشترا النخعي ، وله قصة نذكرها في موضعها من هذا الكتاب . (خ)

(٥٧) أى الى أمير المؤمنين عثمان . (خ)

(٥٨) ورعهم عن الشيء : كفهم ومنعهم بالحجة والحق المنير . (خ)

(٥٩) ليكونا في حراسة أمير المؤمنين عثمان ، ويدافعا عنه بالسلاح اذا شاء . (خ)

(٦٠) أى قال البغاة يخاطبون علياً وطلحة والزبير . (خ)

(٦١) زعم البغاة أنهم تلقوا من على وطلحة والزبير رسائل يدعونهم بها للثورة على عثمان بدعوى أنه غير سنة الله . وسيأتي انكار على وطلحة والزبير أنهم كتبوا بذلك ، والظاهر أن الفريقين صادقان ، وأن منظمى الفتنة من السبائين زوروا الرسائل التى ذكرها البغاة الثائرون . (خ)

(٦٢) الخطاب لطلحة بن عبيد الله . (خ)

لهم • ولو أراد عثمان لكان مستنصراً بالصحابة ، ولنصروه في لحظة (٦٣) •
وانما جاء القوم مستجيرين متظلمين (٦٤) • فوعظهم ، فاستشاطوا • فأراد
الصحابة [اليهم] (*) ، فأوعز اليهم عثمان لا يقاتل أحد بسببه أبداً •
فاستسلم ، وأسلموه برضاه •

وهي مسألة من الفقه كبيرة : هل يجوز للرجل أن يستسلم ، أم يجب
عليه ان يدافع عن نفسه ؟

واذا استسلم وحرم على أحد أن يدافع عنه بالقتل ، هل يجوز لغيره أن
يدافع عنه ولا يلتفت الى رضاه ؟ اختلف العلماء فيها •

فلم يأت عثمان منكراً لا في أول الأمر ، ولا في آخره ، ولا جاء الصحابة
بمنكره وكل ما سمعت من خبر باطل اياك أن تلتفت اليه (٦٦) •



(٦٣) ولقد راوده في ذلك مراراً ، وعرض عليه معاوية أن ينقل دار الخلافة
الى الشام ، أو يمدّه بجند من الشام لا يعرف له التاريخ الا التقدم والظفر • (خ)
(٦٤) أى أن البغاة ظهروا بمظهر المتظلم ، وهو يدعى أموراً يشكوها ، فكان
عثمان يرى لهم حقاً عليه أن يبين لهم وللناس حجته فيما ادعوا ، ووجهة نظره
في الأمور التي زعموا أنهم جاؤوا يتظلمون منها • (خ)

(*) كذا في جميع النسخ « اليهم » (إلا ان الشيخ محب الدين غيره الى « اليهم » دون
ان يشير الى ذلك • والظاهر أن النص كما هو مثبت والمقصود منه انهم ارادوا القيام اليهم
ومدافعتهم عن عثمان [من تعليق الدكتور عمار طالبي] • (س)

(٦٦) ومعيار الأخبار في تاريخ كل أمة الوثوق من مصادرها ، وانظر في
ملائمتها لسجاياء الأشخاص المنسوبة اليهم • وأخبار التاريخ الاسلامي نقلت عن
شهود عيان ذكروها لمن جاءوا بعدهم ، وهؤلاء رووها لمن بعدهم • وقد اندس
في هؤلاء الرواة اناس من اصحاب الأغراض زوروا أخباراً على لسان آخرين
وروجوها في الكتب اما تقريباً لبعض اهل الدنيا ، أو تعصباً لنزعة يحسبونها من
الدين • ومن مزايا التاريخ الاسلامي — تبعاً لما جرى عليه علماء الحديث —
انه قد تخصص فريق من العلماء في نقد الرواية والرواة ، وتمييز الصادقين
منهم عن الكذبة ، حتى صار ذلك علماً محترماً له قواعد ، والفت فيه الكتب ،
ونظمت للرواة معاجم حافلة بالتراجم ، فيها التنبيه على مبلغ كل راو من
الصدق والنسب والأمانة في النقل ، واذا كان لبعضهم نزعات حزبية أو مذهبية

قائمة

قالوا [مبعدين] (٦٧) ؛ متعلقين برواية كذايين : جاء عثمان في ولايته بسظالم ومناكير ، منها :

- ١ - ضربه لعمار حتى فتق أمعاءه .
- ٢ - ولابن مسعود حتى كسر أضلاعه ، ومنعه عطاءه .
- ٣ - وابتدع في جمع القرآن وتأليفه ، وفي حرق المصاحف .
- ٤ - وحمى الحمى .
- ٥ - وأجلى أباذر الى الربذة .
- ٦ - وأخرج من الشام أبا الدرداء .
- ٧ - ورد الحكم بعد أن نفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
- ٩ - ١٢ - وولى معاوية ، (وعبد الله بن عامر بن كريز (٦٨)) ، ومروان .
- وولى الوليد بن عقبة وهو فاسق ليس من أهل الولاية .

قد يجنح معها الى الهوى ذكروا ذلك في ترجمته ليكون دارس اخبارهم ملماً بنواحي القوة والضعف من هذه الاخبار . والذين يتجهجون على الكتابة في تاريخ الاسلام وتصنيف الكتب فيه قبل أن يستكملوا العدة لذلك - ولا سيما في نقد الرواة ومعرفة ما حققه العلماء في عدالتهم أو تجريحهم - يقعون في أخطاء كان في إمكانهم أن لا يقعوا فيها لو أنهم استكملوا وسائل العلم بهذه النواحي . (خ)

(٦٧) في ب ، ج ، ز = مبعدين ، وكتب على هامش (ز) في نسخة مقترين وغيرها الشيخ معب الدين الخطيب الى متعدين . (س)

(٦٨) سقط اسم ابن كريز من الأصل سهواً من الناسخ أو من الطابع في مطبوعة الجزائر ، مع أنه ذكر في الدفاع الآتي بعد . ومطبوعة الجزائر طبعت على أصل سقيم بخط ناسخ غير متمكن . وقد وقع تقديم وتأخير في ترتيب التهم وأجوبتها ، ويلوح لنا أن مجلد الأصل المخطوط الذي طبعت عليه مطبوعة الجزائر وضع بعض الورق في غير مواضعه عند التجليد ، فأعدنا ترتيب التهم وأجوبتها على نسق ، ولم نزد على الأصل كلمة ولم ننقص منه كلمة . وبذلك تلافينا الاضطراب الذي كان بادياً للقارئ في المطبوعة الجزائرية . (خ)

- ١٣ - واعطى مروان خمس افريقية .
- ١٤ - (*) وكان عمر يضرب بالدرة وضرب هو بالعصا (٦٩) .
- ١٥ - وعلا على درجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد انحط عنها أبو بكر وعمر .
- ١٦ - ولم يحضر بدرأ ، وانهم يوم أحد ، وغاب عن بيعة الرضوان .
- ١٧ - ولم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان (الذي أعطى السكين الى أبي لؤلؤة ، وحرّضه على عمر حتى قتله) .
- ١٨ - وكتب مع عبده على [جهله] كتابا الى ابن أبي سرح في قتل من ذكر فيه (٧٠) .



عاصمة

هذا كله باطل سنداً ومتناً . أما قولهم « جاء عثمان بظالم ومناكير » فباطل (٧١) .

١ - ٢ وأما ضربه [لعمار وابن مسعود] ومنعه عطاءه فزور (٧٢) ،

(٦٩) الدرة عصا صغيرة يحملها السلطان يزرع بها . (خ)

(٧٠) هذه الأرقام المسلسلة من عمل الشيخ محب الدين الخطيب وليست من عمل المؤلف رحمه الله . (س)

(٧١) تصرف الشيخ محب فاخر قوله : وكتب مع عبده على جهله [وعنده (خ) : جهله] كتابا الى ...) وقال انه رتب التهم على نسق ولكن جميع النسخ جاءت على خلاف ما تصرف فيه . . . فقدم وآخر صفحاتها - ولا حول ولا قوة الا بالله . (س)

(٧٢) كما تروى من الأدلة التي سيوردها المؤلف في نقض هذه التهم واحدة بعد واحدة حتى يأتي على آخرها . (خ)

(٧٣) تقدم في هامش ص (٧٠) قول عبد الله بن مسعود لما بويع عثمان : « يايعنا خيرنا ولم نال » ويروى « ولينا أعلانا ذا فوق ولم نال » . وعند ولاية عثمان كان ابن مسعود واليا لعمر على اموال الكوفة ، وسعد بن أبي وقاص والياً على صلاتها وحربها ، فاختلف سعد وابن مسعود على قرض استقرضه سعد - كما سيأتي - فعزل عثمان سعداً وأبقى ابن مسعود . والى هنا لا يوجد =

وضربه لعمار افك مثله ، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبداً (٧٢) .

بين ابن مسعود وخليفته الا الصفو . فلما عزم عثمان على تعميم مصحف واحد في العالم الاسلامي يجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على انه هو المصحف الكامل الموافق لآخر عرضة عرض بها كتاب الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته ، كان ابن مسعود يود لو ان كتابة المصحف نيظت به ، وكان يود أيضا لو يبقى مصحفه الذي كان يكتبه لنفسه فيما مضى . فجاء عمل عثمان على خلاف ما كان يوده ابن مسعود في الحالتين : اما في اختيار عثمان زيد بن ثابت لكتابة المصحف الموحد فلان ابا بكر وعمر اختاره قبل ذلك لهذا العمل في خلافة ابي بكر ، بل ان ابا بكر وعمر اختارا زيد بن ثابت في البداية لانه هو الذي حفظ العرضة الاخيرة لكتاب الله على الرسول صلوات الله عليه قبيل وفاته ، فكان عثمان على حق في هذا ، وهو يعلم كما يعلم سائر الصحابة مكانة ابن مسعود وعلمه وصدق ايمانه . ثم كان على حق أيضا في غسل المصاحف الأخرى كلها ومنها مصحف ابن مسعود ، لان توحيد كتابة المصحف على اكمل ما كان في استطاعة البشر هو من أعظم اعمال عثمان باجماع الصحابة ، وكان جمهور الصحابة في كل ذلك مع عثمان على ابن مسعود (انظر منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية ٣ : ١٩١ - ١٩٢) . وعلى كل حال فان عثمان لم يضرب ابن مسعود ولم يمنعه عطائه ، وبقي يعرف له قدره كما بقى ابن مسعود على طاعته لامامه الذي بايع له وهو يعتقد انه خير المسلمين وقت البيعة . (خ)

(٧٣) روى الطبري (٥ : ٩٩) عن سعيد بن المسيب انه كان بين عمار وعباس بن عتبة بن ابي لهب خلاف حمل عثمان على أن يؤدبهما عليه بالضرب . قلت وهذا مما يفعله ولي الأمر في مثل هذه الأحوال قبل عثمان وبعده ، وكم فعل عمر مثل ذلك بأمثال عمار ومن هم خير من عمار بما له من حق الولاية على المسلمين . ولما نظم السبأون حركة الأشاعات ، وصاروا يرسلون الكتب من كل مصر الى الأمصار الأخرى بالأخبار الكاذبة فأشار الصحابة على عثمان بأن يبعث رجالا ممن يثق بهم الى الأمصار حتى يرجعوا اليه بحقيقة الحال ، تناسي عثمان ما كان من عمار وأرسله الى مصر ليكون موضع ثقته في كشف حالها ، فأبطأ عمار في مصر ، والتف به السبأون ليستميلوه اليهم ، فتدارك عثمان وعامله في مصر هذا الأمر وحجى بعمار الى المدينة مكرماً . وعاتبه عثمان لما قدم عليه فقال له على ما رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧ : ٤٢٩) : « يا ابا اليقظان قذفت ابن ابي لهب أن قذفك . . وغضبت على أن أخذت لك بحقك وله بحقه . اللهم قد وهبت ما بيني وبين امتي من مظلمة ، اللهم اني متقرب اليك باقامة حدودك في كل أحد ولا أبالي . أخرج عني يا عمار » فخرج ، فكان اذا لقي العوام نضح عن نفسه وانتفى من ذلك ، واذا لقي من يأمنه أقر

وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن تشتغل بها لأنها مبنية على باطل (٧٤) ، ولا يبنى حق على باطل . ولا تذهب الزمان في مماشاة الجاهل ، فان ذلك لا آخر له .

بذلك وأظهر الندم . فلامه الناس وهجروه وكرهوه . قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣ : ١٩٢ - ١٩٣) : وعثمان أفضل من كل من تكلم فيه ، هو أفضل من ابن مسعود ، وعمار ، وأبي ذر ، ومن غيرهم ممن وجوه كثيرة كما ثبت ذلك بالدلائل ، فليس جعل كلام الفضول قادحا في الفضل بأولى من العكس . وكذلك ما نقل من تكلم عمار في عثمان ، وقول الحسن فيه (أى في عمار) . نقل أن عماراً قال : لقد كفر عثمان كفره صلحاء . فأنكر الحسن بن علي ذلك عليه ، وكذلك علي وقال له : يا عمار ، أتكفر برب أمن به عثمان ؟ قال ابن تيمية : وقد تبين من ذلك أن الرجل المؤمن الذي هو ولي الله قد يعتقد كفر الرجل المؤمن الذي هو ولي الله ، ويكون مخطئاً في هذا الاعتقاد ولا يقدح هذا في إيمان واحد منهما وولايته . كما ثبت في الصحيح أن أسيد ابن حضير قال لسعد بن عباد بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنك منافق تجادل عن المنافقين . وكما قال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبى بلتعة : دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « انه قد شهد بدرأ ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقدت غفرت لكم » فعمر أفضل من عمار ، وعثمان أفضل من حاطب ابن أبى بلتعة بدرجات كثيرة ، وحجة عمر فيما قال لحاطب أظهر من حجة عمار ، ومع هذا فكلاهما من أهل الجنة ، فكيف لا يكون عثمان وعمار من أهل الجنة وان قال أحدهما للآخر ما قال . مع أن طائفة من العلماء أنكروا أن يكون عمار قال ذلك . . . ثم قال شيخ الاسلام : وفي الجملة ، فإذا قيل ان عثمان ضرب ابن مسعود أو عماراً فهذا لا يقدح في أحد منهم . فانا نشهد أن الثلاثة في الجنة ، وأنهم من اكابر اولياء الله المتقين . وان ولي الله قد يصدر عنه ما يستحق عليه العقوبة الشرعية ، فكيف بالتعزير . وقد ضرب عمر بن الخطاب أبى بن كعب بالدرة لما رأى الناس يمشون خلفه وقال : « هذا ذلة للتابع وفتنة للمتبوع » . فان كان عثمان أدب هؤلاء ، فاما أن يكون عثمان مصيباً في تعزيرهم لاستحقاقهم ذلك ، ويكون ذلك الذى عزروا عليه تابوا منه وكفر عنهم بالتعزير وغيره من المصائب أو بحسناتهم العظيمة أو بغير ذلك . واما أن يقال كانوا مظلومين مطلقاً . فالقول في عثمان كالقول فيهم وزيادة ، فانه أفضل منهم ، وأحق بالمغفرة والرحمة . . الخ . (خ) .

(٧٤) أى على ادعاء الكاذبين أعداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أمير المؤمنين عثمان ضرب عماراً حتى فتق أمعاءه ، وضرب ابن مسعود حتى كسر أضلاعه ومنعه عطائه . (خ)

٣- وأما جمع القرآن ، فذلك حسنة العظمى ، وخصلة الكبرى ، وإن كان وجدها كاملة ، لكنه أظهرها ورد الناس إليها ، وحسم مادة الخلاف فيها . وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه حسبما بيناه في كتب القرآن وغيرها (٧٥) .

روى الأئمة بأجمعهم (٧٦) أن زيد بن ثابت قال : أرسل اليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة (٧٧) ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : « إن عمر أتانا فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقاء القرآن ، وإنى أخشى أن

(٧٥) قد قمنا بعمل ترجمة جديدة لابن العربي فانظر هذه الكتب مفصلة فيها . (س)

(٧٦) وفي مقدمتهم الامام أحمد في مسنده (١ : ١٣ الطبعة الاولى - رقم ٧٦ الطبعة الثانية . و ٥ : ١٨٨ - ١٨٩ الطبعة الاولى) . والامام البخارى في صحيحه (كتاب التفسير ك ٦٥ السورة ٩ ب ٢٠ ج ٥ ص ٢١٠ - ٢١١ . وكتاب فضائل القرآن ك ٦٦ ب ٣ و ٤ ج ٦ ص ٩٨ - ٩٩ ، وكتاب الاحكام ك ٩٣ ب ٣٧ ج ٨ ص ١١٨ - ١١٩ . وكتاب التوحيد ك ٩٧ ب ٢٢ ج ٨ ص ١٧٦ - ١٧٧) . (خ)

(٧٧) وذلك لما ارتدت بنو حنيفة برئاسة مسيلمة الكذاب وبتهريض عدو الله الرجال بن عنقوة بن نهشل الحنفى . وكانت قيادة المسلمين لسيف الله خالد بن الوليد ، واستشهد في هذه المحمة زيد بن الخطاب أخو عمر ، وكان حفظة القرآن من الصحابة يتواصون بينهم ويقولون : يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم . وتحنط خطيب الأنصار وحامل لوائهم ثابت بن قيس وليس كفته وحفر لقدميه في الأرض الى أنصاف ساقيه ولم يزل يقاتل وهو ثابت بالراية في موضعه حتى استشهد . وقال المهاجرون لسالم مولى أبى حذيفة : اتخشى أن تؤتى من قبلك ؟ فأجاب بئس حامل القرآن أنا اذن ! وقاتل حتى استشهد . وقال أبو حذيفة : زينوا القرآن بالفعال ، وما زال يقاتل حتى أصيب . ومن استشهد يومئذ حزن بن أبى وهب المخزومى جد سعيد ابن المسيب وكان شعار الصحابة يومئذ : وامحمداه ! وصبروا يومئذ صبراً لم يعهد مثله حتى ألجأوا المرتدين الى حديقة الموت فاعتصم فيها مسيلمة ورجاله . فلعل البراء بن مالك : يا معشر المسلمين القونى عليهم في داخل الحديقة افتح لكم بابها . فاحتملوه فوق الجحف ورفعوه بالرماح والقوه في الحديقة من فوق سورها ، فمازال يقاتل المرتدين دون بابها حتى فتحه ودخل المسلمون

يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، واني أرى أن تجمع القرآن . قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر » . قال زيد : قال [لى] أبو بكر : انك رجل شاب عاقل لا تهملك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ففتبع القرآن فاجمعه » . فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما [كلفاني وأمراني] به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال عمر : « هذا والله خير » . فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر . فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور الرجال (٧٨) ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع [أبي] خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » حتى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر . حتى قدم حذيفة بن اليمان على عثمان (٧٩) ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، [فأفرع] حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها

وكان النصر . وممن افتحم الحديقة أبو دجاجة من مجاهدي بدر حتى وصل إلى مسيلمة وعلاه بالسيف فقتله ، وكسرت رجله رضي الله عنه في تلك الواقعة ثم نال الشهادة . وفي البداية والنهاية (٦ : ٣٣٤ - ٣٤٠) أسماء كثيرين من شهداء هذا اليوم العظيم في الاسلام ، ومنهم حفظة كتاب الله . (خ)
(٧٨) العصب (جمع عسيب) أي جريدة النخل ، وهي السفعة التي لا يثبت عليها الخوص . واللخاف (جمع لخفة) وهي حجارة بيض رقاق . كانوا يكتبون عليهما إذا تعذر الورق (خ)
(٧٩) وحديثه عن ذلك في صحيح البخاري (ك ٦٦ ب ٣ - ج ٦ ص ٩٩) عن ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك . (خ) .

اليك . فأرسلت بها حفصة الى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله ابن الزبي ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فسخوها في المصاحف (٨٠) .

(٨٠) العناية التي بذلها عظيم الاسلام أبو بكر وعمر ، وانهما أخوهما وصنوهما ذو النورين عثمان في جمع القرآن وتثبيته وتوحيد رسمه ، كان لهم بها اعظم المنّة على المسلمين ، وبها حقق الله وعده في قوله سبحانه « انا نحن نزلنا الذكر ، وانّا له لحافظون » . وقد تولى الخلافة بعد هؤلاء الشيوخ الثلاثة أمير المؤمنين عليّ فأمضى عملهم وأقر مصحف عثمان برسمه وتلاوته ، في جميع أوصار ولايته . وبذلك انعقد إجماع المسلمين في الصدور الاول على ان ما قام به أبو بكر وعمر وعثمان هو اعظم حسناتهم . بل نقل بعض علماء الشيعة هذا الإجماع على لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . جاء في كتاب تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني (ص ٤٦) ان علي بن موسى المعروف بابن طاوس (٥٨٩ - ٦٦٤) وهو من علمائهم نقل في كتابه (سعد السعود) عن الشهرستاني في مقدمة تفسيره عن سويد بن علقمة قال : سمعت عليّ ابن أبي طالب عليه السلام يقول : « ايها الناس ، الله ، الله ، اياكم والقلوب في أمر عثمان وقولكم حراق المصاحف ، فوالله ما حرقها الا عن ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، جمعنا وقال : ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها ، يلقي الرجل الرجل فيقول قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يجر الى الكفر ؟ قلنا : ما الرأي ؟ قال : أريد ان أجمع الناس على مصحف واحد ، فانكم ان اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافاً . قلنا : نعم ما رايت » . ومما لا ريب فيه ان البغاة انفسهم كانوا في خلافة عليّ رضي الله عنه يقرأون في مصاحف عثمان التي أجمع عليها الصحابة وعليّ فيهم . لكن نجم لهم اذئاب في العصور التالية فضحوا انفسهم بسخفهم وكفرهم ، كشیطان الطاق محمد بن جعفر الرافضي فيما رواه الامام ابن حزم في (الفصل) ٤ : ١٨١ عن الجاحظ قال : أخبرني أبو اسحاق ابراهيم النظام وبشر بن خالد انهما قالا لمحمد بن جعفر الرافضي المعروف بشيطان الطاق : ويحك ، أما استحيت من الله ان تقول في كتابك في الإمامة : ان الله تعالى لم يقل قط في القرآن « ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » ؟ قالا : فضحك والله شيطان الطاق ضحكا طويلا حتى كانا نحن الذين اذنبنا . وشيطان الطاق هذا أكبر دعاة الشيعة في زمن الامامين زيد وابن أخيه جعفر الصادق ، وهو الذي ابتدع اكذوبة ان الإمامة معهود بها الى اشخاص باعيانهم ، ولم يكن أحد يقول بذلك قبل شيطان الطاق هذا . وانكرها عليه الإمام زيد في مجلس جعفر . ودعوى الرافضة بتبديل القرآن ، مع تصريح عليّ باجماع الصحابة على ما قام به عثمان ، صارت مادة دسمة لدعاة النصارى يحتجون بها ، فقال لهم

=

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : « اذا اختلفتم أتمم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم » ففعلوا .
حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصه ، وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق .

قال ابن شهاب (٨١) : وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت أنه سمع زيد بن ثابت قال : « فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة الأنصاري « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فالحقناها في سورتها في المصحف » .

وأما ما روى أنه حرقها أو خرقتها — بالحاء المهملة أو الخاء المعجمة ، وكلاهما جائز — اذا كان في بقائها فساد ، أو كان فيها ما ليس من القرآن ، أو ما نسخ منه ، أو على غير نظمه ، وقد (٨٢) سلم في ذلك الصحابة كلهم (٨٣)

=
الامام ابن حزم في الفصل (٢ : ٧٨) : « ان الروافض ليسوا من المسلمين ... وهى طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر » . قلت : وآخر من افتضح منهم بهذا الامر وفضح به الشيعة جميعا حسين بن محمد تقى النورى الطبرسى بكتابه الذى اقترفه في المشهد المنسوب لأمير المؤمنين على في النجف سنة ١٢٩٢ وطبع في ايران سنة ١٢٩٨ وعندى نسخة منه . وان من طبيعة التحزب والتعصب والتشيع ان يذهب بعقول أصحابه وأخلاقهم ، ثم يذهب بحياتهم ودينهم ، كما برهن على ذلك علماء علم النفس الاجتماعى وفي مقدمتهم الدكتور غوستاف لوبون . (خ)

(٨١) فيما رواه عنه الامام البخارى في صحيحه (ك ٥٦ ب ١٢ ج ٣ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ، و ك ٦٤ ب ١٧ ج ٥ ص ٣١ ، و ك ٦٥ السورة ٩ ب ٢٠ . والسورة ٣٣ ب ٣ ، و ك ٦٦ ب ٣ و ٤ ، و ك ٩٣ ب ٩٧ ، و ك ٩٧ ب ٢٢) (خ)

(٨٢) في جميع النسخ [وقد] ، فاصلحها الشيخ معب الغطيب (فقد) ولكنه لم ينص على ذلك (صفحة ٧١) . (س)

(٨٣) ولقد حاول بعض الناس أن يلوموا عثمان رضى الله عنه على أمره باحراق المصاحف فقال لهم على بن أبى طالب رضى الله عنه : لو لم يصنعه

الا أنه روى عن ابن مسعود أنه خطب بالكوفة فقال : « أما بعد فإن الله قال « ومن يفلل يأت بما غل يوم القيامة » واني غال مصحفى ، فمن استطاع منكم أن يغل مصحفه فيفعل » . وأراد ابن مسعود أن يؤخذ بمصحفه ، وأن يثبت ما يعلم فيه . فلما لم يفعل ذلك له قال ما قال ، فأكرهه عثمان على رفع مصحفه ، ومحا رسومه فلم تثبت له قراءة أبداً ، ونصر الله عثمان والحق بمحوها من الأرض » (٨٤) .

٤ - وأما [أمر] الحمى ، فكان قديماً (٨٥) ، فيقال ان عثمان زاد فيه

عثمان لصنعتة أنا ، فجزى الله عثمان عن الأمة خير الجزاء ، فقد أحسن وبر فيما صنع ، وكان لله فضل في رد الناس الى قراءة واحدة كفضل أبي بكر في جمع القرآن (راجع الاتقان للسيوطي) . (م) .

(٨٤) عبد الله بن مسعود من كبار علماء الصحابة ومن أجودهم قراءة لكتاب الله . وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة على حسن تلاوة ابن مسعود للقرآن ، فتسارع أبو بكر وعمر ليوصلا اليه بشرى بهذا الثناء النبوي . (انظر مسند أحمد ١ : ٢٥ - ٢٦ الطبعة الأولى - رقم ١٧٥ الطبعة الثانية) . الا أن ابن مسعود كان يكتب ما يوحى من القرآن في مصحفه كلما بلغه نزول آيات منه ، فهو يختلف في ترتيب هذه الآيات عما امتازت به مصاحف عثمان من الترتيب بحسب المرض الأخير على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقدر ما أدى اليه اجتهاد الصحابة المؤيد باجماعهم . ويحتمل ان يكون ابن مسعود فاته في مصحفه بعض ما استقصاه زيد بن ثابت وزملاؤه من الآيات التي كانت عند آخرين من قراء الصحابة . زد على ذلك أن ابن مسعود كانت تغلب عليه لهجة قومه من هذيل ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم رخص لمثل ابن مسعود أن يقرأوا بلهجاتهم ، ولكن ليس لابن مسعود أن يحمل الأمة في زمنه والأزمان بعده على لهجته الخاصة ، فكان من الخير توحيد (※) الأمة على قراءة كتاب ربها باللهجة المضرية التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(٨٥) كان الشريف في الجاهلية اذا نزل أرضاً في حيه استعوى كلباً ، فحمى لخبيله وابله وسوائمه مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره . فلما جاء الاسلام نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا حمى الا الله ورسوله » رواه البخاري

(※) قال ابن كثير في « فضائل القرآن » : « ادعى الطحاوى والباقلاني وابن عبد البر أن قراءة القرآن على سبع لغات كان رخصة في أول الأمر ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة !! » . (م)

لما زادت الرعاية . وإذا جاز أصله للحاجة اليه جازت الزيادة لزيادة الحاجة .
هـ - وأما نفيه (*) أبا ذر إلى الربرة فلم يفعل ^(٨٦) ، كان أبو ذر زاهدا ،

من حديث الصعب بن جثامة في كتاب المساقاة (ك ٤٢ ب ١١) وكتاب الجهاد (ك ٥٦ ب ١٤٦) من صحيحه . ورواه الإمام أحمد في مسنده (٤ : ٧١ و ٧٣ الطبعة الأولى) من حديث الصعب ابن جثامة أيضاً . وقد حمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكاناً يسمى (النقيع) وهو « نقيع الخضعات » كما في مسند الإمام أحمد (٢ : ٩١ و ١٥٥ و ١٥٧ الطبعة الأولى - رقم ٥٦٥٥ و ٦٤٣٨ و ٦٤٦٤ الطبعة الثانية) من حديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حمى النقيع للخيـل . قال حماد بن خالد راوى هذا الحديث عن عبد الله بن عمر العمرى : يا أبا عبد الرحمن خيله ؟ قال : خيل المسلمين (أى المرصودة للجهاد ، أو ما يملكه بيت المال) . والنقيع هذا فى المدينة على عشرين فرسخاً منها ومساحته ميل فى ثمانية أميال كما فى موطأ مالك برواية ابن وهب . ومعلوم أن الحال استمر فى خلافة أبى بكر على ما كان عليه فى زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن أبا بكر لم يخرج عن شىء كان عليه الحال فى زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لاسيما وأن حاجة الجهاد الى الخيل والابل زادت عن قبل . وفى زمن عمر اتسع الحمى فشمل (سرف) و (الربرة) ، وكان لعمر عامل على الحمى هو مولى له يدعى هنياً ، وفى كتاب الجهاد من صحيح البخارى (ك ٥٦ ب ١٨٠) من حديث زيد بن أسلم عن أبيه نص وصية أمير المؤمنين عمر لعامله هذا على الحمى بأن يمنع نعم الأثرياء كعبد الرحمن بن عوف وعثمان ابن عفان ، وأن يتسامح مع رب الغنيمة ورب الصريمة لئلا تهلك ماشيتهما . وكما اتسع عمر فى الحمى عما كان عليه فى زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر لزيادة سوائم بيت المال فى زمنه ، اتسع عثمان بعد ذلك لاتساع الدولة وازدياد الفتوح . فالذى أجازة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسوائم بيت المال ، ومضى على مثله أبو بكر وعمر ، يجوز مثله لبيت المال فى زمن عثمان ، ويكون الاعتراض عليه اعتراضاً على أمر داخل فى التشريع الإسلامى . ولما أجاب عثمان على مسألة الحمى عندما دافع عن نفسه على ملا من الصحابة أعلن أن الذين يلون له الحمى اقتصروا فيه على صدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع ، وأنهم ما منعوا ولا نحوا منها أحداً . وذكر عن نفسه أنه قبل أن يلى الخلافة كان أكثر العرب بعيراً وشاء ، ثم أمسى وليس له غير بعيرين لحجه . وسأل من يعرف ذلك من الصحابة : أكذلك ؟ قالوا : اللهم نعم . (خ) .

(٨٦) وإنما اختار أبو ذر أن يعتزل فى الربرة فوافقه عثمان على ذلك كما سيأتى فى ص ٨٨ ، وأكرمه وجهزه بما فيه راحته . (خ)
(*) : وفى نسخة « د » : بمشه . (س)

وكان يقرّع عمال عثمان ، ويتلو عليهم « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بعذاب أليم » (التوبة : ٣٤) ، ويراهم يتسعون في المراكب والملابس حين وجدوا ، فينكر ذلك عليهم ، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم ، وهو غير لازم . قال ابن عمر وغيره من الصحابة [وهو الحق] (*) : ان ما أدت زكاته فليس بكنز (٨٧) . فوقع بين أبي ذر ومعاوية كلام بالشام (٨٨) ، فخرج الى المدينة ، فاجتمع اليه الناس ، فجعل يسلك تلك الطرق ، فقال له عثمان : « لو اعتزلت » . معناه : انك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس . فان للخلطة شروطاً وللعزلة مثلها . ومن كان على طريقة أبي ذر فحالته يقتضى أن ينفرد بنفسه ، أو يخاطب ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام في الشريعة . فخرج الى الربرة زاهداً فاضلاً ، وترك جلة فضلاء ، وكل على خير وبركة وفضل ، وحال أبي ذر أفضل ، ولا تمكن لجميع الخلق ، فلو كانوا عليها لهلكوا (٨٩) . فسبحان مرتب المنازل .

(*) زيادة من نسخة « د » . (س)

(٨٧) انظر البيان الفقهي والتفصيل الشرعى لهذه المسألة في منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية (٣ : ١٩٨ - ١٩٩) . (خ)
(٨٨) نقل الطبرى (٥ : ٦٦) وأكثر المصادر الاسلامية انه لما ورد ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) الشام لقي أبا ذر فقال : يا أبا ذر الا تعجب الى معاوية يقول « المال مال الله ، الا ان كل شيء لله » كأنه يريد أن يحتج به دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين . فأتاه أبو ذر فقال : ما يدعوك الى أن تسمى مال المسلمين « مال الله » ؟ قال معاوية : يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره ؟ قال أبو ذر : فلا تقله . قال معاوية : فاني لا أقول انه ليس لله ، ولكن سأقول « مال المسلمين » . وأتى ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) أبا الدرداء ، فقال له (أبو الدرداء) : من أنت أظنك والله يهودياً . فاتى (ابن سبأ) عبد الله بن الصامت ، فتعلق به (ابن الصامت) فاتى به معاوية فقال : هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر . (خ)

(٨٩) الذى تحصل عندي من تتبع نصوص الشريعة في أمر المال ، ومراقبتى لتطبيق هذه النصوص في سيرة السلف وعملهم بها ، ان المسلم له في نفسه وذويه من المال الذى يملكه ما يكفيه ويكفيهم بالمعروف كأمثاله وأمثالهم من اهل العفة والقناعة والدين ، وما زاد عن ذلك فعليه اولاً أن يؤدى زكاته الشرعية مباشرة بحسب اجتهاده ان لم يكن اداها للحكومة الاسلامية العاملة بأحكام الشرع . وبعد اداء زكاته يكون صاحب المال في امتحان من الله كيف

ومن العجب أن يؤخذ عليه في أمر فعله عمر ، فقد روى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه سجن ابن مسعود في ثمر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد ، فأطلقهم عثمان ، وكان سجنهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٩٠) .

ووقع بين أبى ذر ومعاوية كلام ، وكان أبو ذر يطلق من الكلام ما لم يكن يقوله في زمان عمر ، فأعلم معاوية بذلك عثمان . وخشى من العامة أن تشور منهم فتنة ، فان أبا ذر كان يحملهم على التزهّد وأمر لا يحتملها

يحسن التصرف فيه بما يرضى الله ويزيد المسلمين قوة وسعادة وعزاً ، فان كان تاجراً فمن طريق التجارة ، أو مزارعاً فمن طريق الزراعة . أو صاحب مصنع فمن طريق الصناعة . والاسلام في دور قيامه استفاد من ثروة أغنياء الصحابة عوناً ويسراً وقوة . وتجارة التاجر المسلم اذا اغنت المسلمين عن متاجر أعدائهم تعتبر قوة لهم بقدر ما يصدق صاحبها في هذه النية ، وكذلك مصنع الصانع المسلم ، وزراعة الزارع المسلم . والنية في هذه الأمور أمرها عظيم ، وميزانها العمل عندما تمس الحاجة اليه . وبالجمله فان للمسلم أن يكون غنياً بلا تحديد ، بشرط أن يكون ذلك من حله ، وأن يكتفى منه بما يكفيهِ بالمعروف ، محاولاً دائماً أن يحرر نفسه من العبودية والانتقيد للكماليات فضلاً عن توافه الحضارة وسفاسفها . وبعد أن يؤدى زكاة ما يملك يعتبر مازاد عن حاجته كالامانة لله تحت يده ، فيتصرف فيه بما يزيد المسلمين ثروة وقوة ويسراً وعزاً وسعادة . أما طريقة أبى ذر في أن لا يبيت المسلم وعنده مال فليست الآن من مصلحة المسلمين . وطريقة أغنياء المسلمين الآن - في أن يعيشوا لأنفسهم ومتعمهم غير مبالين بعزة الاسلام وقوة دولته وحاجة أهله - فليست من الاسلام ، والاسلام لا يعرف الذين لا يعرفونه . (خ)

(٩٠) في كتاب الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٢ : ١٣٩) خبر مرسل رواه شعبة عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه (إبراهيم ابن عبد الرحمن ابن عوف) قال : قال عمر لابن مسعود ولأبى الدرداء ولأبى ذر « ما هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » . قال : وأحسبه لم يدعهم أن يخرجوا من المدينة حتى مات . وقد نبه ابن حزم على أن هذا الخبر مرسل ولا يجوز الاحتجاج به ، وعلق عليه الشيخ أحمد شاكر بأن البيهقي وافق ابن حزم على أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (المتوفى سنة ٦٦ أو ٦٥ عن ٧٥ سنة) لم يسمع من عمر . ولست أدري هل اعتمد ابن العربي في هذه الفقرة على هذا الخبر المرسل أم على خبر آخر لم نطلع عليه » (خ) .

الناس كلهم ، وانما هي مخصوصة ببعضهم ، فكتب اليه عثمان - كما قدمنا - أن يقدم المدينة ، فلما قدم اجتمع اليه الناس ، فقال لعثمان أريد الربذة (٩١) . فقال له . افعل . فاعتزل . ولم يكن يصلح له الا ذلك لطريقته (٩٢) .

٦ - ووقع بين أبي الدرداء ومعاوية كلام . وكان أبو الدرداء زاهداً فاضلاً قاضياً لهم (٩٣) فلما اشتد في الحق ، وأخرج طريقة عمر في قوم لم يحتملوها عزلوه (٩٤) ، فخرج الى المدينة .

(٩١) ولقد ذهب ضحية فرية نفى عثمان أبا ذر الشيخ محمد أبو زهرة فراح يقول في كتابه « المذاهب الاسلامية » (٤٢/١) : « فشكا « معاوية » « أبا ذر » الى « عثمان » فأحضره الى المدينة ، ثم نفاه الى الربذة « هذا خلاف الحقيقة وقد ثبت لنا ذلك فيما سبق . (م)

(٩٢) ذكر القاضي أبو الوليد بن خلدون في العبر (بقية ٢ : ١٣٩) أن أبا ذر استأذن عثمان في الخروج من المدينة وقال : « ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرني أن أخرج منها اذا بلغ البناء سلماً (*) فان له ، ونزل الربذة وبنى بها مسجداً ، وأقطعه عثمان صرمة من الابل ، وأعطاه مملوكين ، وأجرى عليه رزقاً . وكان يتعاهد المدينة . وبين المدينة والربذة ثلاثة أميال ، قال باقوت : وكانت من أحسن منزل في طريق مكة .

(٩٣) أي في دمشق . (خ)

(٩٤) بل ان معاوية نفسه حاول السير على طريقة عمر ، كما نقل ذلك الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٨ : ١٣١) عن محمد بن سعد قال : حدثنا عارم ، حدثنا حماد ابن يزيد ، عن معمر ، عن الزهري « أن معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه . ثم انه بعد عن ذلك » . وقد يظن من لا نظر له في حياة الشعوب وسياستها أن الحاكم يستطيع أن يكون كما يريد أن يكون حيثما يكون . وهذا خطأ ، فلابية من التأثير في الحاكم وفي نظام الحكم أكثر مما للحاكم ونظام الحكم (*) من التأثير على البيئة ، وهذا من معاني قول الله عز وجل : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . (خ)

(*) ان هذا الكلام مبالغ فيه ، وقد جاء الاسلام ليطور البيئات المنحرفة ويصلحها ، لا ليتطور معها كالحرباء . . والا كان لا معنى لنزوله !! وهذه حقيقة يجهلها الكثيرون . (م)

(*) قال أبو ذر : « والله ما سير عثمان أبا ذر ! ولكن رسول الله قال : (وذكر الحديث السابق) فلما بلغ البنيان سلماً خرج أبو ذر الى الشام . صححه الحاكم ووافقه الذهبي وبهذا الحديث تنهار الدعوى السابقة الى الحضيض !! (م)

وهذه كلها مصالح لا تقدر في الدين ، ولا تؤثر في منزلة أحد من المسلمين بحال . وأبو الدرداء وأبو ذر [براءة] (*) من عاب ، وعثمان برىء أعظم براءة وأكثر نزاهة ، فمن روى أنه نفى وروى سبياً فهو كله باطل .

٧ - وأما رد الحكم فلم يصح (٩٥) .

وقال علماؤنا في جوابه : قد كان أذن له فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقال (أى عثمان) (٩٦) لأبى بكر وعمر ، فقالا له : ان كان معك شهيد ردده . فلما ولى قضى بعلمه في رده . وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو كان أباه ولا لينقض حكمه (٩٧) .

(*) كذا في جميع النسخ وقد صححها الشيخ محب الدين هكذا [برهان] ولم يشر إلى ذلك (صفحة ٧٧) . (م)

(٩٥) أى لم يصح زعم البغاة على عثمان أن عثمان خالف في ذلك ما يقتضيه الشرع . (خ)

(٩٦) كتبها الشيخ محب الدين وليست في أى من النسخ ولكنه أراد توضيح السياق . (م)
(٩٧) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣ : ١٩٦) : « وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه (أى في نفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحكم) وقالوا ذهب باختياره . وقصة نفي الحكم ليست في الصحاح ، ولا لها اسناد يعرف به أمرها » ثم قال « لم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة ، فان كان طرده فانما طرده من مكة لا من المدينة ، ولو طرده من المدينة لكان يرسله الى مكة . وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه كما تقدم وقالوا : هو ذهب باختياره . . . وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد عزر رجلاً بالنفي لم يلزم أن يبقى منفياً طول الزمان فان هذا لا يعرف في شيء من الذنوب ، ولم تأت الشريعة بذنب يبقى صاحبه منفياً دائماً . . . وقد كان عثمان شفع في عبد الله بن سعد ابن أبي سرح فقبل الله عليه وآله وسلم شفاعته فيه وبأيعه ، فكيف لا يقبل شفاعته في الحكم ، وقد رووا أن عثمان سأل أن يرده فأذن له في ذلك . ونحن نعلم أن ذنبه دون ذنب عبد الله بن سعد بن أبي سرح . وقصة عبد الله ثابتة معروفة بالاسناد ، وأما قصة الحكم فانما ذكرت مرسله ، وقد ذكرها المؤرخون الذين يكثر الكذب فيما يروونه ، فلم يكن هناك نقل ثابت يوجب القدرح فيمن هو دون عثمان . والمعلوم من فضائل عثمان ومحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

٨ - وأما ترك القصر : فاجتهاد ، اذ سمع أن الناس افتتنوا بالقصر ،
وفعلوا ذلك في منازلهم ، فرأى أن السنة ربما أدت الى اسقاط الفريضة ،
فتركها [مصلحة] (٩٨) خوف الذريعة (٩٩) . مع أن جماعة من العلماء

وسلم له وثناؤه عليه وتخصيصه بابتنيه وشهادته له بالجنة وارساله الى مكة
ومبايعته له عنه وتقديم الصحابة له في الخلافة وشهادة عمر وغيره له بأن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات وهو عنه راض وأمثال ذلك مما يوجب
العلم القطعي بأنه من كبار أولياء الله المتقين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه .
فلا يدفع هذا بنقل لا يثبت اسناده ولا يعرف كيف وقع ويجعل لعثمان ذنب
بأمر لا تعرف حقيقته . . . الخ » وانظر أيضاً ٣ : ٢٣٥ - ٢٣٦ من منهاج
السنة . ونقل الامام أبو محمد بن حزم في كتاب (الامامة والمفاضلة) المدرج
في الجزء الرابع من كتابه « الفصل » ص ١٥٤ قول من احتج لعثمان على من
أنكروا ذلك عليه : « ونفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يكن حداً
واجباً ، ولا شريعة على التأييد ، وإنما كان عقوبة على ذنب استحق به النفي ،
والتوبة مبسطة ، فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من
أهل الاسلام ، وصارت الأرض كلها مباحة » . ونقل مجتهد الزيدية السيد
محمد بن ابراهيم الوزير اليمنى (المتوفى سنة ٨٤٠) في كتابه الروض الباسم
في الذب عن سنة أبي القاسم (١ : ١٤١ - ١٤٢) قول الحاكم المحسن بن كرامة
المعتزلى المتشيع في كتابه سرح العيون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أذن في ذلك لعثمان .

قال ابن الوزير : ان المعتزلة والشيعة من الزيدية يلزمهم قبول هذا
الحديث وترك الاعتراض على عثمان بذلك ، لأن راوى الحديث عندهم من
المشاهير بالثقة والعلم وصحة العقيدة . ثم بسط ابن الوزير الكلام على هذا
الموضوع بحجج واستدلالات استغرقت ثلاث صفحات دفاعاً عن أمير المؤمنين
عثمان في رده الحكم ، وهذه الحجج من أحد أئمة الزيدية ومجتهدين - بعد
روايته ذلك الحديث عن الامام المعتزلى المتشيع - لها دلالتها الخاصة ، بعد
الذى سمعته من امامى أهل السنة شيخ الاسلام ابن تيمية والقاضى ابن العربى ،
ومن امام أهل الظاهر أبى محمد بن حزم . (خ)

(٩٨) ب ، ج ، ز بدون هذه الكلمة ولكنها وجدت في « د » . (م)

(٩٩) كان ذلك في منى في موسم الحج سنة ٢٩ . وقد عاتب عبدالرحمن ابن عوف
عثمان في اتمامه الصلاة وهم في منى ، فاعتذر له عثمان بأن بعض من حج من
أهل اليمن وجفأة الناس قالوا في العام الماضى : ان الصلاة للمقيم ركعتان ،
وهذا امامكم عثمان يصلى ركعتين . ثم قال عثمان لعبد الرحمن بن عوف :
وقد اتخذت بمكة أهلاً (أى أنه صار في حكم المقيم ، لا المسافر) ، فرأيت أن
أصلى أربعاً لخوف ما أخاف على الناس . ثم خرج عبد الرحمن ابن عوف من

.

عند عثمان فلقى عبد الله بن مسعود وخاطبه في ذلك فقال ابن مسعود :
« الخلاف شر » (❖) قد بلغني أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابي أربعاً . فقال
عبد الرحمن بن عوف : « قد بلغني أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابي ركعتين .
رأى الآن فسوف يكون الذي تقول » يعني : نصلى معه أربعاً » (الطبري
٥ : ٥٦ - ٥٧) .

(❖) قد يعترض معترض ، فيقول : كيف يقول ابن مسعود : « الاختلاف
شر » ، والحديث النبوي يقول : « اختلاف امتي رحمة » وللإجابة عن هذا
السؤال نقول أن هذا الحديث لا أصل له . ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا
له على سند فلم يوفقوا ، حتى قال السيوطي في « الجامع الصغير » : « ولعله
خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا » !
وهذا بعيد عندي إذ يلزم منه أنه ضاع على الأمة بعض أحاديثه صلى الله
عليه وآله وسلم ، وهذا مما لا يليق بمسلم اعتقاده . ونقل المناوي عن السبكي
أنه قال :

« وليس بمعروف عند المحدثين ، ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف
ولا موضوع » ، وأقره الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقه على تفسير البيضاوي
(ق ٢/٩٢) .

ثم إن معنى هذا الحديث مستنكر عند المحققين من العلماء ، فقال العلامة
ابن حزم في « الأحكام في أصول الأحكام » (٦٤/٥) بعد أن أشار إلى أنه ليس
بحديث :

« وهذا من أفسد قول يكون ، لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق
سخطاً ، وهذا مالا يقوله مسلم ، لأنه ليس الا اتفاق أو اختلاف ، وليس الا
رحمة أو سخط » . وقال في مكان آخر « باطل مكذوب »

وإن من آثار هذا الحديث السيئة أن كثيراً من المسلمين يقرون بسببه
الاختلاف الواقع بين المذاهب الأربعة ولا يحاولون أبداً الرجوع بها إلى الكتاب
والسنة الصحيحة كما أمرهم بذلك أئمتهم رضي الله عنهم ، بل إن أولئك ليرون
أن مذاهب هؤلاء الأئمة رضي الله عنهم إنما هي كثرائع متعددة ! (كما صرح
المناوي في « فيض القدير » (٢٠٩/١) ، يقولون هذا مع علمهم بما بينها من
اختلاف وتعارض لا يمكن التوفيق بينها إلا برد بعضها المخالف للدليل وقبول
البعض الآخر الموافق له ، وهذا مالا يفعلون ! وبذلك فقد نسبوا إلى الشريعة
التناقض ! وهو وحده دليل على أنه ليس من الله عز وجل لو كانوا يتأملون قوله

==

تعالى في حق القرآن : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)
فالأية صريحة في أن الاختلاف ليس من الله ، فكيف يصح اذن جعله شريعة
متبعة ، ورحمة منزلة ؟

وبسبب هذا الحديث ونحوه ظل اكثر المسلمين بعد الائمة الاربعة الى اليوم
مختلفين في كثير من المسائل الاعتقادية والعملية ؛ ولو انهم كانوا يرون أن
الخلافا شر كما قال ابن مسعود وغيره رضى الله عنهم ودلت على ذلك الآيات
القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة لسعوا الى الاتفاق ولمامكنهم ذلك في أكثر
هذه المسائل بما نصب الله تعالى عليها من الأدلة التي يعرف بها الصواب من
الخطأ ، والحق من الباطل . ثم عذر بعضهم بعضاً فيما قد يختلفون فيه ،
ولكن لماذا هذا السعي وهم يرون أن الاختلاف رحمة ، وأن المذاهب على اختلافها
كشرائع متعددة !!

وان شئت أن ترى أثر هذا الاختلاف والاصرار عليه ، فانظر الى كثير من
المساجد ، تجد فيها أربعة محاريب يصلى فيها أربعة من الائمة ! ولكل منهم
جماعة ينتظرون الصلاة معه كأنهم أصحاب أديان مختلفة ! وكيف لا وعالمهم
يقول : أن مذاهبهم كشرائع متعددة ! يفعلون ذلك وهم يطمون قوله صلى الله
عليه وآله وسلم : (اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة) رواه مسلم وغيره .
ولكنهم يستجيزون مخالفة هذا الحديث وغيره محافظة منهم على المذهب كان
المذهب محترماً عندهم ومحفوظ أكثر من أحاديثه عليه الصلاة والسلام !
وجملة القول أن الاختلاف مذموم في الشريعة ، فالواجب محاولة التخلص
منه ما أمكن ، لانه من أسباب ضعف الأمة كما قال تعالى : « ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم » ، أما الرضا به وتسميته رحمة فخلافاً للآيات
الكريمة المصرحة بذمة ، ولا مستند له الا هذا الحديث الذي لا أصل له عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وهنا قد يرد سؤال وهو :

ان الصحابة قد اختلفوا وافاضل الناس ، أفيلحقهم الذم المذكور ؟

وقد أجاب عنه ابن حزم رحمه الله تعالى فقال (٦٨٠٦٧/٥) :

« كلما يلحق أولئك شيء من هذا ، لأن كل امرئ منهم تحرى سبيل الله ،
ووجهته الحق ، فالخطيء منهم مأجور أجراً واحداً لنيته الجميلة في ارادة
الخير ، وقد رفع عنهم الاثم في خطاهم لأنهم لم يستعمدوه ولا قصدوه
ولا استهانوا بطلبهم ، والمصيب منهم مأجور أجرين ، وهكذا كل مسلم الى يوم
القيامة فيما خفى عليه من الدين ولم يبلغه ، وانما الذم المذكور والوعيد
المنصوص ، لمن ترك التعلق بحبل الله تعالى وهو القرآن وكلام النبي صلى الله
عليه وآله وسلم بعد بلوغ النص اليه وقيام الحجة به عليه ، وتعلق بفلان وفلان

قالوا : ان المسافر مخير بين القصر والاتمام^(١٠٠) ؛ واختلف في ذلك

(١٠٠) ما أحسن كلام القاضى أبى بكر بأن ترك عثمان رضى الله عنه للقصر في الصلاة في السفر « فاجتهاد » وفي الحديث : « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وان اخطأ فله أجر » وعثمان في هذه المرة قد أخطأ ، نقول ذلك بصراحة ، فان الحق احق أن يتبع ، وهو مع ذلك مأجور على اجتهاده .
والدليل على خطئه من قول ابن عمر رضى الله عنهما : « صحبت النبی صلی الله علیه وآله وسلم وكان لا یزید فی السفر علی رکعتین ، وأبا بكر وعمر وعثمان كذلك » رواه البخاری ومسلم رحمهما الله تعالى .
قال الامام الشوكاني : « قوله : وكان لا یزید فی السفر علی رکعتین » فيه ان النبی صلی الله علیه وآله وسلم لازم القصر فی السفر ، ولم یصل فیہ تماماً .

وحديث عائشة المتفق عليه : « فرضت الصلاة ركعتين ، فاقرت صلاة السفر ، وأتمت صلاة الحضر » .
وفي هذين الحديثين دليل قوى على أن القصر للوجوب ، لا للندب كما زعم بعضهم .

والى وجوب القصر في السفر ذهب على وعمر واكثر علماء السلف وفقهاء الامصار وعمر بن عبد العزيز وقتادة والحسن . والحنفية . وقال حماد ابن سليمان : يعيد من يصلى في السفر أربعاً ! وقال مالك : يعيد ما دام في الوقت .

=

مقلداً عامداً للاختلاف داعياً الى عصبية وحمية الجاهلية ، قاصداً للفرقة متحرياً في دعواه برد القرآن والسنة اليها ، فان وافقها النص اخذ به ، وان خالفها تعلق بجاهليته وترك القرآن وكلام النبی صلی الله علیه وآله وسلم فهو لاء هم المختلفون المذمومون . وطبقة اخرى وهم قوم بلغت بهم رقة الدين وقلة التقوى الى طلب ما وافق أهواءهم في قول كل قائل ، فهم يأخذون ما كان رخصة في قول كل عالم ، مقلدين له غير طالبيين ما أوجبه النص عن الله وعن رسوله صلی الله علیه وآله وسلم .

ويشير في آخر كلامه الى « التلفيق » المعروف عند الفقهاء ، وهو أخذ قول العالم بدون دليل وانما اتباعاً للهوى أو الرخص ، وقد اختلفوا في جوازه والحق تحريمه لوجه لا مجال الآن لبيانها . وتجوز به مستوحى من هذا الحديث وعليه استند من قال : « من قلّد عالماً لقي الله سالماً » ! وكل هذا من آثار الأحاديث الضعيفة ، فكأن على حذر منها ان كنت ترجو النجاة (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) . (الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٧٠/١ - ٧٢) . (م)

والقائلون بأن القصر للندب لا للوجوب لا حجة قاطعة لهم والاحاديث التي يحتجون بها غير صحيحة ومن أراد التحقق من ذلك فليراجع كتاب « نيل الأوطار » للشوكاني (٢١٣/٣) .

وقد انكر جماعة من الصحابة على عثمان لما أتم بمنى ، وتأولوا له تأويلات، قال ابن القيم : أحسنها انه كان قد تأهل بمنى . والمسافر اذا أقام بموضع وتزوج فيه ، أو كان له زوجة أتم . وقد روى أحمد عن عثمان أنه قال : أيها الناس لما قدمت تأهلت بها . واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « اذا تزوج رجل ببلد فليصل به صلاة مقيم » وقد أعل البيهقي هذا الحديث بانقطاعه وفي أسناده عكرمة بن إبراهيم وهو ضعيف كما قال البيهقي . قال في الفتح : هذا حديث لا يصح لأنه منقطع ، وفي روايته من لا يحتج به . وكذلك لا يصح ما نسب الى عثمان أنه انما ترك القصر خشية من أن يظن بعض الأعراب ان الصلاة للمقيم ركعتين (راجع هامش ص ٦٤) .

وإذا صح ان عائشة رضي الله عنها تأولت ما تأول عثمان رضي الله عنه فكان يصلى في السفر أربعاً فيصدق عليها ما سبق وقلناه في عثمان رضي الله عنه من انها اجتهدت فأخطأت كما أخطأ الخليفة الراشد . والعصمة للأنبياء فقط . (م)

(١٠١) نقل محمد بن يحيى الأشعري المالكي المعروف بابن بكر (٦٧٤ - ٧٤١) في كتابه (التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان) وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية (برقم ٢٣ تاريخ) أنه روى عن جماعة من الصحابة اتمام الصلاة في السفر ، منهم عائشة وسلمان وأربعة عشر من الصحابة . وفي أبواب التقصير من صحيح البخاري (ك ١٨ ب ٥ - ج ٢ ص ٣٦) حديث الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت : « الصلاة أول ما فرضت ركعتان ، فأقرت صلاة السفر ، وأتمت صلاة الحضر » قال الزهري فقلت لعروة : ما بال عائشة تتم ؟ قال ثم تأولت ما تأول عثمان . وفي مسند أحمد (٤ : ٩٤) عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال : لما قدم علينا معاوية حاجاً قدمنا معه مكة ، فصلى بنا الظهر ركعتين ، ثم انصرف الى دار الندوة . وكان عثمان حين أتم الصلاة اذا قدم مكة صلى بها الظهر والعصر والعشاء الآخرة أربعاً أربعاً ، فاذا خرج الى منى وعرفات قصر الصلاة ، فاذا فرغ من الحج وأقام بمنى أتم الصلاة حتى يخرج من مكة . فلما صلى بنا (أى معاوية) الظهر ركعتين نهض اليه مروان وعمر بن عثمان فقالا له : ما عاب أحد ابن عمك بأقبح مما عبته . قال لهما : وما ذلك ؟ فقالا له : ألم تعلم أنه أتم الصلاة بمكة (فذكرهما أنه صلاهما مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وعمر) قالا : فان ابن عمك كان أتمها (والظاهر أن معاوية رأى أن القصر رخصة ، وأن المسافر على التخيير ، فصلى العصر أربعاً) . (خ)

٩ - وأما معاوية : فعمر ولده ، وجمع له الشامات كلها ، وأقره عثمان . بل انما ولده أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، لأنه ولى أخاه يزيد ، واستخلفه يزيد ، فأقره عمر لتعلقه بولاية أبى بكر لأجل استخلاف واليه له ، فتعلق عثمان بعمر وأقره . فانظروا الى هذه السلسلة ما أوثق عراها ، [وأقدر سردها (١٠٣)] ولن يأتى مثلها بعدها أبداً (١٠٣) .

(١٠٢) سقطت من طبة الشيخ محب الدين الخطيب ولكنها موجودة في المخطوطات وأثبتها الدكتور عمار طالبي . (س) .

(١٠٣) انما بلغت دولة الاسلام في خلافة أبى بكر وعمر الذروة في العزة ، وكانت مضرب الامثال في الفلاح الانسانى وسعادة المجتمع ، لان أبا بكر وعمر كانا يكتشفان بنور الله عز وجل كوامن السجاييا في أهلها وعناصر الرجولة في الرجال ، فيوليانهم القيادة ، ويوثقونهم مقاعد السيادة ، ويأتمنانهم على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهما يعلمان أنهما مسئولان عن ذلك بين يدي الله عز وجل . وقد رأيت ان يزيد بن أبى سفيان وأخاه معاوية كانا من رجال دولة أبى بكر الصديق الذين اختارهم لحمل اعباء الأمة في حربها وسلمها فأحسن بذلك كل الاحسان . ولما ولى يزيد قيادة أحد جيوشه خرج معه أبو بكر يشيعة ماشياً (الطبرى ٤ : ٣٠) . ومعاوية مذكور في التاريخ بعد أخيه يزيد لأنه أصغر منه سناً ، لا لأنه أقل منه في استكمال صفات القيادة والسيادة . وقبل ان يكون معاوية من رجال الدولتين البكرية والعمرية كان أحد الذين استعملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعان بهم ، وكان يدعوهم لذلك في بعض الأحيان - ومعاوية يأكل - ويلج في دعوته ويرسل اليه المرة بعد المرة يستعجله في المجيء اليه . فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولى معاوية شيئاً من عمله قبل ان يوليه أبو بكر وعمر ، وولى يزيد بن أبى سفيان أيضاً كما في فتوح البلدان للبلاذرى (ص ٨٨ طبع مصر سنة ١٣٥٠) . والذين يضطفنون البغضاء والحقد لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولاسيما بنى أمة منهم لم يستطيعوا أن ينكروا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استعمل معاوية في الكتابة له فقالوا انه كان يكتب له ولكنه لم يكن يكتب الوحي . وهم يقولون هذا بوحى اوحى اليهم من الشيطان ، وليس في يدهم نص تاريخى او دليل شرعى يرجعون اليه ، فميزوا بين أمور لا حجة لهم في التمييز بينها . والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كان يميز بين كتبته في أمور دون أمور لتواتر ذلك عنه ولنقله الناقلون كما وقع فيما هو اقل من هذا شأنًا . سألتني مرة أحد شباب المسلمين ممن يحسن الظن برأى في الرجال : ما تقول في معاوية ؟ فقلت له : ومن انا حتى أسأل عن عظيم من عظماء هذه الأمة وصاحب من خيرة أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ انه مصباح من مصابيح

الاسلام ، لكن هذا المصباح سطع الى جانب أربع شمس ملأت الدنيا بأنوارها فغلبت أنوارها على نوره . نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٨ : ١٣٣) عن الليث بن سعد (وهو امام مصر وعالمها ورئيسها المتوفى سنة ١٧٥) قال : حدثنا بكير (وهو ابن عبد الله الأشج المدنى المصرى المتوفى سنة ١٢٧) قال عنه الامام النسائي : ثقة ثبت (عن بسر بن سعيد المدنى (المتوفى سنة ١٠٠) قال عنه ابن معين : ثقة . وقال عنه الليث بن سعد : كان من العباد المتقطعين اهل الزهد فى الدنيا والورع (ان سعد بن أبى وقاص (أحد العشرة المبشرين المبشرين بالجنة) قال : « ما رايت أحداً بعد عثمان اقضى بحق من صاحب هذا الباب » يعنى معاوية . وروى ابن كثير أيضاً (٨ : ١٣٥) عن عبد الرزاق ابن همام الصنعاني أحد الأئمة الاعلام الحفاظ (وكان ينسب الى التشيع) ، عن معمر بن راشد أبى عزوة البصرى ثم اليماني وكان أحد الاعلام ، عن همام ابن منبه الصنعاني وكان ثقة قال : سمعت ابن عباس يقول : « ما رايت رجلاً اخلق بالملك من معاوية » . وهل يكون الرجل اخلق الناس بالملك الا أن يكون عادلاً حكيماً حليماً ، يحسن الدفاع عن ملكه ، ويستعين الله فى نشر دعوة الله فى الممالك الأخرى ، ويقوم بالأمانة فى الأمة التى أئتمنه الله عليها ؟ والذي يكون اخلق الناس بالملك هل يلام عثمان على توليته ؟ ويا عجبا كيف يلام عثمان على توليته وقد ولاه من قبله عمر ، وتولى لأبى بكر من قبل عمر ، وتولى بعض عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن تصير الخلافة الى أبى بكر وعمر وعثمان . ان المخ الذى يعث به الشيطان فيسول له مثل هذه الوسوس لا شك انه مخ فاسد ، يفسد على الناس عقولهم ومنطقهم قبل أن يفسد عليهم دينهم وتاريخهم ، فمن الواجب على محبى الحق والخير أن يتحاموا كل من يحمل فى رأسه مثل هذا المخ كما يتحامون المجدوم . روى الامام الترمذى عن أبى ادريس الخولاني من كبار علماء التابعين وأعلم أهل الشام بعد أبى الدرداء ان عمر ابن الخطاب لما عزل عمير بن سعد الانصارى الأوسى عن حمص وولى معاوية ، قال الناس : عزل عميراً وولى معاوية (قال البغوى فى معجم الصحابة : وكان عمير يقال له « نسيح وحده » . قال ابن سيرين : ان عمر كان يسميه بذلك لاعجابه به . وكان عمير من الزهاد) فقال عمير : لا تذكروا معاوية الا بخير ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « اللهم اهد به » . وبرى أن الذى شهد هذه الشهادة لمعاوية أمير المؤمنين عمر ، فان كان هو الذى شهدها له وروى دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاوية بأن يهدى الله به فذلك أمر عظيم لعظم مكانة عمر . وان كان الذى شهد بذلك عمير ابن سعد الانصارى مع أنه هو المعزول بمعاوية عن ولاية حمص فان ذلك لا يقل عظمة عما لو كانت الشهادة لمعاوية من عمر . وقد علمت أن عميراً من أصحاب

١٠ - وأما عبد الله بن كريز فولاد - كما قال - لأنه كريم العمات والخالات (١٠٠) .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه من زهاد الأنصار . قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣ : ١٨٩) : وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة ، وكان رعيته يحبونه ، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونهم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم . وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » . ولم يتسع المقام هنا لأكثر من هذا ، وسنكمل الصورة الحقيقية لمعاوية عند ذكر خلافته لتعلم الى أي حد كنا مخدوعين بأكاذب أعداء الصدر الأول للإسلام . هذا قطعة من حديث صحيح كما سنرى فيما بعد . (خ) (١٠٤) هو عبد الله بن عامر بن كريز توفي سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨ على أصح الروايات (الذهبي : المعبر ١/ ٦٧) . (س)

(١٠٥) هو عبيد الله بن هاشم الخوالة . فان أم أبيه أروى بنت كريز أمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم عمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ولما ولد أتى به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لبنى عبد شمس : « هذا أشبه بنا منه بكم » ثم تغل في فيه فازدرده ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أرجو أن يكون مسقياً (ﷺ) » ، فكان لا يعالج أرضاً الا ظهر منها الماء . ونشأ سخياً كريماً شجاعاً ميمون النقية كثير المناقب : افتتح حراسان كلها ، وأطراف فارس ، وسجستان ، وكرمان حتى بلغ أعمال غزنة ، وقضى على يزدرج بن شهريار آخر ملوك الفرس . ويعتقد الإيرانيون أن سلسلة ملوكهم بدأت بأدمهم الذي يسمونه (جيومرت) فلم يزل ملك أولاده منتظماً على سباق الى أن كان القضاء الأخير عليه بسلطان الاسلام في خلافة أمير المؤمنين عثمان بجهاد هذا العبيد هاشمي الآباء الهاشمي الخوالة عبد الله بن عامر بن كريز . وهي حرق في قلوب أهل النزعة المجوسية على الاسلام ، وعلى عثمان وابن كريز ، فهم يحقدون على هؤلاء ويحاربونهم الى اليوم بسلاح الكذب ، والفض ، والدسائس ، وسيستمر ذلك الى يوم القيامة . أما صادق الاسلام ممن انجبت ايران أيام كانت شافعية المذهب ، ولما كان ينبغ منها علماء السنة المحمدية قبل ذلك ، وفيهم كبار الأئمة والمحدثون والفقهاء ، فقد نزهوا قلوبهم عن أن يكون فيها غل للذين آمنوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم حتى فتح الله الأفطار على أيديهم ، وهدى الأمم بسببهم ، فهم يحبونهم ويجلونهم على أقدارهم . ونحن لا ندعى العصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

(*) روى ابن عبد البر - كما جاء في الإصابة لابن حجر - نحو هذين الحديثين .

١١ - وأما قولية الوليد بن عقبة [فلأن] الناس - على فساد النيات -
أسرعوا الى السيئات قبل الحسنات . فذكر [الاسفرائيون] (١٠٦) أنه
انما ولاه للمعنى الذى تكلم به . قال عثمان : ما وليته لأنه أخى (١٠٧) ،
وانما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمه رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وتوأمة أبيه . وسيأتى بيانه ان شاء الله (١٠٨) .

وسلم ونتوقع الخطأ من كل انسان صحيحاً كان أو من التابعين أو الذين
يتبعونهم باحسان . ولكن الذين ملأوا الدنيا بالحسنات كآنها الجبال ، فان
الذى يعنى عنها ، ويدس أنفه فى مرمى القاذورات ليستخرج منها ما يدم
المعظماء به ، وان لم يجد يختلق ويكذب ، فان من كرامة المسلم على نفسه أن
يترفع عن الاصفاء لامثال هؤلاء والانخداع لهم . ودع عنك فتوح عبد الله
ابن عامر بن كرزى وصلت الى أقصى المشرق ، وتقويضه آخر أمل
للالبراطورية الجوسية ، فان حسناته الانسانية أيضاً جديرة بالتسجيل .
قال ابن كثير فى البداية والنهاية (٨ : ٨٨) انه « أول من اتخذ الحياض بعرفة
لحجاج بيت الله الحرام وأجرى إليها الماء الممين » . وقال عنه شيخ الاسلام
ابن تيمية فى منهاج السنة (٣ : ١٨٩ - ١٩٠) : « ان له من الحسنات والمجبة
فى قلوب الناس ما لا ينكر » . ومثل هؤلاء الرجال لو كانوا من سلف الانكليز أو
الفرنسيين لخلدوا عظمتهم فى كتب الدراسة والثقافة والتهديب ، فتهافت
وزارات معارفنا على نقل ذلك الى كتبنا المدرسية ، ليؤمن جيلنا بعظمة اسلاف
المستعمرين . أما عظمة اسلافنا نحن فقد سلب الشيطان عليها قلوباً فاسدة
تفيض بالسوء ، وصدق أكاذيبها الاكثرون منا ، فامسنا كالامة التى لا مجد
لها ، بينما هى نائمة على تراث من المجد لا تحلم الانسانية بمثله . (م)
(١١٦) وكتبها الشيخ معب الخطيب (الافترايون) - ولكنها ليست فى أى من المخطوطات
الثلاثة . (س) .

(١٠٧) هو أخوه لأمه أروى بنت كرزى ، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب
ابن هاشم . (خ)

(١٠٨) قد يظن من لا يعرف صدر هذه الامة أن امير المؤمنين عثمان جاء
بالوليد بن عقبة من عرض الطريق فولاه الكوفة . أما الذين أنعم الله عليهم بنعمة
الانسان بأحوال ذلك المصر وأهله فيعلمون أن دولة الاسلام الاولى من خلافة
أبى بكر تلقفت هذا الشاب الماضى العزيمة الرضى الخلق الصادق الايمان
فاستعملت مواهبه فى سبيل الله الى أن توفى أبو بكر ، وأول عمل له فى خلافة
أبى بكر أنه كان موضع السر فى الرسائل الحربية التى دارت بين الخليفة وقائده
خالد بن الوليد فى وقعة المذار مع الفرس سنة ١٢ (الطبرى ٤ : ٧) ، ثم وجهه
مدداً الى قائده عياض بن غنم الفهرى (الطبرى ٤ : ٢٢) ، وفى سنة ١٣ كان

والولاية اجتهاد (١٠٩) ، وقد عزل عمر سعد بن أبي وقاص وقدم أقل

الوليد إلى أبي بكر صدقات قضاة ، ثم لما عزم الصديق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص في الحرمة والثقة والكرامة ، فكتب إلى عمرو بن العاص وإلى الوليد بن عقبة يدعوها لقيادة فيالق الجهاد ، فسار ابن العاص بلواء الاسلام نحو فلسطين وسار الوليد بن عقبة قائداً إلى شرق الأردن (الطبري ٤ : ٢٩ - ٣٠) . ثم رأينا الوليد في سنة ١٥ اميراً على بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة (الطبري ٤ : ١٥٥) يحمى ظهور المجاهدين في شمال الشام لئلا يؤتوا من خلفهم ، فكانت تحت قيادته ربيعة وتنوخ مسلمهم وكافرهم . وانتهر الوليد بن عقبة فرصة ولايته وقيادته على هذه الجهة التي كانت لا تزال مليئة بنصارى القبائل العربية فكان - مع جهاده الحربى وعمله الادارى - داعياً إلى الله يستعمل جميع أساليب الحكمة والموعظة الحسنة لحمل نصارى اياد وتغلب على ان يكونوا مسلمين كسائر العرب . وهربت منه اياد إلى الانضول وهو تحت حكم البيزنطيين ، فحمل الوليد خليفته عمر على كتابة كتاب تهديد إلى قيصر القسطنطينية بأن يردهم إلى حدود الدولة الاسلامية . وحاولت تغلب أن تتمرد على الوليد في نشره الدعوة الاسلامية بين شبابها وأطفالها فغضب غضبه المضرة المؤيدة بالايمان الاسلامى ، وقال فيهم كلمته المشهورة :

إذا ما عصبت الرأس منى بمشوذ ففئك منى تغلب ابنة وائل
وبلغت هذه الكلمة عمر ، فخاف أن يبطش قائده الشاب بنصارى تغلب فبغلت من يده زمامهم في الوقت الذي يحاربون فيه مع المسلمين حمية للعروبة ، فكف عنهم يد الوليد ونحاه عن منطلقتهم . وبهذا الماضي المجيد جاء الوليد في خلافة عثمان فتولى الكوفة له ، وكان من خير ولائها عدلاً ورفقاً واحساناً ، وكانت جيوشه مدة ولايته على الكوفة تسير في آفاق الشرق فاتحة ظافرة موفقة على ما سنذكره فيما بعد . (خ)

(١٠٩) للمؤلف في أواخر هذا الكتاب فصل عنوانه (نكتة) أشار فيه إلى المعاني والحقائق التي يلاحظها ولي الأمر عند « اجتهاده » في تولية الولاية وعزلهم ، وذلك لفقه عظيم ومعارف بديعة بيئها أئمة الاسلام وعلماءه في الفصول التي عقدها للإمامة وسياسة الدولة في كتبهم المصنفة في أصول الدين . وقد زعم طاغية الشيعة ومدلسهم الحسن ابن المطهر الحلبي في كتابه منهاج الكرامة أن عثمان ولي أمور المسلمين من لا يصلح للولاية ، فأجابه شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣ : ١٧٣ - ١٧٦) أن علياً رضى الله عنه ولي زياد بن أبي سفيان وولى الأشتر النخعي وولى محمد بن أبي بكر وأمثال هؤلاء ، ولا يشك عاقل أن معاوية بن أبي سفيان كان خيراً من هؤلاء كلهم . قال : ومن العجب أن الشيعة يتكبرون على عثمان أنه ولي أقاربه من بنى أمية ، ومعلوم أن علياً ولي

أقاربه من قبل أبيه وأمه فولى عبد الله بن عباس على اليمن ، وولى على مكة والطائف قثم بن العباس ، وأما المدينة فقيّل انه ولى عليها سهل بن حنيف وقيل ثمامة ربيبه محمد بن أبى بكر الذى رباه فى حجره (لأنه تزوج أمه بعد وفاة أبى بكر وكان محمد صغيراً) . ثم ان الامامية تدعى أن علياً نص على اولاده فى الخلافة - أو على ولده ، وولده على ولده الآخر وهلم جرا - ومن المعلوم ان كان تولية الأقربين منكراً ، فتولية الخلافة العظمى أعظم من امارة بعض الأعمال ... وإذا قال القائل : لعلّ حجة فيما فعله ، قيل له : وحجة عثمان فيما فعله أعظم . وإذا ادعى لعلّ العصمة ونحوها مما يقطع عنه السنة الطاعنين ، كان ما يدعى لعثمان « الاجتهاد » الذى يقطع السنة الطاعنين أقرب الى المعقول والمنقول ... ثم قال : ان بنى أمية كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستعملهم فى حياته ، واستعملهم بعده من لا يتهم بقزابة فيهم : أبو بكر وعمر ، ولا تعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من بنى عبد شمس ، لأنهم كانوا كثيرين ، وكان فيهم شرف وسؤدد ، فاستعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى عزة الاسلام على أفضل الأرض : مكة عتاب بن أسيد ابن أبى العاص بن أمية ، واستعمل على نجران ابا سفيان بن حرب بن أمية ، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص على صدقات بنى مذحج وعلى صنعاء واليمن حتى مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واستعمل عثمان ابن سعيد بن العاص على تيماء وخيبر وقرى عرينة ، واستعمل ابان بن سعيد ابن العاص على بعض السرايا ثم استعمله على البحرين فلم يزل عليها بعد العلاء ابن الحضرمي (حليف بنى أمية) حتى توفى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فيقول عثمان : انا لم استعمل الا من استعمله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن جنسهم ومن قبيلتهم ، وكذلك أبو بكر وعمر بعده ... فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بنى أمية بالنص الثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أظهر عند كل عاقل من دعوى كون الخلافة فى واحد معين من بنى هاشم بالنص ، لأن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالنقل ، وذلك صدق باتفاق أهل العلم بالنقل (وانظر أيضاً منهاج السنة ٣ : ٢٣٦ - ٢٣٧) . والذى يستعرض حياة عمال عثمان وجهادهم وفضائلهم يراهم فى الذروة العليا من رجال الدولة ، ولا يتردد فى أنهم من بناء الأساس الأقوم فى مجد الاسلام الادارى والعسكرى ، ولهم ثواب نتائج فى الفتح وانتشار دعوة الاسلام بما يعده التاريخ من معجزاته الخارقة للعادات . (خ)

(١١٠) كان ذلك سنة ٢١ ، والذين تولوا بعد سعد : عبد الله بن عبد الله

١٢- وأما قول [القائل] في مروان والوليد فشديد عليهم ، وحكمهم عليهما بالفسق فسق منهم .

مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين .
أما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدي روى عنه (١١١) . وأما التابعون فأصحابه في السنن ، وإن [كان] جازهم باسم الصحبة في أحد القولين (١١٢) وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه ، واعتبار [خلافه] (١١٣) ، والتلفت

ابن عتيان (وفي زمانه كانت وقعة نهاوند) ثم زياد بن حنظلة (وألح في الاستعفاء فأعفى) وولى بعدهما عمار بن ياسر (الطبرى ٤ : ٢٤٦ وما قبلها) . (خ)
(١١١) وروايته عنه في صحيح البخارى وغيره . (خ)

(١١٢) وفي طليعة من روى عنه من كبار التابعين زين العابدين على ابن الحسين السبط ، نص على ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢ : ١٢٣) ، والحافظ بن حجر في الاصابة ، وترى تفصيله في طبقات النافعية الكبرى للتاج السبكي في ترجمة اللغوى الشهر أبى منصور محمد بن أحمد ابن الأزهري صاحب تهذيب اللغة (٢٨٢ - ٣٧٠) . وممن نص الحافظ ابن حجر على روايتهم عن مروان : سعيد بن المسيب رأس علماء التابعين ، واخوانه من الفقهاء السبعة أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (المخزومي) ، وعبيد الله بن عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وعروة بن الزبير ، وأضرابهم كعراك بن مالك الففارى المدنى فقيه أهل دهلك وكان يصوم الدهر ، وكعبد الله ابن شداد بن الهاد أحد الرواة عن عمر وعلى ومعاذ . وإن رواية عروة بن الزبير عن مروان في مسند الامام أحمد (الطبعة الأولى ٤ : ٣٢١ و ٣٢٣ و ٣٢٦ و ٣٢٨ و ٥ : ١٨٩) . ورواية عراك عن مروان نقلها امام أهل مصر الليث بن سعد عن يزيد بن حبيبة في مسند أحمد (٤ : ٣٢٨) ورواية عبد الله بن شداد بن الهاد عن مروان في مسند أحمد (٦ : ٣١٧ و ٣٢٣) . والذي تتأمل في الأحاديث المروية عن مروان يجد حملتها من الأئمة الثقات تتسلسل روايتهم عنه مدة جيلين وأكثر وكلهم أعلى مرتبة في الاسلام من الذين يرددون القل الذى في قلوبهم بالطعن في مروان ومن هو خير من مسروان . بل في رواية أحاديث مروان عبد الرزاق امام أهل اليمن وكانت فيه نزعة تشيع . وفي مسند أحمد (٦ : ٣١٢) حديث عبد الرحمن بن الحارث بن هشام انه كان رسول مروان الى أم المؤمنين أم سلمة في تحقيق بعض الأحكام الشرعية ، وفي ٦ : ٢٩٩ من مسند أحمد نموذج لعظيم عناية مروان بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناقضى ما يمكن أن يصدر عن أئمة المسلمين وأمرائهم . (خ)
(١١٣) في ب ، ج ، ز : خلافته (س) .

الى فتواه ، والالتقياد الى روايته . وأما السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم (١١٤) .

وأما الوليد فقد روى بعض المفسرين أن الله سماه فاسقاً في قوله : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيوا قوماً بجهالة » (الحجرات : ٦) فانها - في قولهم - نزلت فيه ، أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى بنى المصطلق ، فأخبر عنهم أنهم أرتدوا ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اليهم خالد بن الوليد فتثبت في أمرهم فين بطلان قوله . وقد اختلف فيه ، فقليل : نزلت في ذلك (١١٥) ، وقيل : في علي ، والوليد في قصة

(١١٤) ومن غريب امر هؤلاء البغاة والمفتريين أنهم يحملون على مروان ويتهمون به بمختلف التهم ، وهو منها براء . وقد وقع أسيراً يوم الحمل في أيدي أصحاب علي رضي الله عنه ، فلم يمسه أحد بسوء ، لا بأذن علي ، ولا بغير اذنه . (م) .

(١١٥) كنت فيما مضى أعجب كيف تكون هذه الآية نزلت في الوليد ابن عقبة ، ويسميه الله فاسقاً ، ثم تبقى له في نفس خليفتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبي بكر وعمر المكانة التي سجلها له التاريخ وأوردنا الأمثلة عليها في هامش ص ٩٨ عند استعراضنا ماضيه في بضعة عشر عاماً قبل أن يوليه عثمان الكوفة . ان هذا التناقض - بين ثقة أبي بكر وعمر بالوليد بن عقبة ، وبين ما كان ينبغي ان يعامل به لو أن الله سماه فاسقاً - حملنى على الشك في أن تكون الآية نزلت فيه ، لا استبعاداً لوقوع امر من الوليد يمد به فاسقاً ، ولكن استبعاداً لان يكون الموصوم بالفسق في صريح القرآن محل الثقة من رجلين لا نعرف في أولياء الله عز وجل بعد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من هو أقرب الى الله منهما . وبعد أن ساورنى هذا الشك أعدت النظر في الاخبار التي وردت عن سبب نزول الآية « ان جاءكم فاسق بنبأ ... » ، فلما عكفت على دراستها وجدتها موقوفة على مجاهد ، أو قتادة ، أو ابن أبي ليلى ، أو يزيد بن رومان ، ولم يذكر احد منهم أسماء رواة هذه الاخبار في مدة مائة سنة أو أكثر مرت بين أيامهم وزمن الحادث ، وهذه المائة من السنين حافلة بالرواة من مشارب مختلفة ، وان الدين لهم هوى في تسوية سمعة مثل الوليد ومن هم أعظم مقاماً من الوليد قد ملأوا الدنيا أخباراً مريبة ليس لها قيمة علمية . وما دام رواة تلك الاخبار في سبب نزول الآية مجهولين من علماء الجرح والتعديل بعد الرجال الموقوفة هذه الاخبار عليهم ، وعلماء الجرح والتعديل لا يعرفون من أمرهم حتى ولا أسماءهم ، فمن غير الجائز شرعاً وتاريخاً الحكم بصحة هذه الاخبار المنقطعة التي لا نسب لها . وهنالك خبران موصولان

أخرى . وقيل : ان الوليد سيق يوم الفتح في جملة الصبيان الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمسح رؤوسهم وبرك عليهم ، الا هو فقال : انه كان على رأسى خلق ، فامتنع [صلى الله عليه وآله وسلم] (١١٦) من مسه . فمن يكون في مثل هذه السن يرسل مصدقا (١١٧) .

أحدهما عن أم سلمة زعم موسى بن عبيد انه سمعه من ثابت مولى أم سلمة . وموسى بن عبيدة ضعفه النسائي وابن المديني وابن عدي وجماعة . وثابت المزعوم انه مولى أم سلمة ليس له ذكر في كل ما رجعت اليه من كتب العلم ، فلم يذكر في تهذيب التهذيب ولا في تقريب التهذيب ولا في خلاصة تهذيب الكمال ، بل لم أجده ولا في فقصي الاتهام أعنى (ميزان الاعتدال) و (لسان الميزان) . وذهبت الى مجموعة أحاديث أم سلمة في مسند الامام أحمد فقراتها واحداً واحداً فلم أجدها فيها هذا الخبر ، بل لم أجده لام سلمة أى خبر ذكر فيه اسم مولى لها يدعى ثابت . زد على كل هذا ان أم سلمة لم تقل في هذا الخبر - ان صح عنها ، ولا سبيل الى ان يصح عنها - ان الآية نزلت في الوليد ، بل قالت - أى قيل على لسانها - « بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (رجلاً) في صدقات بنى المصطلق » . والخبر الثانى الموصول رواه الطبرى في التفسير عن ابن سعد عن أبيه عن عمه عن أبيه عن ابن عباس . والطبرى لم يلق ابن سعد ولم يأخذ عنه ، لان ابن سعد لما توفى ببغداد سنة ٢٣٠ كان الطبرى طفلاً في السادسة من عمره ولم يخرج الى ذلك الحين من بلده أمل في طبرستان لا الى بغداد ولا غيرها . وابن سعد وان كان في نفسه من أهل العدالة في الدين والجلالة في العلم ، الا ان هذه السلسلة من سلفه يجهل علماء الجرح والتعديل أسماء أكثرهم فضلاً عن ان يعرفوا شيئاً من أحوالهم ، فكل هذه الأخبار من أولها الى آخرها لا يجوز أن يؤخذ بها ، مجاهد كان موضع ثقة أبى بكر وعمر ، وقام بخدمات للإسلام يرجى له بها أعظم المثوبة ان شاء الله . أضف الى كل ما تقدم انه في الوقت الذى حدث فيه لبنى المصطلق الحادثة التى نزلت فيها الآية كان الوليد صغير السن كما سيأتى في الفقرة التالية . (خ)

(١١٦) زيادة من عمل الشيخ محب الدين الخطيب لتوضيح السياق - ولكنها ليست في أى من المخطوطات الثلاثة (س) . .

(١١٧) هذا الحديث عن سن الوليد بن عقبة يوم فتح مكة رواه الامام أحمد في مسنده (٤ : ٣٢ الطبعة الأولى) عن شيخ له هو فياض بن محمد الرقى عن جعفر بن برقان الرقى عن ثابت بن الحجاج الكلابى الرقى عن عبد الله الهمداني وهو (عبد الله بن مالك ابن الحارث) عن الوليد بن عقبة ، والظاهر ان الوليد بن عقبة تحدث بهذا الحديث عندما اعتزل الناس في السنين الأخيرة

وبهذا الاختلاف يستقط العلماء الأحاديث القوية . وكيف يفسق (١١٨)
رجل [يتمثل] هذا الكلام ؟ فكيف برجل من أصحاب محمد صلى الله عليه
وآله وسلم ؟ !

من حياته واختار الإقامة في قرية له من أعمال الرقة ، فتسلسلت رواية الخبر
في الرواة الرقيين وأخذاه الامام أحمد عن شيخ له منهم . وعبد الله الهمداني
ثقة ، لكن التبس اسمه في غير هذه الرواية بهمداني آخر يكنى أبا موسى واسمه
مالك بن الحارث (أى على اسم والد عبد الله الهمداني) وهو مجهول عند أهل
الجرح والتعديل ، أما عبد الله الهمداني الذي ينتهى اليه الخبر في رواية الامام
أحمد فمعروف وموثوق به ، وعلى روايته وأمثاله اعتمد القاضي ابن العربي
في الحكم على سن الوليد بن عقبة بأنه كان صبياً عند فتح مكة وأن الذي نزلت
فيه آية « ان جاءكم فاسق بنبأ » هو شخص آخر . ومن عجيب أمر الذين
كان لهم هوى في تشويه سمعة هذا الصحابي الشاب المجاهد الطيب النفس
الحسن السيرة في الناس أنهم حاولوا ادحاض حجة صغر سنه في ذلك الوقت
بخبر آخر روى عن قدومه مع أخيه عمارة الى المدينة في السنة السابعة للهجرة
ليطلبوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم رد أختهم أم كلثوم الى مكة . وأصل
هذا الخبر - ان صح - مقدم فيه اسم عمارة على اسم الوليد ، وهذا مما
يستأنس به في أن عمارة هو الأصل في هذه الرحلة وأن الوليد جاء في صحبته ،
وأى مانع يمنع قدوم الوليد صبياً بصحبة أخيه الكبير كما يقع مثل ذلك في كل
زمان ومكان ؟ فقول الوليد أنه كان في سنة الفتح صبياً ليس في خبر قدومه
مع أخيه الكبير الى المدينة في السنة السابعة ما يمنعه أو يناقضه . فاذا تقرر
عندك أن جميع الاخبار الواردة بشأن الوليد بن عقبة في سبب نزول آية
« ان جاءكم فاسق بنبأ » لا يجوز علمياً أن يبنى عليها حكم شرعى أو تاريخى ،
واذا أضفت الى ذلك حديث مسند الامام أحمد عن سن الوليد في سنة الفتح ،
يتبين لك بعد ذلك حكمة استعمال أبى بكر وعمر للوليد وثقتهم به واعتمادهما
عليه مع أنه كان لا يزال في صدر شبابه . (خ)

(١١٨) قال محققو تفسير « زاد المسير في علم التفسير » للامام ابن الجوزى
(٤٩١/٧) . طبعة المكتب الاسلامى الذى يديره الأخ الفاضل الاستاذ زهير
الشاويش ، وهو أحد المشتركين في التحقيق :

« ذكر الواحدى أن قوله تعالى : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » نزلت
في الوليد بن عقبة . . . ذكر ذلك في أسباب النزول بغير سند ، ورواه الطبرى
من حديث أم سلمة ، وفي سنده موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف . ورواه
أحمد في « المسند » من حديث الحارث بن ضرار الخزاعى . قال الحافظ
ابن حجر في « تخریج الكشف » : رواه ابن اسحاق ، والطبرانى من حديث

وأما حده في الخمر ، فقد حد عمر قدامة بن مظعون على الخمر وهو أمير وعزله ، [ثم قيل (*) له صالحه] (١١٩) .

أم سلمة ، وفيه موسى بن عبيدة ، وهو ضعيف . قال : ونحوه رواه أحمد والطبراني أيضاً من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي . وأخرجه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن موسى بن المسيب عن سالم ابن الجعد عن جابر . . أ هـ . باختصار . مما سبق ندرك أنه لا مجال لقول المؤلف هنا برد الأحاديث القوية عند الاختلاف والاضطراب . (م)

لأهل العلم في مثل هذه المسألة مذاهب :

— النظر في الناسخ والمنسوخ .

— الجمع بينهما ان أمكن [تاويل مختلف الحديث] .

— النظر في المحكم والمتشابه ، العام والخاص ، المطلق والمقيد .

الى غير ذلك من المذاهب ، وهذا كله ان كان الحديث في نفسه صحيحاً . (س)

(١١٩) قدامة بن مظعون الجمحي أحد السابقين الأولين ، هاجر الهجرتين وشهد بدرأ ، وكان صهر أمير المؤمنين عمر على اخته ، وقيل بل هو خال أم المؤمنين حفصة بنت عمر وأخيها عبيد الله . وفي إمارة قدامة على البحرين في خلافة عمر قدم الجارود سيد بني عبد القيس على عمر من البحرين وادعى أن قدامة شرب فسكر . فقال له عمر : من يشهد معك ؟ قال : أبو هريرة . فاستشهد أبا هريرة فقال : لم أره شرب ، ولكني رأيته سكران يقىء . فقال له عمر : لقد تنطعت في الشهادة . واستقدم قدامة من البحرين ، فقال الجارود لعمر : أقم على هذا كتاب الله . فقال له عمر : أخصم أنت أم شهيد ؟ فقال : شهيد . فقال عمر : قد أدبت شهادتك . فصمت الجارود . ثم غدا على عمر فقال : أقم على هذا حد الله . فقال عمر : لتمسكن لسانك أو لاسوانك . فقال : يا عمر ، ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوؤني . . ثم جرى بزوجة قدامة فأقامت الشهادة على زوجها . وأراد عمر أن يقيم عليه الحد ، فقال له الصحابة : لا نرى أن تحده مادام مريضاً . ثم عاوده فقالوا له كما قالوا من قبل . فقال عمر : لأن يلقى الله تحت السياط أحب الى من أن القاه وهو في عنقي . وحلده . ففاضبه قدامة . وعند قفولهما من الحج جرى به الى عمر ، فكلمه عمر واستغفر له . ومن حسن حظ قدامة ابن مظعون أنه قرشي من بني جمح ، ولو أنه كان قرشياً من بني عبد شمس لانطلقت السنة السوء بالبذاءة عليه واختراع الأكاذيب فيه مادام في الدنيا كذب . (خ)

(*) في جميع النسخ هكذا ، وأصلحه الشيخ محب الدين الخطيب [وقيل أنه صالحه] .

ولم يشر -- رحمه الله -- الى ذلك . (س)

وليس الذنوب مسقطه للعدالة اذا وقعت منها التوبة (١٢٠) .

وقد قيل لعثمان : انك وليت الوليد لانه اخوك لأمك أروى بنت كرز

(١٢٠) هذا حق ، ولكن في مثل ما تقدم عن قدامة بن مظلوم ، وفي مثل ما هو مشهور عند الناس عن أبي محجن الثقفي الشاعر الفارسي الذي كان له يوم أغر في حرب القادسية . أما الوليد بن عقبة المجاهد الفاتح العادل المظلوم (الذي كان منه لامته كل ما استطاعه من عمل طيب ، ثم رأى بعينه كيف ينفى المبتلون على الصالحين وينفذ باطلهم فيهم ، فاعتزل الناس بعد مقتل عثمان في ضيعة له منقطعة عن صخب المجتمع ، وهي تبعد خمسة عشر ميلا عن بلدة الرقة من أرض الجزيرة التي كان يجاهد فيها ويدعو نصاراها الى الاسلام في خلافة عمر) فقد آن لدسائس الكذابين فيه أن ينكشف عنها عوارها . ولا يضير هذا الرجل أن يتأخر انكشاف الحق فيه ثلاثة عشر قرنا ، فان الحق قديم ولا يؤثر في قدمه احتجابه . أراد الوليد بن عقبة - منذ ولي الكوفة لأمير المؤمنين عثمان - أن يكون الحاكم المثالي في العدل والنبل والسيرة الطيبة مع الناس ، كما كان المحارب المثالي في جهاده وقيامه للاسلام بما يليق بالذائدين عن دعوته ، الحاملين لرايته ، الناشرين لرسالته . وقد لبث في امارته على الكوفة خمس سنوات ، وداره الى اليوم الذي زایل فيه الكوفة ليس لها باب يحول بينه وبين الناس ممن يعرف أو لا يعرف ، فكان يفشاها كل من شاء متى شاء من ليل أو نهار . ولم يكن بالوليد حاجة لأن يستتر عن الناس ؛ فالستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

وكان ينبغي أن يكون الناس كلهم محبين لأميرهم الطيب لانه اقام لغربائهم دور الضيافة ، وأدخل على الناس خيرا حتى جعل يقسم المال للولائد والعبيد ورد على كل مملوك من فضول الأموال في كل شهر ما يتسعون به من غير أن ينقص مواليتهم من أرزاقهم . وبالفعل كانت جماهير الشعب متعلقة بحب هذا الأمير المثالي طول مدة حكمه . الا أن فريقا من الأشرار وأهل الفساد أصاب بنيتهم سوط الشريعة بالعقاب على يد الوليد ، فوقفوا حياتهم على ترصد الأذى له . ومن هؤلاء رجال يسمى أحدهم أبا زينب بن عوف الأزدي وآخر يسمى أبا مورع وثالث اسمه جندب أبو زهير قبضت السلطات على أبنائهم في ليلة نقبوا بها على ابن الحيسمان داره وقتلوه ، وكان نازلا بجواره رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جيش خراة يوم فتح مكة فحساء هو وابنه من المدينة الى الكوفة ليسيرا مع أحد جيوش الوليد بن عقبة التي كان يواصل توجيهها نحو الشرق للفتوح ونشر دعوة الاسلام ، فشهد هذا الصحابي وابنه في تلك الليلة سطو هؤلاء الأشرار على منزل ابن الحيسمان ، وأدى شهادته هو وابنه على هؤلاء القتلة السفاحين ، فأنفذ الوليد فيهم حكم الشريعة على باب القصر في الرحبة ، فكتب آباؤهم المهد على أنفسهم للشيطان

ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، فقال : بل لأنه ابن عمه رسول الله صلى

بأن كيدوا لهذا الأمير الطيب الرحيم ، وبشوا عليه العيون والجواسيس ليقربوا
حركاته ، وكان بيته مفتوحا دائما . وبينما كان عنده ذات يوم ضيف له من
شعراء الشمال كان نصرانيا في أحواله من تغلب بأرض الجزيرة وأسلم على
يد الوليد ، فظن جواسيس الموتورين أن هذا الشاعر الذي كان نصرانيا لابد
أن يكون ممن يشرب الخمر ولعل الوليد أن يكرمه بذلك ، فنادوا أبا زينب وأبا
المورع وأصحابهما ، فأتحموا الدار على الوليد من ناحية المسجد ، ولم يكن
لداره باب ، فلما فوجيء بهم نحى شيئا أدخله تحت السرير ، فأدخل بعضهم
يده فأخرجه بلا أذن من صاحب الدار ، فلما أخرج ذلك الشيء من تحت
السرير إذا هو طبق عليه تفاريق عنب ، وإنما نحاه الوليد استحياء أن يروا
طبقه ليس عليه إلا تفاريق عنب ، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون من
الخجل ، وسمع الناس بالحكاية فأقبلوا يسبونهم ويلعنونهم . وقد ستر
الوليد عليهم ذلك وطواه عن عثمان وسكت عن ذلك وصبر . ثم تكررت مكاييد
جندب وأبي زينب وأبي المورع ، وكانوا يفتنمون كل حادث فيسيئون تأويله
ويقتررون الكذب . وذهب بعض الذين كانوا عمالا في الحكومة ونحاهم الوليد عن
أعمالهم لسوء سيرتهم فقصدوا المدينة وجعلوا يشكون الوليد لأمير المؤمنين
عثمان ويطلبون منه عزله عن الكوفة . وفيما كان هؤلاء في المدينة دخل أبو زينب
وأبو المورع دار الإمارة بالكوفة مع من يدخلها من غمار الناس وبقيها فيها
إلى أن تنحى الوليد ليستريح ، فخرج بقية القوم ، وثبت أبو زينب وأبو المورع
إلى أن تمكنا من سرقة خاتم الوليد من داره وخرجا . فلما استيقظ الوليد
لم يجد خاتمه ، فسأل عنه زوجته - وكانت في مخدع تريان منه زوار الوليد
من وراء ستر - فقالتا أن آخر من بقى في الدار رجلا ، وذكرتا صفتها
وحليتهما للوليد ، فعرف أنهما أبو زينب وأبو المورع ، وأدرك أنهما لم يسرقا
الخاتم إلا لمكيدة بيئتهما ، فأرسل في طلبهما فلم يوجداه في الكوفة ، وكانا قد
سافرا توأ إلى المدينة ، وتقدما شاهدين على الوليد بشرب الخمر (وأكبر
ظنى أنهما استلهما شهادتهما المزورة من تفاصيل الحادث الذي سبق وقوعه
لقدامة بن مظعون في خلافة عمر) فقال لهما عثمان : كيف رأيتهما ؟ قالا : كنا
في غاشيته ، فدخلنا عليه وهو يقيء الخمر . فقال عثمان : ما يقيء الخمر
إلا شاربها . فجيء بالوليد من الكوفة فحلف لعثمان وأخبره خبرهم ، فقال
عثمان « نقيم الحدود ، ويؤء شاهد الزور بالنار » .

هذه قصة اتهام الوليد بالخمر كما في حوادث سنة ٣٠ من تاريخ الطبري ،
وليس فيها - على تعدد مصادرها القديمة - شيء غير ذلك . وعناصر الخبر
عند الطبري أن الشهود على الوليد اثنان من الموتورين الذين تعددت شواهد
غلهم عليه ، ولم يرد في الشهادة ذكر الصلاة من أصلها فضلا عن أن تكون

الله عليه وآله وسلم أم حكيم البيضاء جدة عثمان وجدة الوليد لأمهما أروى

انثنين أو أربعا . وزيادة ذكر الصلاة هي الأخرى أمرها عجيب . فقد نقل خبرها عن الحظين بن المنذر (أحد أتباع علي) أنه كان مع علي عند عثمان ساعة أقيم الحد على الوليد ، وتناقل عنه هذا الخبر فسجله مسلم في صحيحه (كتاب الحدود) ب ٨ ح ٣٨ - ج ٥ ص ١٢٦ ، بلفظ شهدت عثمان بن عفان وأتى بالوليد قد صلى الصبح (ركعتين) ثم قال : أزيدكم ؟ فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر ، وشهد آخر أنه رآه يتقيا . فالشاهدان لم يشهدا بأن الوليد صلى الصبح ركعتين وقال أزيدكم ، بل شهد أحدهما بأنه شرب الخمر وشهد الآخر بأنه تقيا . أما صلاة الصبح ركعتين وكلمة أزيدكم فهي من كلام حطين ، ولم يكن حطين من الشهود . ولا كان في الكوفة في وقت الحادث المزعوم ، ثم أنه لم يسند هذا العنصر من عناصر الاتهام إلى إنسان معروف ، ومن العجيب أن نفس الخبر الذي في صحيح مسلم وارد في ثلاثة مواضع من مسند أحمد رويًا عن حطين ، واملأى سمعه من حطين في صحيح مسلم هو الذي سمعه منه في مسند أحمد بمواضع الثلاثة ، فالموضعان الأول والثاني (ج ١ ص ٨٣ و ١٤٠ الطبعة الأولى - ج ٢ رقم ٢٦٤ و ١١٨٤ الطبعة الثانية) ليس فيهما ذكر للصلاة عن لسان حطين فضلا عن غيره ، فلعل أحد الرواة من بعده أدرك أن الكلام عن الصلاة ليس من كلام الشهود فاقصر على ذكر الحد . وأما في الموضع الثالث من مسند أحمد (ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ الطبعة الأولى - ج ٢ رقم ١٢٢٩) فقد جاء فيه على لسان حطين « أن الوليد صلى بالناس الصبح أربعا » وهو يعارض ما جاء على لسان حطين نفسه في صحيح مسلم ، ففي إحدى الروايتين تحريف الله أعلم بسببه . وفي الحالتين لا يخرج ذكر الصلاة عن أنه من كلام حطين وحطين ليس بشاهد ، ولم يرو عن شاهد ، فلا عبرة بهذا الجزء من كلامه . وبعد أن علمت بأمر الموتورين فيما نقله الطبري عن شيوخه . أزيدك علما بأمر حمران ، وهو عبد من عبيد عثمان كان قد عصى الله قبل شهادته على الوليد فتزوج في مدينة الرسول امرأة مطلقة ودخل بها وهي في عدتها من زوجها الأول ، فغضب عليه عثمان لهذا ولأمر أخرى قبله فطرده من رحابه وأخرجه من المدينة ، فجاء الكوفة يعبت فيها فسادا ، ودخل على العابد الصالح عامر بن عبد القيس فافتري عليه الكذب عند رجال الدولة وكان سبب تسييره إلى الشام . وأنا أترك أمر هذا الشاهد والشاهدين الآخرين قبله إلى ضمير القارئ يحكم به عليهم بما يشاء ، وفي اجتهادي أن مثل هؤلاء الشهود لا يقيم بهم حد الله على ظنين من السوق والرعاع فكيف بصحابي مجاهد وضع الخليفة في يده أمانة قطر وقيادة جيوش فكان عند الظن به من حسن السيرة في الناس وصدق الرعاية لأمانات الله ، وكا وضع امثله عند ثلاثة من أكمل خلفاء الاسلام

المذكورة أم حكيم توأمة عبد الله أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
وأى حرج على المرء أن يولى أخاه أو قريبه (١٢٢، ١٢٣) ؟

أبى بكر وعمر وعثمان . وإن قرابة الوليد من عثمان التى يزعم الكذبة أنها
سبب المحاباة منه لهم إنما كانت سبب التسامح من عثمان فى عزلهم والقسوة
عليهم لئلا يقال إن له هوى فى ذوى قرابته . ورأينا الذين يتسلون بأعراض
الناس يتفكهون بأبيات ستة منسوبة الى ماجن خسيس النفس وردت فى ص
٨٥ من ديوانه ، ولا تحملهم سليقة النقد على الشعور بما فى هذه الأبيات من
التضارب والتعارض . فأين مدحه فيها للوليد بقوله :

ورأوا شمائل ماجد انف يعطى على الميسور والعسر
فنزعت مكذوبا عليك ولم تردد الى عوز ولا فقر
من بقية الأبيات التى فيها :

نادى وقد تمت صلاتهم الزيدكم ثملا وما يدرى
فالذى يقول البيت الأخير لا يعقل أن يقول معه البتين الأولين فيكون
مادحا وذاماً فى قطعة واحدة لا تزيد على ستة أبيات . وقد كانت لى مقالة
مطولة عن (التخليط فى الشعر) ضربت فيها الأمثلة على دس أبيات غريبة فى
قصائد من وزنها ورويها لغير ناظمها . وعلى كل حال فالشهود الذين شهدوا
بين يدى عثمان لم يدعوا حكاية الصلاة ، مع أنهم لم يكونوا ممن يخاف الله
واليوم الآخر . والآن أقولها لوجه الله صريحة مدوية أن الوليد لو كان من رجال
التاريخ الأوربى كالويس التاسع الذى أسرناه فى دار ابن لقمان بالمنصورة لعدوه
قديساً ، لأن لويس لم يحسن الى فرنسا كاحسان الوليد بن عقبة الى أمته ،
ولم يفتح للنصرانية كفتح الوليد للإسلام ، والعجب لامة تسيء الى أبطالها ،
وتشوه جمال تاريخها ، وتهدم أمجادها كما يفعل الأشرار منا ، ثم ينشر كيد
هؤلاء الأشرار حتى يظن الأخيار أنه هو الحق . (خ)

(١٢١) وقد تقدم فى هامش ص ٩٨ أن امير المؤمنين على بن أبى طالب جعل
الامراء فى مدة خلافته على أكثر أمصار حكمه من ذوى قرابته . وإن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ولى رجال بنى أمية وشبابهم . وكذلك فعل أبو بكر
وعمر ، فلم يفعل عثمان الا الذى سبقه اليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم
وصاحباه . بل إن عثمان لما أقام الحد على أخيه لأمه فعل ما لا نظن أحداً
يفعله بشهادة الشهود المفرضين الذين لم يريدوا الله بشهادتهم . وإذا كان
الشهود على الوليد من هذه الطبقة المفرضة ، فقد شهد له بظهر الغيب قاض
من أعظم قضاة الاسلام فى التاريخ علماً وفضلاً وانصافاً وهو الامام عامر بن
شراحيل الشعبى . روى الطبرى (٥ : ٦٠) أن الشعبى سمع فى أوائل بطولة
مسلمة بن عبد الملك حفيداً للوليد بن عقبة يتحدث عن جهاد مسلمة ، فقال

الشعبي : « كيف لو أدركتم الوليد غزوة وامارته ؟ ان كان ليفزو فينتهي الى كذا وكذا ... ما قصر ، ولا انتقض عليه أحد . حتى عزل عن عمله وعلى الباب (اى الدربند ، وراء بحر الخزر في روسيا ، وكان من أمنع معاقل الدنيا) عبد الرحمن الباهلى (وهو من أعظم قواد الوليد) . وان كان مما زاد عثمان على يده (اى على يد الوليد) أن رد على كل مملوك بالكوفة من فضول الاموال ثلاثة في كل شهر يتسعون بها من غير أن ينقص مواليتهم من ارزاقهم » . فهذه الشهادة من الامام الشعبي للوليد في جهاده الحربى الظافر ، وفي احسانه لرعيته في معاشيتهم ، تفقاً عيون المبطلين ، وتقر أعين الصالحين ، وصدق أمير المؤمنين عثمان يوم طيب قلب أخيه المظلوم بقوله « نقيم الحدود ، ويبوء شاهد الزور بالنار » . « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك غفور رحيم » . (خ)

(١٢٢) ومما يؤسف له ان الشيخ محمداً أباً زهرة الاستاذ في كلية الشريعة بجامعة القاهرة انساق مع من انساقوا في أن من اسباب الثورة على عثمان رضى الله عنه :

« اشتهاره بحبه لقرباته ، وليس في ذلك اثم ولا لوم ، ولكنه ولائهم وقرئتهم ، وكان يستشيرهم في كثير من شؤون الدولة ، وفيهم من ليس أهل للثقة ، وبمقدار الاكثار من استشارتهم لم يكثر من استشارة عليه الصحابة : كملى بن أبى طالب ، وسعد بن أبى وقاص ، وطلحة وغيرهم .. (المذاهب الاسلامية ص ٤٣) » .

نستدرك على عبارة الاستاذ أبى زهرة ما يلى :

اولاً : ليس في تولية الأقارب اثم ولوم ما داموا اكفاء مخلصين ، فقد ولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن عمه علياً بن أبى طالب على الاخماس باليمن والقضاء بها كما ولى كثيراً من رجال بنى أمية المناصب الهامة ، وهم يمتون اليه بالقرابة (راجع جوامع السيرة لابن حزم) وكذلك فعل على بن أبى طالب لما ولى الخلافة فكان من ولاته عبد الله بن عباس وقثم ابن عباس ، وثعامة بن عباس ..

ثانياً : كنا نتمنى من الاستاذ أبى زهرة ان يذكر لنا مثالا من اقرباء عثمان رضى الله عنه الذين ليسوا أهلاً للثقة كما زعم . كما تقدم معنا . ولعله يقصد بذلك مروان بن الحكم ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح الذى قال عنه (ص ٤٤) « كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أباح دمه اذ ارتد بعد ايمان ، وقدولاه بعد عمرو بن العاص ... » .

أما مروان فقد تحدث عنه مؤلف العواصم ما فيه الكفاية .. وأما عبد الله بن سعد فقد ذكر الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى في منهاج

١٣ - وأما اعطاؤه خمس افريقية لواحد فلم يصح (١٣٣) . على أنه قد

السنة (١٩٦) : « كان عثمان شفع في عبد الله بن سعد فقبل صلى الله عليه وآله وسلم شفاعته فيه وبأبعه ! » .

وقد أبلى هذا الصحابي بلاء حسناً في محاربة الروم ففتح بلاد النوبة وصالحه أهلها على دفع الجزية واشترك مع معاوية رضي الله عنه في تأسيس الأسطول الإسلامي وفي معركة « ذات الصواري » في حرب الروم حتى أتم النصر للمسلمين عليهم ، وكان لأسطول ابن سعد الفضل في حماية سواحل مصر وأفريقية من غزو الروم فرحمه الله وجزاه عن الإسلام خير الجزاء .

ثالثاً : وما قاله الاستاذ أبو زهرة من اكثار استشارته لأقربائه من بنى أمية ، وعدم الاكثار من استشارة كبار الصحابة ، فكلام متهافت لا دليل له عليه ، والأدلة على عكس ما يقول أكثر من أن تذكر ، وهي مبينة بتفصيل في بطون كتب التاريخ ويعرفها حتى صفار الطلبة !

وقد كان عثمان رضي الله عنه عالماً بكل ذلك ، فكيف يكون من الحزم أن يتقاتل المسلمون ويذهب منهم كثير من الضحايا ، وهو عارف أنه مقتول لا محالة ؟ !

ومما أخذه الاستاذ أبو زهرة وغيره على عثمان رضي الله عنه كما جاء في المصدر السابق (ص ٤٦) .

« لم يكن رضي الله عنه حازماً مع الذين ثاروا عليه وهاجموا داره .. ولو أنه أخذ أولئك المصاة بالشدة .. لآدى ذلك الى نجاته ... ولقد كان عظماء الصحابة على استعداد لنصرته ، وكلما هموا بحمل السلاح ثبطهم ... وقد منعمهم سيدنا عثمان ايثاراً للعاقبة ومنعاً للقتل والقتال بين المسلمين .. » .

لقد غاب عن الاستاذ أبي زهرة أن عثمان رضي الله عنه كان عالماً بمصيره فقد بشره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة على بلوى تصيبه كما جاء في صحيح البخاري ، كما بشره بالشهادة أيضاً فمن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صعداً أحداً ، وأبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله فقال : « اثبت أحد ، فانما عليك نبي وصديق وشهيدان » رواه البخاري .

ان الحزم كل الحزم كان ما فعله هذا الخليفة الراشد ! (م)

(١٢٢) والذي صح هو اعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن أبي سرح جزاء جهاده المشكور ، ثم عاد فاسترده منه . جاء في حوادث سنة ٢٧ من تاريخ الطبري (٥ : ٤٩ مصر ، ١ : ٢٨١٤ - ٢٨١٥ طبع أوربا) أن عثمان لما أمر عبد الله ابن سعد ابن أبي سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له : « ان فتح الله عليك غدا افريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلاً » . فخرج بجيشه حتى قطعوا أرض مصر وأوغلوا في أرض افريقية

ذهب مالك وجماعة الى أن الامام يرى رأيه في الخمس ، وينفذ فيه ما أده
اليه اجتهاده . وأن اعطاءه لواحد جائز ، وقد بينا ذلك في مواضعه (١٢٤) .

وفتحوها سهلها وجبلها ، وقسم عبد الله على الجند ما أفاء الله عليهم وأخذ
خمس الخمس وبعث بأربعة أخماسه الى عثمان مع وثيمة النصري . فشكا
وفد ممن معه الى عثمان ما أخذه عبد الله بن سعد ، فقال لهم عثمان : انا
أمرت له بذلك ، فان سخطتم فهو رد . قالوا : انا نسخطه . فأمر عثمان
عبد الله بن سعد بأن يرده فردّه . ورجع عبد الله بن سعد الى مصر وقد فتح
افريقية .

(١٢٤) أي في مؤلفاته الأخرى عند بسطه هذه المسألة من أحكام الفقه
الاسلامي . قال الامام عامر بن شراحيل الشعبي : « انما القواطع على وجه النفل
من خمس ما أفاء الله » . قال : « وأقطع عمر طلحة وجريز بن عبد الله والربيل
بن عمرو . وأقطع (أي عمر) أبا مفرز دار الفيل » . وممن أقطعهم
عمر بن الخطاب نافع أخو زياد وأبى بكر لأمهما ، أقطعه أرضاً في البصرة
لخيله وأبلى مساحتها عشرة أجرة (انظر ترجمة نافع في الإصابة) قال القاضي
أبو يوسف في كتاب الخراج (ص ٦١) وقد أقطع رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم وتآلف على الاسلام أقواماً ، وأقطع الخلفاء من بعده من راوا أن في
اقطاعه صلاحاً (وضرب أبو يوسف الأمثلة على ذلك) . وانظر باب القواطع في
ص ٧٨ - ٧٩ من كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي طبع السلفية . وذكر
الامام الشعبي بعض الذين أقطعهم عثمان فقال : « وأقطع الزبير ، وخباب ،
وعبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وابن هباز أزمان عثمان ، فان يكن
عثمان أخطأ فالذين قبلوا منه الخطأ أخطأوا ، وهم الذين أخذنا عنهم ديننا »
(الطبري ٤ : ١٤٨) . وأقطع على بن أبي طالب كردوس بن هانيء الكردوسية ،
وأقطع سويداً بن غفلة أرضاً لدا ذويه . فكيف ينكرون على عثمان ويسكتون
عن عمر وعلى . والقاضي أبي يوسف كلام سديد في هذا الموضوع في كتاب
الخراج (ص ٦٠ - ٦٢ طبعة السلفية سنة ١٣٥٢) . وما زعمه الزاعمون من
أن عثمان كان يود ذوى قرابته ويعطيهم ، فمودته ذوى قرابته من فضائله ،
وعلى أثنى على عثمان بأنه أوصل الصحابة للرحم ، وعثمان أجاب عن موقفه
هذا بقوله : « وقالوا : انى أحب أهل بيتى وأعطيهم . فأما حبى لهم فانه لم
يمل معهم على جور ، بل أحمل الحقوق عليهم . وأما أعطائهم فانى انما أعطيهم
من مالى ، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ، ولا لأحد من الناس . وقد
كنت أعطى العطية الكبيرة الرغبة من صلب مالى أزمان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وأبى بكر وعمر ، وأنا يومئذ شحيح حريص . افحين أتت على
اسنان أهل بيتى وفنى عمرى وودعت الذى لى فى أهلى قال الملحون ما قالوا ؟
وقال الطبري (٥ : ١٠٣) : وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه فى بنى أمية ،

١٤ - وأما قولهم انه ضرب بالعصا ، فما سمعته ممن أطاع أو عصى ،
وانما هو باطل يحكى ، وزور ينثى (١٢٥) ، فيالله وللنهي .

١٥ - وأما علوه على درجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
فما سمعته ممن فيه تقية . وانما هي اشاعة منكر ، ليروى ويذكر ، فيتغير
قلب من يتغير . قال علماؤنا : ولو صح ذلك فما في هذا ما يحل دمه .
ولا يخلو أن يكون ذلك حقاً فلم تنكره الصحابة عليه اذ رأته جوازه ابتداء
أو لسبب اقتضى ذلك . وان كان لم يكن فقد انقطع الكلام (١٢٨) .

١٦ - وأما انهزامه يوم حنين ، وفراره يوم أحد ، ومغيبه عن بدر وبيعة

وجعل ولده كبعض من يعطى ، فبدأ بنى أبى العاص فأعطى آل الحكم رجالهم
عشرة آلاف عشرة آلاف فأخذوا مائة ألف ، وأعطى بنى عثمان مثل ذلك ،
وقسم في بنى العاص وبنى العيص وفي بنى حرب . بل تمادى شيخ الاسلام
ابن تيمية مع أوسع الاحتمالات فذكر في منهاج السنة (٣ : ١٨٧ - ١٨٨) ان
سهم ذوى القربى ذهب بعض الفقهاء الى انه لقراءة الامام كما قاله الحسن
وأبو ثور ، وان النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يعطى أقاربه بحكم الولاية . .
وقيل هو لمن ولى الأمر بعده . . قال : وبالجمله فعمامة من تولى الأمر بعد عمر
كان يخص بعض أقاربه اما بولاية أو بمال . ثم قال في (٣ : ٢٣٧) :
« ان ما فعله عثمان في المال له ثلاثة مآخذ : أحدهما أنه عامل عليه ، والعامل
يستحق مع الغنى . الثانى ان ذوى القربى هم ذوو قربى الامام . الثالث أنهم
(أى ذوو قربى عثمان) كانوا قبيلة كثيرة ليسوا مثل قبيلة أبى بكر وعمر ،
فكان يحتاج الى اعطائهم وولايتهم أكثر من حاجة أبى بكر وعمر الى تولية
أقاربهما واعطائهم . وهذا مما نقل عن عثمان الاحتجاج به » (خ)
(١٢٥) نثى الخبر والحديث : أذاعه وأظهره . والنشا مثل الشناء ، الا
انه في الخير والشر ، والثناء في الخير خاصة . (م)

(١٢٨) كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضيق المساحة
في عصر النبوة وخلافة أبى بكر ، وكان من مناقب عثمان في زمن النبى صلى الله
عليه وآله وسلم عندما زاد عدد الصحابة أن اشترى من ماله مساحة من
الأرض وسع بها المسجد النبوى ، ثم وسعه أمير المؤمنين عمر فأدخل فيه دار
العباس بن عبد المطلب . ثم ازداد عدد المصلين بازدياد عدد سكان المدينة
وقاصديها فوسعه أمير المؤمنين عثمان مرة أخرى وجعل طوله ستين ومائة ذراع
وعرضه خمسين ومائة ذراع وجدد بناءه . فاتساع المسجد وازدياد غاشيته
وبعد أمكنة بعضهم عن منبر الخطابة يجوز أن يكون من ضرورات ارتفاع
الخطيب ليراهم ويروه ويسمعه . (خ)

الرضوان ، فقد بين عبد الله بن عمر وجه الحكم في شأن البيعة وبدر وأحد .
وأما يوم حنين فلم يبق الا نفر يسير مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ولكن لم يجر في الأمر تفسير من بقى ممن مضى في الصحيح ، وانما هي
أقوال ، منها أنه ما بقى معه الا العباس وابناه عبد الله وقثم ، فناهيك بهذا
الاختلاف ، وهو أمر قد اشترك فيه الصحابة ، وقد عفا الله عنه ورسوله ،
فلا يحل ذكر ما أسقطه الله ورسوله والمؤمنون ، أخرج البخارى (١٢٩) :
جاء رجل الى ابن عمر فسأله عن عثمان ، فذكر عن محاسن عمله وقال : لعل
ذلك يسوؤك ؟ قال : نعم . قال : فأرغم الله بأثفك . ثم سأله عن علي ، فذكر
محاسن عمله وقال : هوذاك بيته أوسط بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ثم قال : لعل ذلك يسوؤك ؟ قال : أجل . قال : فأرغم الله بأثفك . انطلق
فاجهد على جهدك . وقد تقدم في حديث « بنى الاسلام على خمس » زيادة
فيه للبخارى في علي وعثمان (١٣٠) . وقد أخرج البخارى أيضاً (١٣١) من
حديث عثمان بن عبد الله بن موهب قال : جاء رجل من أهل مصر يريد حج
البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا : هؤلاء قريش .
قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا ابن عمر ، انى
سألك عن شيء فحدثنى عنه ، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟ قال : نعم .
فقال : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد ؟ قال : نعم . قال : الله أكبر ! قال
ابن عمر : تعالى آيين لك . أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر
له . وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لك
أجر رجل ممن شهد بدرأً وسهمه (١٣٢) . وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو

(١٢٩) في كتاب فضائل الصحابة (ك ٦٢ ب ٩ - ج ٤ ص ٢٠٨) من
حديث سعد بن عبيدة . (خ)

(١٣٠) لعل المؤلف يشير الى حديث ابن عمر في كتاب التفسير من صحيح
البخارى (ك ٦٥ ب ٢ تفسير البقرة الحديث ٣٠ ج ٥ ص ١٥٧) (خ)

(١٣١) في كتاب فضائل الصحابة (ك ٢٦ ب ٧ ج ٤ ص ٢٠٣ - ٢٠٤) (خ)

(١٣٢) وبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشري النصر في بدر مع
زيد بن حارثة الى عثمان في المدينة . قال أسامة بن زيد - فيما رواه الطبري
٢ : ٢٨٦ - « فأتانا الخبر حين سويانا التراب على رقية بنت رسول الله

=

كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عثمان (١٣٣) وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان الى مكة (١٣٤) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده اليمنى : « هذه يد عثمان » ف ضرب بها على يده فقال : « هذه لعثمان (١٣٥) » . نم

صلى الله عليه وآله وسلم التى كانت عند عثمان بن عفان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلفنى عليها مع عثمان » ثم فى ربيع الأول من السنة التالية لغزوة بدر تزوج عثمان أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأدخلت عليه فى جمادى الآخرة . (خ)

(١٣٣) وقبل أن يبعث عثمان دعا عمر بن الخطاب ليعثه الى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال عمر : يا رسول الله انى أخاف قريشا على نفسى ، وليس فى مكة من بنى عدى بن كعب أحد يمنعنى . ولكنى أدلك على رجل هو أعز منى فيها : عثمان بن عفان . فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش . ويوم تدون الدول الاسلامية تاريخ السفارات فى الاسلام ، سيكون اسم عثمان أول سفراء الاسلام فى التاريخ . (خ)

(١٣٤) لأن عثمان لما ادى رسالته فى السفارة التى بعث لها احتبس أياماً ، فلم يعد الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الموعد الذى كان يقدر له أن يعود فيه ، فوصل الخبر الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأن سفيره قتل ، فدعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم الصحابة الى بيعة الرضوان ، انتصاراً لعثمان ، على نية أن يذهب بأصحابه الى مكة فيناجز المشركين لما بلغه عن قتلهم عثمان . فبيعة الرضوان كانت رمزاً من رموز الشرف لعثمان ، وأى شرف أعظم من اجتماع قوى الاسلام بقيادة الرسول الأعظم للأخذ بثأر هذا الرجل الحبيب الى المسلمين ، والرفيع المنزلة عند سيد الأولين والآخرين . ثم لما علم النبى صلى الله عليه وآله وسلم - فى اللحظة الأخيرة اننى اجتمع فيها الصحابة لعقد البيعة - أن عثمان حى ، مضى فى اتمام البيعة ، على سنته صلى الله عليه وآله وسلم فى أنه اذا بدأ بخير يمضى فى اكماله ولو زال سببه . وحينئذ كان لعثمان الشرف المضاعف بأن يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثابت عن يده فى عقد البيعة عنه . فبيعة الرضوان كانت انتصاراً لعثمان ، وجميع الصحابة بايعوا بأيدي أنفسهم الا عثمان فان أشرف يد فى الوجود ثابت عن يده فى اعطاء بيعته ولو لم يكن لعثمان من الشرف فى حياته كلها الا هذا لكفاه . (خ)

(١٣٥) أخرج البخارى نحوه فى صحيحه (٢٩١/٧) . (م)

قال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك (١٣٦) .

١٧ — وأما امتناعه عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان ، فإن

(١٣٦) لو أن أمير المؤمنين عثمان كان من حوارى المسيح عليه السلام ، وكانت له من سيدنا عيسى بن مريم مثل هذه المنقبة التى كرمه الله بها من نبى الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لمبدته النصرى لأجلها . فالعجب لأمة يكون فيها جهلة يعيبون على عثمان — فى زمانه — غيبته عن بيعة الرضوان ، ويكون فيهم من يستشعر الشجاعة فى نفسه عند الإقدام على سفك دم هذا الخليفة الرحيم لأمر هذا منها ، ثم يحمل مثل هذا الجهل فى دماغه رجل جاء يعبد الله بأداء فريضة الحج فيواجه به جماعة الصحابة من قريش ورئيسهم عبد الله بن عمر ، ثم تمس الحاجة الى التعرض لبيان هذه الحقائق فى عصر القاضى أبى بكر بن العربى ، ثم يشعر أمثالنا فى عصرنا بأن عثمان لا يزال من بعض أمتة فى موقف يحتاج فيه الى انصافه (✽) ودفع قالة السوء عنه . حقاً اننا أمة مسكينة . . . ولامر ما بلغ بنا الحال بين الأمم الى ما كنا فيه ، والى ما لا نزال غارقين فيه « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . (خ) .

(✽) ونقول بهذه المناسبة : ان عهد الخليفة عثمان رضى الله عنه ينبغى أن يسمى العصر الذهبى للإسلام على الرغم من تشويهه من قبل الحساد والمفتريين والمضللين ، رحمه الله تعالى وأجل ثوابه ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين بما هو أهله ، اجر ما جاهد وأنفق من قبل الفتح ، ومن بعد الفتح ، وحتى فى زمن خلافته .

لقد تمت فى عهد هذا الخليفة العظيم أمور تنظيمية ، وكان من أجلها جمعه الناس على مصحف واحد . .

وزاد فى عطاء الناس مئة مئة كما رأينا بل روى ما يدل على ما كان من كثرة الخير فى زمنه والتوسع فى العطاء وتنويعه حيث روى عن الحسن البصرى من علماء التابعين قال : « شهدت منادى عثمان ينادى : أيها الناس اغدوا على أعطيائكم فيغدون ، ويأخذونها وافية ، ثم ينادى : أيها الناس اغدوا على أرزاقكم فيغدون ويأخذونها وافية ، حتى — والله سمعته ! ذنأى يقول : اغدوا على كسوتكم فيأخذون الحلل ، واغدوا على السمن والعسل : أرزاق دارة ، وخير كثير وذات بين حسن . ما على الأرض مؤمن يخاف مؤناً ، الا يرده وينصره ويألفه . فلو صبر الانصار على الاثرة ، لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق

واستمرت حركة الفتح فى مختلف الميادين فى زمنه فتم فى عهده فتح شمال افريقية ، وفتح الاسكندرية مرة ثانية بعد ما كره الروم عليها وغزا بلاد النوبة وأخذ الجزية من أهلها على يد قائده عبد الله بن سرج .

=

ذلك باطل (١٣٧) . [وان] كان لم يفعل فالصحابه متوافرون ، والأمر في

(١٣٧) بشهادة ابنه القماذبان . روى الطبري (٥ : ٤٣ - ٤٤ مصر و ١ : ٨٠١ طبعة أوربا) عن سيف بن عمر بسنده الى أبي منصور قال : سمعت القماذبان يحدث عن قتل أبيه . . . قال : « فلما ولي عثمان دعاني فأمكنني منه (أى من عبيد الله بن عمر بن الخطاب) ثم قال : « يا بني هذا قاتل أبيك ، وأنت أولى به منا ، فاذهب فاقتله » . فخرجت به وما في الأرض أحد الا معي ، الا أنهم يطلبون الى فيه . فقلت لهم : الى قتله ؟ قالوا : نعم . وسبوا عبيد الله . فقلت : افلكم أن تمنعوه ؟ قالوا : لا . وسبوه . فتركته لله ولهم . فاحتملوني . فوالله ما بلغت المنزل الا على رؤوس الرجال واكفهم » . هذا كلام ابن الهرمزان ، وان كل منصف يعتقد (ولعل ابن الهرمزان ايضا كان يعتقد) أن دم أمير المؤمنين عمر في عنق الهرمزان ، وأن أبا لؤلؤة لم يكن الا آلة في يد هذا الفارسي . وان موقف عثمان واخوانه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الحادث لا نظير له في تاريخ العدالة الانسانية . (خ)

وفي خلافة عثمان انشئ أول اسطول اسلامي ، وأول من فكر في ذلك معاوية بن أبي سفيان ، وكان والياً على الشام ، استعان بهذا الأسطول على غزو قبرص وأخذ الجزية من أهلها . ولقد اقتدى عبد الله بن سعد والى مصر بمعاوية ، فانشأ هو الآخر اسطولا لحماية سواحل مصر وشمال أفريقية . وارتاع الروم من تقدم العرب البحري فسيروا اسطولا عظيماً بلغ عدد مراكبه ٦٠٠ لعلمهم يقضون به على القوة البحرية الاسلامية الناشئة التي اذهلتهم ، وكان ذلك بقيادة الملك قسطنطين نفسه على ما رواه الطبري . وقد قابلت اساطيل المسلمين هذه الحملة البحرية بحماسة وشجاعة واشتبكت معها في معركة « ذات الصواري » ثم النصر فيها للمسلمين بعدما غطت القتلى من الطرفين سطح البحر واحمرت مياهه بدمائهم . وفي عهد الخليفة عثمان تم فتح ارمنية واذربيجان كما تم فتح بقية بلاد فارس .

وقد عم الرخاء في عهد عثمان بسبب هذه الفتوحات وكثر المال والرقيق بصورة لم يعرف له مثيل من قبل ! وقد رثى أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه كثير من الشعراء نذكر منهم ليلي الاخيلية في بعض أبيات لها قالت :

أبعد عثمان ترجو الخير أمته قد كان أفضل من يمشى على ساق
خليفة الله أعطاهم وخولهم ما كان من ذهب حلو وأوراق (م)

أوله (١٣٨) . وقد قيل : ان الهرمزان سعى في قتل عمر ، وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه (١٣٩) . وكان قتل عبيد الله له ، وعثمان لم يل بعد . ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقا ، لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله (١٤٠) .

(١٣٨) وقد تصرف عثمان في هذا الأمر بعد أن ذاکر الصحابة فيه . قال الطبري (٥ : ٤١) جلس عثمان في جانب المسجد ودعا عبيد الله وكان محبوساً في دار سعد بن أبي وقاص ، وهو الذي نزع السيف من يده ... فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والانصار : أشيروا على في هذا الذي فتق في الاسلام ما فتق . فقال على : ارى ان تقتله . فقال بعض المهاجرين : قتل عمر أمس ، ويقتل ابنه اليوم ! فقال عمرو بن العاص : يا امير المؤمنين ، ان الله أعفاه أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان ، انما كان هذا الحدث ولا سلطان لك . قال عثمان : انا وليهم ، وقد جعلتها دية ، واحتملتها في مالي . (خ)

(١٣٩) في تاريخ الطبري (٥ : ٤٢) حديث سعيد بن المسيب أن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق قال غداة طعن عمر : « مرت على أبي لؤلؤة عشي أمس ، ومعه جفينة (وكان نصرانياً من أهل الحيرة ظئراً لسعد ابن أبي وقاص) والهرمزان ، وهم نجى ، فلما رهقهم ثاروا ، وسقط منهم خنجر له راسان نصابه في وسطه . فانظروا بأي شيء قتل ؟ وخرج في طلبه رجل من بني تميم ، فرجع اليهم التميمي وقد كان الظ بآبي لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه . وجاء بالخنجر الذي وصف عبد الرحمن بن أبي بكر . فسمع بذلك عبيد الله بن عمر ، فأمسك حتى مات عمر ، ثم اشتعل على السيف فأتى الهرمزان فقتله » . (خ)

(١٤٠) وكذلك حبر الأمة عبد الله بن عباس رأى جواز قتل علوج الفرس الذين في المدينة بلا استثناء . قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣ : ٢٠٠) : وقد قال عبد الله بن عباس لما طعن عمر - وقال له عمر : كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة - فقال (أي ابن عباس) : « ان شئت أن تقتلهم » فقال عمر : « كذبت » أفبعد أن تكلموا بلسانكم ، وصلوا الى قبلتكم ؟ » . قال ابن تيمية : فهذا ابن عباس - وهو أفقه من عبيد الله ابن عمر وأدين وأفضل بكثير - يستأذن عمر في قتل علوج الفرس مطلقاً الذين كانوا بالمدينة ، لما اتهموهم بالفساد ، اعتقد جواز مثل هذا ... وإذا كان الهرمزان ممن أعان على قتل عمر كان من المفسدين في الأرض المحاربين فيجب قتله لذلك . ولو قدر أن المقتول معصوم الدم يحرم قتله ، لكن كان القاتل متأولاً ويعتقد حل قتله لشبهة ظاهرة ، صار ذلك شبهة تدراً عن القاتل (يعنى عن عبيد الله بن عمر) . قلت : والى هذا ذهب عثمان في اكتفائه بالدية =

وأيضاً فإن أحداً لم يتم بطلبه [فكيف] يصح مع هذه الاحتمالات كلها أن ينظر في أمر لم يصح ؟ •

١٨ — وأما تعلقهم بأن الكتاب وجد مع غلامه — ولم يقل أحد قط أنه كان غلامه (١٤١) — إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح يأمره بقتل حامله (١٤٢)

واحتملها من ماله الخاص (✽) . ولو أن حادث مقتل أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب — بجميع ظروفه — وقع مثله في أى بلد آخر مهما بلغ في ذروة الحضارة ! كان منهم مثل الذى كان من الصحابة في تسامحهم إلى حد المطالبة حتى بقتل ابن أمير المؤمنين المقتول بيد القدر والندالة والبغى الذميم . (خ) (١٤١) وانما قالوا أنه غلام الصدقة ، أى أحد رعاة ابل الصدقة . وابل الصدقة الوف كثيرة لها مئات من الرعاة . وإن صح أنه من رعاة ابل الصدقة فهؤلاء لكثرتهم وتبدلهم دائماً بغيرهم لا يكاد يعرفهم رؤساؤهم فضلاً عن أن يعرفهم أمير المؤمنين وكبار عماله وأعوانه . ومع افتراض أنه من رعاة ابل الصدقة فما أيسر أن يستأجره هؤلاء البغاة لفرض من أغراضهم . وقد ثبت أن الأشتر وحكيم بن جبلة تخلفا في المدينة عند رحيل الثوار عنها مقتنعين بأجوبة عثمان وحججه . وفي مدة تخلف الأشتر وحكيم بن جبلة تم تدبير الكتاب وحامله للتدرب بهما في تجديد الفتنة ورد الثوار ، ولم يكن لأحد غير الأشتر وأصحابه مصلحة في تجديد الفتنة . وكم لهم من حيل أكثر التواء من استئجار داع يرعى ابل الصدقة . بل لقد ذكروا عن محمد بن أبى حذيفة ربيب عثمان الأبق من نعمته أنه كان في نفس ذلك الوقت موجوداً في مصر يؤلب الناس على أمير المؤمنين ويزور الكتب على لسان أزواج النبی صلى الله عليه وآله وسلم ويأخذ الرواحل فيضمهرها ويجعل رجالاً على ظهور البيوت في الفسقاط ووجوهم إلى الشمس لتلوح وجوهم تلويح المسافر ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق الحجاز بمصر ثم يرسلوا رسلاً يخبرون عنهم الناس ليستقبلوهم . . . فاذا لقوهم قالوا أنهم يحملون كتباً من أزواج النبی صلى الله عليه وسلم في

(✽) وكما قتل عبيد الله بن عمر الهرمزان ، قتل ابنة أبى لؤلؤة ، وقتل أيضاً جفينة النصراني لاتهامه بذلك ، فقال أعداء عثمان رضى الله عنه أنه لم يقتص من عبيد الله بسبب ذلك .

والجواب أن ابنة أبى لؤلؤة كانت مجوسية ، وجفينة كان نصرانياً وقد قال النبی عليه الصلاة والسلام كما جاء في البخارى : « لا يقتل مسلم بكافر » وقد دفع عثمان ديتهما كما دفع ذية الهرمزان بعد عفو ابنه عن عبيد الله كما رأينا في غير هذا المكان . (م)

فقد قال لهم عثمان : اما أن تقيموا شاهدين على [بذلك] ، والا فيميني أنى ما كتبت ولا أمرت (١٤٣) . وقد يكتب على لسان الرجل ، ويضرب على خطه ، وينقش على خاتمه (١٤٤) .

فقالوا : [تسلم] لنا مروان . فقال : لا أفعل . ولو سلمه لكان ظالما (١٤٥) وانما عليهم أن يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه ، فما ثبت

الشكوى من حكم عثمان ، وتلى هذه الكتب في جامع عمرو بالفسطاط على ملأ الناس وهي مكدوبة مزورة وحملتها كانوا في مصر ولم يذهبوا الى الحجاز (انظر كتاب الاستاذ المحقق الشيخ صادق عرجون عن « عثمان بن عفان » ص ١٣٢ - ١٣٣) . فتزوير الكتب في مأساة البغي على أمير المؤمنين عثمان كان من أسلحة البغاة استعملوه من كل وجه وفي كل الأحوال . وقد تقدم المثال على ذلك ، وسيأتى طرف منه فيما بعد .

(١٤٦) وكيف يكتب الى عبد الله بن سعيد بن أبى سرح وقد أذن له بالجيء الى المدينة ويعلم أنه خرج من مصر (الطبرى ٥ : ١٢٢) وكان المتسلط على الحكم في الفسطاط محمد بن أبى حذيفة رئيس البغاة وعميدهم في هذه الجهة . ومضمون الكتاب المزور قد اضطرب رواة أخباره في تعيين مضمونه . وسيأتى الكلام على ذلك كله فيما بعد . (خ)

(١٤٣) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣ : ١٨٨) : كل ذى علم بحال عثمان يعلم أنه لم يكن ممن يأمر بقتل محمد بن أبى بكر ولا أمثاله ، ولا عرف منه قط أنه قتل أحدا من هذا الضرب . وقد سعوا في قتله (أى في قتل أمير المؤمنين عثمان) ودخل عليه محمد فيمن دخل ، وهو لا يأمر بقتالهم دفعا عن نفسه ، فكيف يبتدىء بقتل معصوم الدم . (خ)

(١٤٤) وقد حدث مثل ذلك في زمن عمر ، كما رواه البلاذرى في فتوح البلدان (ص ٤٨) طبع سنة ١٣٥٠ ، والحافظ ابن حجر في الإصابة (٣ : ٥٢٨ طبع سنة ١٣٢٨) . (خ)

(١٤٥) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣ : ١٨٩) بل عثمان ان كان أمر بقتل محمد بن أبى بكر هو أولى بالطاعة ممن طلب قتل مروان ، لأن عثمان امام هدى وخليفة راشد يجب عليه سياسة رعيته وقتل من لا يدفع شره الا بقتله . واما الذين طلبوا قتل مروان فقوم خوارج مفسدون في الأرض ليس لهم قتل أحد ولا اقامة حد . وليس مروان أولى بالفتنة والشر من محمد بن أبى بكر ، ولا هو (أى ابن أبى بكر) أشهر بالعلم والدين منه (أى من مروان) . بل أخرج أهل الصحاح عدة أحاديث عن مروان ، وله قول مع أهل الفتيا ، واختلف في صحبته . ومحمد بن أبى بكر ليس بهذه المنزلة عند الناس . . ومروان من اقرب ابن الزبير . . الخ . (خ)

كان هو منفذه ، وآخذه [ان كان له أخذه] والممكن لمن يأخذه بالحق .
ومع سابقته وفصيلته ومكاته لم يثبت عليه ما يوجب خلعه فضلاً عن قتله .
وأمثل ما روى في قصته أنه - بالقضاء السابق - تألب عليه قوم لأحقاد
اعتقدوها : ممن طلب أمراً فلم يصل اليه ، وحسد حسادة أظهر داءها ، وحمله
على ذلك قلة دين وضعف يقين ، وإيثار العاجلة على الآجلة (١٤٦) . وإذا
نظرت اليهم ذلك صريح ذكرهم على دناءة [قدرهم] (١٤٧) وبطلان
أمرهم (١٤٨) .

كان الفافقي المصري أمير القوم (١٤٩) ، وكناثة بن بشر التجيبي (١٥٠) ،

(١٤٦) بمثل هذه الأوصاف وصفهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب في
الخطبة التي خطبها على الفرائر في معسكره بالكوفة عندما كان الصحابي
الفارس المجاهد القعقاع بن عمرو التميمي يسعى باتمام المهمة التي جاءت
عائشة وطلحة والزبير لاتباعها ، فروى الطبري (٥ : ١٩٤) أن علياً ذكر انعام
الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه . وقال على مسمع من قتلة عثمان : « ثم حدث
هذا الحدث الذي جره على الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاء الله
عليه على الفضيلة ، وأرادوا رد الأشياء على أدبارها » . ثم ذكر أنه راحل
غداً إلى البصرة ليجتمع بأم المؤمنين وأخويه طلحة والزبير وقال : « ألا ولا يرتحلن
غداً أحد أعان على عثمان رضي الله عنه بشيء في شيء من أمور الناس ، وليفن
السفهاء عن أنفسهم » . (خ)

(١٤٧) هكذا في المخطوطة ... ولكن الشيخ محب أثبتها (قلوبهم) ولم يشر إلى ذلك . (س)
(١٤٨) أجملنا في ما مضى أوصاف البارزين ممن خرج على عثمان . أول
من اكتشف سريرتهم ، ونظر إلى وجوههم بنور الله فتشاءم منهم ، رجل الاسلام
المحدث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صاحب الفراسة التي
لا تخطيء . روى الطبري (٤ : ٨٦) أن عمر لما استعرض الجيوش
للجهاد سنة ١٤ مرت أمامه قبائل السكون اليمنية مع أول كندة يتقدمهم
حصين بن نمير السكوني ومعاوية بن حديج أحد الصحابة الذين فتحوا مصر
ثم كان أحد ولاتها ، فاعترضهم عمر ، فاذا فيهم فتية دلم سباط ، فأعرض
عنهم ثم أعرض ثم أعرض ، حتى قيل له : مالك ولهؤلاء فقال : اني عنهم لمتردد ،
وما مر بي قوم من العرب أكره إلى منهم . فكان منهم سودان بن حمران
وخالد بن ملحج وكلاهما من البغاة على عثمان . (خ)

(١٤٩) هو الفافقي بن حرب العكي من أبناء وجوه القبائل اليمنية التي
نزلت مصر عند الفتح . فاما تظاهر ابن سبا بالتشيع لعلى ولم يجد مرتعاً

لفساده في الحجاز ولا في الشام ، اكتفى باصطناع بعض الأعوان في البصرة والكوفة ، واختار الإقامة في الفسطاط ، فكان الغافقي هذا من قنائصه ، وقد استمالوه من ناحية تهافته على الرئاسة والجاه . وكان محمد بن أبي حذيفة ابن عتبة الأموي ربيب عثمان الأبق من نعمته هو اليد اليمنى لتنفيذ خطط السبائين في مصر . والغافقي للتصدر والظهور . وفي شوال سنة ٣٥ أعادوا عدتهم للزحف من مصر على المدينة بأربع فرق مجموع رجالها نحو ستمائة وعلى كل فرقة رئيس ورئيسهم العام الغافقي هذا ، وتظاهروا بأنهم يقصدون الحج . وفي المدينة تطورت حركاتهم إلى أن استفحل الأمر ومنعوا عثمان من الصلاة بالناس في المسجد النبوي فصار الغافقي هو الذي يصلي بالناس ١ الطبري ٥ : ١٠٧) ثم لما أقنعهم الشيطان بالجرأة على الجناية الكبرى كان الغافقي أحد المجترئين عليه وضربه بحديدة معه وضرب (*) المصحف برجله فاستدار (الطبري ٥ : ١٣٠) وبعد قتل عثمان بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب (الطبري ٥ : ١٥٥) . (خ)

(١٥٠) وهذا أيضاً كان من قنائص ابن سبأ في مصر . ولما أرسل عثمان عماراً (**) إلى مصر ليكتشف له أمر الإشاعات وحقيقة الحال ، استماله السبائيون ، وكان كنانة بن بشر هذا واحداً منهم (الطبري ٥ : ٩٩) . وعندما جمعوا أوشاب القبائل للزحف على المدينة بحيلة الحج في شوال سنة ٣٥ انقسموا في مصر إلى أربع فرق على كل فرقة أمير ، وكان كنانة بن بشر أميراً على إحدى هذه الفرق (الطبري ٥ : ١٠٣) ثم كان في طبيعة من اقتحم الدار على عثمان وبيده شعلة من نار تنضج بالنفط ، فدخل من دار عمرو بن حزم ودخلت الشعلة على أثره (الطبري ٥ : ١٢٣) ، ووصل كنانة التجيبي إلى عثمان فأشعره مشقفاً (أي نصلاً طويلاً عريضاً) فانتضج الدم على آية « فسيكفيكم الله » (الطبري ٥ : ١٢٦) وقطع يد نائلة زوجة عثمان واتكأ بالسيف على صدر عثمان وقتله (الطبري ٥ : ١٣١) ، قال محمد بن عمر الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد المدني ، عن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزومي المدني المتوفى سنة ٤٣ قال : الذي قتل أمير المؤمنين عثمان هو كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي (الطبري ٥ : ١٣٢) وفيه يقول الوليد بن عقبة بن أبي معيط :

(*) في سند هذا الخبر الغريب الموحش سيف الذي يكتب التاريخ ، وهو متهم بالكذب كما جاء في الميزان واللسان . (م) .
(**) قضية استمالة السبائيين لعمار ، وصلاة الغافقي بالناس في المدينة في سندهما سيف بن عمر التيمي الجرمي ضعيف جداً واتهم بالوضع والزندقة ! كما جاء في التهذيب لابن حجر وهكذا نرى قسماً كبيراً من تاريخنا من وضع الزنادقة فهل من معتبر ؟ ! (م) .

وسودان ابن حمران (١٥١) ، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي (١٢٥) ،

الا ان خير الخلق بمسد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر وكانت عاقبة كنانة هذا وقوعه قتلا في الحرب التي نشبت سنة ٣٨ في مصر بين محمد بن ابي بكر الصديق نائب على وبين عمرو بن العاص ومن معه من جيش معاوية ابن حديج السكوني (الطبري ٦ : ٥٨ - ٥٩ و ٦٠) . (خ) (١٥١) السكوني ، من قبائل مراد اليمنية النازلة في مصر . وقد تقدم انه كان في سنة ١٤ - أحد الذين قدموا في خلافة عمر للجهاد مع جيوش اليمن بقيادة حصين بن نمير ومعاوية بن حديج ، فلما استعرضهم أمير المؤمنين وقع نظره على سودان بن حمران هذا وعلى زميله خالد بن ملجم فتشاءم منهما وكرههما . ولما ارسل أمير المؤمنين عثمان عمارة الى مصر ليكتشف له مصدر الاشاعات الكاذبة وحقيقة الحال التف السبايون بعمار وكان سودان بن حمران منهم (الطبري ٥ : ٩٩) . ولما سير السبايون متطوعة الفتنة من اوشاب القبائل اليمنية التي في مصر في شوال سنة ٣٥ نحو المدينة وجعلوهم اربع فرق كان سودان قائد احدى هذه الفرق (الطبري ٥ : ١٠٣) ، ولما وصل متطوعة الفتنة الى المدينة وخرج لهم محمد بن مسلمة ليعظم لهم حق عثمان وما في رقابهم من البيعة له رآهم ينقادون لاربعة هذا واحد منهم (الطبري ٥ : ١١٨) . وفي ٥ : ١٣١ من تاريخ الطبري وصف تسور سودان ومعه آخرون من دار عمرو بن حزم الى دار عثمان . وفي ٥ : ١٣٠ بعض تفاصيل ما وقع من سودان عند ارتكابهم الجناية العظمى . ولما انتهوا من قتل أمير المؤمنين خرج سودان من الدار وهو ينادي : قد قتلنا عثمان بن عفان (الطبري ٥ : ١٢٣) . (خ) .

(١٥٢) كان أبوه رجلا مسنأ من مسلمة الفتح . وورد ذكر عبد الله بن بديل في الفتنة العظمى على أمير المؤمنين عثمان ، فذكر الطبري (٥ : ١٢٤ - ١٢٥) أن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة خرج هو وعبد الله ابن الزبير ومروان وغيرهم يدافعون عن أمير المؤمنين على باب الدار ، فحمل عبد الله بن بديل على الأخنس بن شريق وقتله . ونقل الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢ : ٢٨٠) عن ابن الكلبي أن عبد الله بن بديل وأخاه عبد الرحمن شهدا صفين مع علي وقتلا بها . والظاهر أن أخاه قتل قبله ، فقد نقل ابن حجر (في الإصابة ٢ : ٢٨١) عن ابن اسحاق في كتاب الفردوس أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب لما قدم الكوفة - أي مع جيش أهل الشام - لقي عبد الله بن بديل ، فنصح له ابن بديل بأن لا يهرق دمه في هذه الفتنة ، فاعتذر عبيد الله بن عمر بأنه يطلب بدم أمير المؤمنين عثمان الذي قتل ظلما ، واعتذر ابن بديل بأنه يطلب بدم أخيه الذي قتل ظلما . وكيف يكون أخوه قتل ظلما

وحكيم بن جبلة من أهل البصرة (١٥٣) ، ومالك بن الحارث الأشتر (١٥٤) في
طائفة هؤلاء رؤوسهم ، فناهيك بغيرهم .

وقد قتل في فتنة تطوع للمساهمة فيها مختاراً ، بينما عثمان وهو أمير المؤمنين
الذي له حق الولاية عليهم كان مبغياً عليه من ابن بديل وأمثاله ومن هم أقل
منه شأنًا ومع ذلك لم يقاتل أحداً ، ولم يدافع عن نفسه ، ونهى الناس عن
أن يدافعوا عنه أو باشاً قدموا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من
مختلف البلاد ليرتكبوا الشر والاثم . وابن عثمان الذي ملأت حسناته الأرض
وتعطرت بأريجها السماء ، من عبد الرحمن ابن بديل الذي لا يكاد يعرف له
التاريخ عملاً . (خ)

(١٥٣) حكيم بن جبلة العبدى من قبائل عبد القيس ، أصلهم من عمان
وسواحل الخليج الفارسي (✱) ، وتوطن بالبصرة بعد تمصيرها . وكان حكيم
هذا شاباً شجاعاً ، وكانت الجيوش الإسلامية التي تزحف نحو الشرق لنشر
الدعوة والفتوح تصدر عن البصرة والكوفة ، فكان حكيم بن جبلة يرافق هذه
الجيوش ، ويجازف في بعض حملات الخطر ، كما تفعل كتائب (الكوماندوس)
في هذا العصر . وقد استعملته جيوش أمير المؤمنين عثمان في إحدى هذه
المهمات عند محاولتها استكشاف الهند كما نوهت بذلك في مقالة (طلائع الإسلام
في الهند) . ويؤكد شيوخ سيف بن عمر التميمي (وهو أعرف المؤرخين بتاريخ
العراق) على ما نقله عنه الطبرى (٥ : ٩٠) أن حكيم بن جبلة كان إذا قفلت
الجيوش خنس عنهم فسعى في أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم
ويفسد في الأرض ويصيب ما شاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة
إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر أن احبسه ومن كان مثله
فلا يخرج من البصرة حتى تانسوا منه رشداً ، فحبسه (أى منعه من مبارحة
البصرة) . فلما قدم عبد الله بن سبأ البصرة نزل على حكيم بن جبلة ، واجتمع
إليه نفر ، فنفت فيهم سمومه . فأخرج ابن عامر عبد الله بن سبأ من البصرة ،
فأتى الكوفة فأخرج منها ، ومن هناك رحل ابن سبأ إلى الفسطاط وليث فيه
وجعل يكاتبهم ويكاتبونه ويختلف الرجال بينهم . وذكر الطبرى (٥ : ١٠٤)
أن السبابة لما قرروا الزحف من الأمصار على مدينة الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم كان عدد من خرج منهم من البصرة كعدد من خرج من مصر ، وهم
مقسمون كذلك إلى أربع فرق ، والأمير على إحدى هذه الفرق حكيم بن جبلة
ونزلوا في المدينة في مكان يسمى ذا خشب . ولما حصبوا أمير المؤمنين عثمان
وهو يخطب على المنبر النبوى كان حكيم بن جبلة واحداً منهم (الطبرى
٥ : ١٠٦) . ولما رحل الثوار عن المدينة في المرة الأولى بعد مناقشتهم لعثمان

وقد كانوا أثاروا فتنة ، فأخرجهم عثمان بالاجتهاد ، وصاروا في جماعتهم

وسماعهم دفاعه واقتناعهم ، تخلف في المدينة الاشتر وحكيم بن جبلة (الطبرى ٥ : ١٢٠) وفي ذلك شبهة قوية بأن لهما دخلا في افتعال الكتاب المزور على أمير المؤمنين . ولما جاءت عائشة وطلحة والزبير الى البصرة واوشكوا ان يتفاهموا مع أمير المؤمنين على رد الأمور الى نصابها كان حكيم بن جبلة هو الذى انشب القتال لئلا يتم التفاهم والاتفاق (الطبرى ٥ : ١٧٦ وما بعدها) وارتكب دناءة قتل امرأة من قومه سمعته يشتم أم المؤمنين عائشة فقالت له : يا ابن الخبيثة أنت أولى بذلك فطعنها فقتلها (الطبرى ٥ : ١٧٩) وحينئذ تخلى قومه عن نصرته الا الأعمار منهم ، وما زال يقاتل حتى قطعت رجله ، ثم قتل وقتل معه كل من كان في الواقعة من البغاة على عثمان ، ونادى منادى الزبير وطلحة بالبصرة : « ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم » فجاء بهم كما يجاء بالكلاب فقتلوا . فما أفلت منهم الا حرقوص بن زهير السعدي من بنى تميم (الطبرى ٥ : ١٨٠) . روى عامر بن حفص عن أشياخه قال : ضرب عنق حكيم بن جبلة رجل من الحدان يقال له ضخيم فمال رأسه فتعلق بجذله فصار وجهه في قفاه (الطبرى ٥ : ١٨٢) . (خ)

(١٥٤) من النخع ، وهى قبيلة يمنية من قبائل مذحج . بطل شجاع من أبطال العرب ، كان أول مشاهدته الحربية في اليرموك ، وفيها فقد إحدى عينيه . ثم شاء أن يكون سيفه مسلولا على اخوانه المسلمين في مواقف الفتنة . ولو أنه لم يكن ممن ألب على أمير المؤمنين عثمان ، وكتب الله أن تكون وقائعه الحربية في نشر دعوة الاسلام وتوسيع الفتوح ، لكان له في التاريخ شأن آخر . والذي دفعه في هذا الطريق غلوه في الدين وجهه للرئاسة والجاه ولست أدري كيف اجتمعا فيه . والأشتر أحد الذين اتخذوا الكوفة دار اقامة لهم ، فلما كانت اماره الوليد بن عقبة على الكوفة كان الأشتر يشعر في نفسه بأنه أهل للولاية والرئاسة ، فانزلق مع العائنين على الدولة ورجالها من الخليفة الأعلى في المدينة الى عامله على الكوفة الوليد بن عقبة . ولما سرق أبو زنب وأبو مورع خاتم الوليد من منزله وذهبا به الى المدينة فشهدا على الوليد بشرب الخمر كما تقدم في ص ٧٦ أسرع الأشتر وآخرون معه بالذهاب الى المدينة لتوسيع دائرة الفتنة ، حتى اذا عزل عثمان الوليد سعيد بن العاص عاد الأشتر مع سعيد الى الكوفة (الطبرى ٥ : ٦٣) . وكان عثمان قد سن نظام مبادلة الأراضى ، فمن كانت له أرض من الفء في مكان بعيد عنه يبادل عليها بأرض قريبة منه بالتراضى بين المتبادلين . وبهذه الطريقة تخلى طلحة بن عبيد الله عن أسهمه في خيبر واشترى بها من فء أهل المدينة بالعراق أرضاً يقال لها الشاستج (الطبرى ٥ : ٦٤) . وبينما كان سعيد بن العاص في دار الامارة بالكوفة والناس عنده أثنى رجل على طلحة بن عبيد الله بالجود ، فقال سعيد

ابن العاص : لو كان لى مثل ارض النشاستج لأعاشكم الله عيشاً رغداً . فقال له عبد الرحمن بن خنيس الأسدى : وددت لو كان هذا اللطاط لك . والملطاط ارض على جانب الفرات كانت لال كسرى . ففضب الأشر وأصحابه وقالوا للأسدى : تتمنى له من سودانا ! فقال والده : ويتمنى لكم أضعافه . فثار الأشر وصحبه على الأسدى وأبيه وضربوهما فى مجلس الإمارة حتى غشى عليهما . وسمعت بذلك بنو أسد فجاءوا واحاطوا بالقصر ليدافعوا عن رجلهما ، فتلافى سعيد بن العاص هذه الفتنة بحكمته ، ورد بنى أسد عن الأشر وجماعته . وكتب أشرف الكوفة وصلحائهما الى عثمان فى اخراج هؤلاء المشاغبين من بلدهم ، فأرسلهم الى معاوية فى الشام (الطبرى ٥ : ٨٥ - ٨٦) ثم أخرجهم معاوية فنزلوا جزيرة ابن عمر تحت حكم عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد الى أن تظاهروا بالتوبة ، فذهب الأشر الى المدينة ليرفع الى عثمان توبتهم ، فرضى عنه عثمان وأباح له الذهاب حيث شاء فاختر العوده الى زملائه الذين عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فى الجزيرة (الطبرى ٥ : ٨٧ - ٨٨) . وفى الوقت الذى كان فيه الأشر يعرض على عثمان توبته وتوبة زملائه وذلك فى سنة ٣٤ كان السبائيون فى مضر يكاتبون أشياعهم فى الكوفة والبصرة بأن يثوروا على أمرائهم واتعدوا يوماً ، فلم يستقم ذلك الا لجماعة الكوفة ، فثار بهم يزيد بن قيس الأرحبى (الطبرى ٥ : ١٠١) . ولما وصل الأشر من المدينة الى أخوانه الذين عند عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد وجد بين أيديهم كتاباً من يزيد بن قيس الأرحبى يقول لهم فيه : لا تضعوا كتابى من أيديكم حتى تجيئوا . فتشاءموا من هذه الدعوة وآثروا البقاء ، وخالفهم الأشر فرجع عاصياً بعد توبته ، والتحق بشوار الكوفة وقد نزلوا فى الجرعة مكان مشرف على القادسية ، وهناك تلقوا سعيد بن العاص أمير الكوفة وهو عائد من المدينة فردوه ، ولقى الأشر مولى لسعيد بن العاص فضرب الأشر عنقه . وبلغ عثمان أنهم يريدون إقالة سعيد بأبى موسى الأشعرى فأجابهم أنى ما طلبوا (الطبرى ٥ : ٩٣ - ٩٤) . ولما فشل موعد سنة ٣٤ واقتصرت الفتنة على ما كان فى الجرعة ، اتعد السبائيون للسنة التى بعدها (سنة ٣٥) ورتبوا أمرهم على التوجه الى المدينة مع الحجاج كالحجاج ، وكان الأشر مع خوارج الكوفة رئيساً على فرقة من فرقهم الأربع (الطبرى ٥ : ١٠٤) وبعد وصولهم الى المدينة ناقشهم أمير المؤمنين عثمان وبين لهم حجته فى كل ما كانوا يظنونونه فيه ، فاقنع جمهورهم بذلك وحملوا رؤساء الفتنة على الرضا بأجوبة عثمان وارتحلوا من المدينة للمرة الأولى . الا أن الأشر وحكيم بن جبلة تخلفا فى المدينة ولم يرتحلا معهم (الطبرى ٥ : ١٢٠) . ولما وصل المصريون الى مكان يسمى البويب اعترضهم راكب مثل لهم دور حامل الكتاب المزعوم ،

عند معاوية (١٥٥) ، فذكرهم بالله وبالتقوى لفساد الحال وهتك حرمة الأمة (١٥٦) ، حتى قال له زيد بن صوحان [يوماً] - فيما يروى (١٥٧) - :

وسألتى الحديث عن ذلك فيما بعد . ونقل الطبرى (٥ : ١٩٤) أن الأشتر كان في مؤتمر السبأين الذى عقده قبيل ارتحال على من الكوفة الى البصرة للتفاهم مع طلحة والزبير وعائشة . فقرر السبأيون في مؤتمرهم هذا أن ينشبوا الحرب بين الفريقين قبل أن يصطلحا عليهم . وفي وقعة الجمل اصطرع عبد الله بن الزبير والأشتر واختلفا ضربتين وقال عبد الله بن الزبير كلمته المشهورة : « اقتلونى ومالكا » فأقلت منه مالك الأشتر ، روى الطبرى (٥: ٢١٧) عن الشعبى أن الناس كانوا لا يعرفون الأشتر باسم مالك ، ولو قال ابن الزبير « اقتلونى والأشتر » وكانت للأشتر ألف ألف نفس ما نجا منها شيء ، وما زال يضطرب في يدى ابن الزبير حتى أفلت . وروى الطبرى (٥ : ١٩٤) أن علياً لما فرغ من البيعة بعد وقعة الجمل واستعمل عبد الله بن عباس على البصرة بلغ الأشتر الخبر باستعمال على ابن عباس فغضب وقال : « على ما قتلنا الشيخ اذن ! اليمن لعبيد الله ، والحجاز لقثم ، والبصرة لعبد الله ، والكوفة لعلى ! » ثم دعا بدابته فركب راجعا . وبلغ ذلك علياً فنادى : الرحيل ! ثم أجد السير فلحق به فلم يره أنه بلغه عنه وقال : « ما هذا السير ؟ سبقتنا ! » . وخشى أن ترك والخروج أن يوقع في نفس الناس شرا . ثم اشترك الأشتر في حرب صفين . وولاه على إمارة مصر بعد صرف قيس بن سعد بن عبادة عنها . فلما وصل القلزم (السويس) شرب شربة عسل فمات ، فقيل انها كانت مسمومة ، وكان ذلك سنة ٣٨ (الاصابة ٣ : ٤٨٢) . (خ) .

(١٥٥) أثاروا الفتنة يوم ضربوا عبد الرحمن بن خنيس الأسدى وأباه وهم في دار الإمارة بالكوفة ، فكتب اشراف الكوفة وصلحاؤها الى عثمان باخراجهم الى بلد آخر ، فسيرهم الى معاوية فى الشام . والذين سيروا الى معاوية هم : الأشتر النخعى ، وابن الكواء الشكرى ، وصعصعة بن صوحان العمدى ، وأخوه زيد ، وكميل بن زياد النخعى ، وجندب بن زهير الفامدى ، وجندب بن كعب الأزدى ، وثابت بن قيس بن منقع ، وعروة ابن الجعد البارقى ، وعفرو بن الحمق الخزاعى . (خ)

(١٥٦) نص كلام معاوية كما رواه الطبرى (٥ : ٨٦) : « انكم قوم من العرب ، لكم أسنان والسنة ، وقد أدركتم بالاسلام شرفا ، وغلبتم الأمم ، وحويتم مراتبهم وموارثهم . وقد بلغنى انكم نقيتم قريشاً ، وأن قريشاً لو لم تكن عدتم أذلة كما كنتم . ان أئمتكم الى اليوم جنة ، فلا تسدوا عن جنتكم . وان أئمتكم اليوم يضربون لكم على الجور ، ويحتملون منكم المؤونة . والله لتنتهن أو ليتلبنكم الله بمن يسومكم ثم لا يحمدكم على الصبر ، ثم تكونون شركاءهم فيما جررتهم على الرعية فى حياتكم وبعد موتكم » . (خ)

(١٥٧) بل القائل أخوه صعصعة . (خ)

« كم تكثر علينا [من الأمرة] وبقريش ، فما زالت العرب تأكل من قوائم سيوفها وقريش تجاهد (١٥٨) » . فقال له معاوية : « لا أم لك . أذكرك بالاسلام وتذكرني بالجاهلية ! قبح الله من كثر على أمير المؤمنين بكم ، فما أنتم ممن ينفع أو يضر . اخرجوا عني (١٥٩) » .

وأخبره ابن الكوا بأهل الفتنة (١٦٠) في كل بلد ومؤامرتهم (١٦١) ،

(١٥٨) وقال أيضا لمعاوية : « وأما ما ذكرت من الجنة ، فان الجنة اذا اخترقت خلص الينا » أى اذا قتلنا ولاتنا صارت الولاية الينا . ولو أن هذه الكلمة قالها ثائر وهو من قبضة حاكمه - منذ بدأت الحكومات الى أن تقوم الساعة - ما وجد من حاكمه حلقاً وسعة صدر كالذى وجده صعصعة من معاوية مع قدرته عليه . (خ)

(١٥٩) وجواب معاوية على كلام صعصعة في وصف قريش ومكانتها طويل ونفيس ، وقد أورده الطبرى (٥ : ٨٦) . (خ)

(١٦٠) قد يقول قائل : الا يدل ما وقع من الحوادث في مأساة استشهاد الخليفة عثمان على غفلته في عدم علمه فيما يجرى في الخفاء من تأمر المتأمرين . في الحقيقة ان هذا الخليفة لم يكن على الرغم من اشتغاله بالفتوحات الواسعة التى تمت في عهده ، غافلاً عن المؤمرات التى كانت تحاك ضده من أجل الكيد للاسلام ، بل كان على مستوى الأحداث بعيداً عن تهمة الضعف التى تتردد على السنة خصومه .

قال الأستاذ المؤرخ محمد عزة دروزة :

وقد نشط ابن سوداء (أى عبد الله بن سبأ) وجماعته في بث الدعاية ضد عثمان وامرائه حتى أوسعوا الأرض اذاعة كما جاء في رواية الطبرى . وكانوا يكتبون كتباً في الغيب فيهم ويرسلونها للناس في الأمصار . وبلغ ذلك أهل المدينة فجاءوا الى عثمان يسألونه هل اتاه من الأمصار مثل ما اتاهم . فقال لهم والله ما جاءني الا السلامة ، فأخبره . فقال لهم : انتم شركائى وشهود المؤمنين ! فأشيروا على ، فأشاروا عليه ارسال أشخاص ممن يثق فيهم للأمصار ، ليقولوا لأهلها أنهم لم ينكروا شيئاً من عثمان ، لا اعلامهم ولا عوامهم . . . وان الأمراء يقسطون بين الناس (الطبرى ج ٣ ص ٣٧٩) .

ثم كتب الى أهل الأمصار كتاباً عاماً يذكر فيه ما بلغه من الاذاعات والظن على الأمراء ويقول : انه تولى أمر المؤمنين ليقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وانه ولى عماله على ذلك ، وانه مستعد لسماع كل شكوى منه ومن عماله وانصاف صاحبها ، واعطاء كل ذى حق حقه ، ويدعو من له شكوى الى موافاته في الموسم (٣٨٠ - ٣٨١) الطبرى نقلاً عن تاريخ الجنس العربى ٢٣١/٧ . ثم استدعى ولاة الأمصار واستظلمهم الأمر ، وقال انى أخشى أن

==

فكتب الى عثمان يخبره بذلك ، فأرسل اليه بأشخاصهم اليه فأخرجهم

يكون مصداقاً عليكم فأكدوا له أنهم سالكون طريق الحق والمصلحة ، وان ما بلغه دسائس ووساوس ثبت سراً ، واقتراح بعضهم تعقيب المذيعين وقتلهم ، فأمرهم بالانتباه والرفق والتسامح فيما لا يكون فيه ضياع حقوق الأمة ، ومن الولاة معاوية بن أبي سفيان (عن الجنس العربي ٢٣٢/٧) وقد نقله عن الطبري) وذكر المؤرخون أن عثمان جمع بعض خاصته ، فشاورهم في أمر الناس ! سمع منهم ثم قال لهم :

لقد سمعت كل ما أشرت به ، ولكل أمر باب يؤتى منه . ان هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن . وان بابه الذي يفلق عليه ليفتح ، فنكففه باليمن والمواتاة الا في حدود الله ! فان فتح فلا يكون لأحد على حجة ، وقد علم الله اني لم آل الناس خيراً . وان رحي الفتنة دائرة ، فطوبى لعثمان ان مات ولم يحركها .

سكتوا الناس وهبوا لهم حقوقهم ، فاذا تعوطيت حقوق الله فلا توهنوا !! (الخليفة المفترى عليه ص ٦٤ للاستاذ محمد صادق عرجون) .

ومن أروع الأدلة على قوة عثمان ورباطة جأشه موقفه حين اشتد عليه هجوم الثوار وأصحاب الفتنة ، يقتحمون عليه داره ليقتلوه . وكبار الصحابة الصناديد مع ابنائهم يرجونه للدفاع عنه ، كما فصلنا القول في غير هذا المكان ، « فيعزم على كل من رأى ان له عليه سمعاً وطاعة أن يكف يده ويلقى سلاحه » حرصاً على دماء المسلمين ، ولو بتعرض حياته للهلاك والقتل .

ليت شعري أى شجاعة نفسية ، وأى صبر يطلبه الناس وراء هذا ؟ ! اذا كانت الشجاعة هى ضبط النفس عند النوازل في غير قلق ، والصبر على المكاراه من غير جزع ، ومصابرة الحوادث من غير سأم ، والثبات لجسمام الأحداث بلا تزعزع ، فلم تنجب الأمهات مثل عثمان في شجاعته ورباطة جأشه ، وقوة يقينه ، وثباته على رأيه فان أحداً من الناس في مثل حال عثمان وشأنه ، لم يلق ما لقي عثمان ، ولا شيئاً منه ، ولم يصبر أحد على ما لقي من البلاء والمحنة مثل ما صبر عثمان . وكيف يصبر ينتهى بصاحبه - على علم منه وبصيرة - الى الموت قتلاً ، وكان له لو كان جزوعاً وأراد ألا يصبر عن يقين ورضا ، مخارج ينفذ منها ، ويعيش في خفض من العيش ! ولكن عثمان رضى الله عنه لم يكن ضعيفاً ولا مستضعفاً - كما يزعم القاصرون والمقصرون - بل كان قوى الايمان ، عظيم اليقين ، كبير النفس ، عبقري الشجاعة ، نبيل الصبر ، نفاذ البصيرة ، ففدى الأمة ، ووضع لها بذلك أعظم قواعد النظام في تكوينها الاجتماعي (الخليفة المفترى عليه للاستاذ عرجون ص ٦٥) . (م)

(١٦١) قال ابن الكواء فيما نقله الحافظ ابن عساكر في ترجمته من تاريخ دمشق (٧ : ٢٩٩) وأبو جعفر الطبري في تاريخه (٥ : ٩٢) يصف لمعاوية

معاوية (١٦٢) ، فمروا بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد (١٦٣) ، فحبسهم ، ووبخهم ؛ وقال لهم : « اذكروا [لى] ما كنتم تذكرون لمعاوية (١٦٤) » . وحصرهم ، وأمشاهم بين يديه أذلاء حتى تابوا بعد حول (١٦٥) .

وكتب الى عثمان بخبرهم ، فكتب اليه أن سرحهم الى . فلما مثلوا بين يديه جددوا التوبة ، وحلقوا على صدقهم ، وتبرأوا مما نسب اليهم (١٦٦)

اهل الاحداث من اهل الأمصار اما اهل الأحداث من اهل المدينة فهم أحرص الأمة على الشر ، وأعجزهم عنه . واما اهل الأحداث من اهل الكوفة فانهم انظر الناس في صغر ، وأركبه لكبير . واما اهل الأحداث من اهل البصرة فانهم يردون جميعا ويصدرون شتى . واما اهل الأحداث من اهل مصر فهم أوفى الناس بشر ، وأسرع ندامة . واما اهل الأحداث من اهل الشام فاطوع الناس لمرشدهم ، وأعصاه لمفويهم » . (خ)

(١٦٢) وكتب فيهم الى عثمان : « انه قدم على اقوام ليست لهم عقول ولا اديان . أثقلهم الاسلام ، واضجرهم العدل . لا يريدون الله بشيء ، ولا يتكلمون بحجة . انما همهم الفتنة ، واموال اهل الذمة . والله مبتليهم ومختبرهم ، ثم فاضحهم ومخزيهم . وليسوا بالذين يكون أحداً الامع غيرهم . فانه سعيداً ومن قبله عنهم ، فانهم ليسوا لاكثر من شغب او نكير » (الطبرى ٥ : ٨٧) . (خ)

(١٦٣) وكان يلى حمصاً لمعاوية ، ويتبعه منطقة الجزيرة حران والرقعة . (خ)

(١٦٤) وذلك بعد قوله لهم : « يا آلة الشيطان ، لا مرحباً بكم ولا اهل . وقد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعد نشاط . خسر الله عبد الرحمن ان لم يؤدبكم حتى يحسركم . يا معشر من لا ادري أعرب أم عجم ، لكى لا تقولوا لى ما يبلغنى انكم تقولون لمعاوية . أنا ابن خالد بن الوليد ، أنا ابن من عجمته العاجمات ، أنا ابن فاقىء الردة . والله لئن بلفنى يا صعصعة بن ذل ان أحداً ممن معى دق أنفك ثم أمصك لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى » (الطبرى ٥ : ٨٧) . (خ)

(١٦٥) كان كلما ركب أمشاهم ، فاذا مر به (صعصعة) قال أيا ابن الحطيئة ، أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر ؟ مالك لا تقول كما كان يبلغنى أنك تقول لسعيد ومعاوية فيقول : ويقولون : نتوب الى الله ، ألقنا أقالك الله (الطبرى ٥ : ٨٧ - ٨٨) . (خ)

(١٦٦) الذى قدم الى أمير المؤمنين عثمان فى المدينة هو الاشتر النخعى وحده ، وهو الذى ناب عن ابنى صوحان وابن الكواء والآخرين فى تجديده التوبة التى أعلنوها من قبل لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد . غير أن الفتنة

[فخيرهم] حيث يسيرون ، فاختار كل واحد ما أراد من البلاد : كوفة وبصرة ، ومصر . فأخرجهم ، فما استقروا في [جنب] ما ساروا حتى ثاروا وألبوا ، حتى انضاف اليهم جمع (١٦٧) .

وساروا اليه (١٦٨) : على أهل مصر عبد الرحمن بن عدس البلوي (١٦٩) ،

لم تكن مقتصرة على هؤلاء ، بل كانت جرثومتها في يد ابن سبأ الذي اختار الإقامة في الفسطاط ، وكان لها جناح في البصرة ، وللأشتر وأخوانه بقية في الكوفة . وبينما كان الأشتر يجدد توبته وتوبة أخوانه في المدينة كان أعوان ابن سبأ يكتبون البصرة والكوفة في موعد يشبون فيه على ولاتهم ، فما رجع الأشتر بتوبته إلى أخوانه الذين كانوا عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد حتى وجد عندهم كتاباً من أخوانهم في الكوفة يدعونهم للاشتراك فيما اتعدوا له ، فلم يبتهج بهذه الدعوة إلى الفتنة والشر إلا الأشتر الذي لم يكن قد نسي توبته بعد ، فأسرع إلى الكوفة وانضم إلى الفتنة التي تسمى في التاريخ (يوم الجرة) وكان ذلك في سنة ٣٤ . (خ)

(١٦٧) لما خفق السبائيون في التوب على ولاتهم سنة ٣٤ في الموعد الذي وقعت فيه فتنة يوم الجرة ، اتعدوا لفتنة أخرى بمقياس أوسع يقومون بها في العام التالي (سنة ٣٥) عند استعداد الحجاج لقصد الحرمين الشريفين من مصر والبصرة والكوفة ، فيذهب الحجاج للقيام بطاعة الله ، ويذهب دعواة الفتنة للمجاهرة بمعصية الله . وقد نظموا أنفسهم في اثنتي عشرة فرقة : أربع فرق من مصر ، وأربع من البصرة ، وأربع من الكوفة . وفي كل فرقة نحو مائة وخمسين مفتوناً ، أي من كل بلد نحو ستمائة رجل . (خ)

(١٦٨) أي إلى أمير المؤمنين عثمان في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . (خ)

(١٦٩) فارس شاعر ، نزل مصر مع جيش الفتح ، ولم يعرف له في سيرته شيء انفرد بالامتيار به غير اشتراكه في هذه الفتنة ، مع دعواه أنه كان ممن الذين بايعوا تحت الشجرة . واطنه لم يكن من الرؤوس المدبرين للفتنة ، ولكن مدبرها استغلوا ميله إلى الرئاسة ، فاستفادوا من سنه ووجاهته بين فرسان القبائل العربية بمصر ، وولوه القيادة على إحدى الفرق الأربع التي خرجت من مصر إلى المدينة (وقادة الفرق الثلاث الأخرى : كنانة بن بشر التميمي ، وسودان بن حمران السكوني ، وقتيرة السكوني . ورئيسهم الأعلى الفافقي ابن حرب العكي) . وكان عبد الرحمن بن عديس في مدة الحصار شديد الوطأة على أمير المؤمنين عثمان وأهل بيته . ثم كانت عاقبته القتل في جبل الجليل بالقرب من حمص ، لقيه أحد الأعراب فلما اعترف له بأنه من قتلة عثمان بادر

وعلى أهل البصرة حكيم بن جبلة (١٧٠) ، وعلى أهل الكوفة الاشتر مالك
ابن الحارث النخعي (١٧١) . فدخلوا المدينة هلال ذي القعدة سنة خمس
وثلاثين (١٧٢) .

فاستقبلهم عثمان . فقالوا : ادع بالمصحف . فدعا به . فقالوا : افتح
[السابعة] (١٧٣) — يعنى يونس — فقالوا : اقرأ . فقرأ حتى انتهى الى قوله
« الله اذن لكم أم على الله تفترون » قالوا له قف . قالوا له : رأيت ما حميت
من الحمى ، اذن الله لك أم على الله افتريت ؟ قال : امضه ، انما نزلت في
كذا . وقد حمى عمر ، وزادت الابل فزدت .

فجعلوا يتبعونه هكذا ، وهو ظاهر عليهم . حتى قال لهم : ماذا تريدون ؟
فأخذوا ميثاقه ، وكتبوا عليه ستاً أو خمساً (١٧٤) : أن المنفى [يقرب] (١٧٥)

بقتله (معجم البلدان لياقوت : الجليل) . واخطأ من نسب ابن عديس الى
تجيب ، فانه بلوى من قضاة . اما تجيب بنت ثوبان المذحجية فلا ينسب
اليها الابن ولد لها سعد وعدي ابني اشرس بن شبيب بن السكون من كندة ،
واين كندة من قضاة ! . (خ)

(١٧٠) تقدم التعريب به . وهو أمير احدى الفرق الأربع البصرية
(والثلاثة الآخرون : ذريح بن عباد العبدى ، وبشر بن شريح « الحطم » ،
وابن المحرش الحنفى . ورئيسهم الأعلى حرقوص بن زهير السعدى) . (خ)
(١٧١) تقدم التعريف به . وهو أمير احدى الفرق
الأربع الكوفية (والثلاثة الآخرون . زيد بن صوحان العبدى ، وزيد بن النضر
الحارثى ، وعبد الله ابن الاصم . ورئيسهم الأعلى عمرو بن الاصم) . (خ)
(١٧٢) نزلوا خارج المدينة على ثلاث مراحل منها ، ثم تقدم ثوار البصرة
فنزلوا في ذى خشب ، ونزل ثوار الكوفة الاعوص ، ونزل عامتهم بذي
المروة . (خ)

(١٧٣) ب ، ج ، ز : التاسعة . قارن [الطبرى ج ٢ ص ١١٧] ويونس يأتى ترتيبها
السابعة في مصحف ابن مسعود رضى الله عنه . ونسخة « د » تتفق مع ما ورد في الطبرى .
وكان الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله قد اثبتها التاسعة في أصل الكتاب (س) .

(١٧٤) أى اشترطوا عليه ستة شروط أو خمسة في المعانى الآتية . (خ)

(١٧٥) ب ، ج ، ز : يعلب . وكتبها الشيخ محب الدين : يعاد . اجتهدا منه ، ولكنه
لم ينبه الى ذلك ، رغم أن الشيخ ابن باديس اقترح نفس اللفظة (يقرب) في الهامش . وشهدت
نسخة « د » لاقتراح العلامة ابن باديس . (س)

والمحروم يعطى ، ويوفر الفء ، ويعدل في القسم ، ويستعمل [ذو] الأمانة والقوة . فكتبوا ذلك في كتاب . وأخذ عليهم أن لا يشقوا عصا ، ولا يفرقوا جماعة . ثم رجعوا راضين (١٧٧) . وقيل أرسل اليهم علياً فاتفقوا على الخمس المذكورة ورجعوا راضين . فبينما هم كذلك (١٧٨) ، اذا راكب يتعرض لهم (١٧٩) ، ثم يفارقهم مرارا (١٨٠) . قالوا : مالك ؟ قال : أنا رسول أمير المؤمنين الى عامله بمصر (١٨١) ففتشوه ، فاذا هم بالكتاب على لسان

(١٧٧) كان الزاحفون من أمصارهم على مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فريقين : رؤساء خادعين على درجات متفاوتة ، ومرؤوسين مخدوعين ، وهم الكترة التى بثت فيها دعايات مغرضة حتى ظنت أن هنالك منفيين مظلومين ومحرومين سلبوا حقهم . الخ . وقد رايت شهادة أصدق شاهد في العراق حينئذ وهما الحسن البصرى وصنوه ابن سيرين عن وفرة الاعطيات والأرزاق وأنواع الخيرات حتى كان منادى عثمان ينادى بدعوة الناس لها فلا يمنع عنها أحد . ورايت فيما سبق شهادة الامام الشعبى عن تعميم الرزق والخير حتى الى الاماء والعبيد . ولما أصفى عامة الثائرين الى أجوبة عثمان وعرفوا الحقيقة اقتنعوا ورجعوا . وكان رجوعهم من طريقين مختلفين باختلاف اتجاه أمصارهم ، فالمصريون اتجهوا شمالا لغرب ليسابروا ساحل البحر الأحمر الى السويس ومصر ، والعراقيون من بصرين وكوفيين اتجهوا شمالا لشرق منجدين ليلفوا البصرة والكوفة من ارض العراق . (خ) .

(١٧٨) أى فبينما العراقيون من بصرين وكوفيين في طريقهم نحو الشرق الى الشمال ، والمصريون في طريقهم نحو الغرب الى الشمال ، وبين الفريقين مراحل بعيدة لانهما تقدما في السير والمسافة تزداد بعداً بينهما . (خ)

(١٧٩) أى للمصريين وحدهم . (خ)

(١٨٠) ولا يتعرض لهم ثم يفارقهم ويكرر ذلك الا ليلفت انظارهم اليه ، ويشير شكوكهم فيه . وهذا ما أراده مستأجرو هذا الرجل لتمثيل هذا الدور ، ومدبرو هذه المكيدة لتجديد الفتنة بعد أن صرفها الله وأراح المسلمين من شروها . ولا يعقل أن يكون تدبير هذا الدور التمثيلى صادراً عن عثمان أو مروان أو أى انسان يتصل بهما ، لأنه لا مصلحة لهما في تجديد الفتنة بعد أن صرفها الله ، وانما المصلحة في ذلك للدعاة الأولين الى أحداث هذا الشغب ، ومنهم الاشتهر وحكيم بن جبلة اللذان لم يسافرا مع جماعتهما الى بلديهما ، بل تخلفا في المدينة (الطبرى ٥ : ١٢٠) ولم يكن لهما أى عمل يتخلفان في المدينة لأجله الا مثل هذه الخطط والتدابير التى لا يفكران يومئذ في غيرها . (خ)

(١٨١) وقد صرحوا بأنه عبد الله بن سعد بن أبى سرح (الطبرى ٥ : ١٢٠)

عثمان ، عليه خاتمه الى عامل مصر أن يصلبهم ويقطع أيديهم وأرجلهم (١٨٢) .
فأقبلوا حتى قدموا المدينة (١٨٣) ، فأتوا علياً فقالوا له : ألم تر الى عدو الله

ولا يعقل أن يكتب اليه عثمان أو مروان ، لأنه كان عقب خروج الثوار من مصر متوجهين الى المدينة كتب الى عثمان يستأذنه بالقدوم عليه (الطبرى ٥ : ١٢٢)
وخرج بالفعل من مصر نحو العريش وفلسطين وأيلة (العقبة) وتغلب محمد ابن أبى حذيفة على الحكم فى مصر ، وهو عدو لله ورسوله ، وخارج على خليفة المسلمين . فكيف يكتب عثمان أو مروان الى عبد الله بن سعد وعندهما كتابه الذى يستأذن به فى القدوم الى المدينة ؟ [خ]

(١٨٢) الأخبار التى جاء فيها أن الراكب غلام عثمان ، وأن الجمل جمل الصدقة : وأن عثمان اعترف بذلك ، كلها أخبار مرسلة لا يعرف قائلها أو مكذوبة إذاعها رواة مطعون فى صدقهم وامانتهم . ومضمون الكتاب اضطربت الروايات فيه ، ففى بعض الروايات « اذا قدم عليك عبد الرحمن بن عديس فاجلده مائة راحلق رأسه ولحيته واطل حبسه حتى يأتبك امرى . وعمرو ابن الحمق فافعل به مثل ذلك . وسودان بن حمران مثل ذلك . وعسروة ابن التباع الليثى مثل ذلك » وفى رواية « اذا أتاك محمد بن أبى بكر الصديق - وفلان وفلان - فاقتلهم وابطل كتابهم وقر على عملك حتى يأتبك رابى » وفى رواية ثالثة أن مضمون الكتاب أمر عامله بالقتل والقطع والصلب على هؤلاء الثوار . وهذا الاختلاف فى مضمون كتاب واحد مما يريد الريسة فى أمره . (خ)

(١٨٣) وأعجب العجب أن قوافل الثوار العراقيين التى كانت متباعدة فى الشرق والغرب عادت معاً الى المدينة فى آن واحد ، أى أن قوافل العراقيين التى كانت بعيدة مراحل بعيدة عن قوافل المصريين علمت بالرواية المسرحية فى الساعة التى مثلت فيها فى البويب فرجعت الى المدينة وقت رجوع المصريين ووصلتا الى المدينة معاً كأنما كانوا على ميعاد . ومعنى هذا أن الذين استأجروا الراكب ليمثل دور حامل الكتاب أمام قوافل المصريين استأجروا راكباً آخر خرج من المدينة معه قاصداً قوافل العراقيين ليخبرهم بأن المصريين اكتشفوا كتاباً بعث به عثمان الى عبد الله بن سعد فى مصر بقتل محمد بن أبى بكر قال الطبرى (٥ : ١٠٥) . فقال لهم على : « كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتهم مراحل ثم طويتم نحونا ؟ هذا والله أمر أبرم بالمدينة » (يشير كرم الله وجهه الى تخلف الأشتر وحكيم فى المدينة ، وأنهما هما اللذان دبوا هذه المسرحية) . قال الثوار العراقيون : « فضعوه على ما شئتم . لا حاجة لنا الى هذا الرجل . ليعتزلنا » وهذا تسليم منهم بأن قصة الكتاب مفتعلة ، وأن الفرض الأول والآخر هو خلع أمير المؤمنين عثمان وسفك دمه الذى عصمه الله بشريعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم . (خ)

كتب فينا بكذا ؟ وقد أحل الله دمه . قالوا له : فقم معنا إليه . قال : والله لا أقوم معكم . قالوا له : فلم كتبت ^(١٨٤) إلينا ؟ قال : والله ما كتبت إليكم . فنظر بعضهم إلى بعض ^(١٨٥) . وخرج عليٌّ من المدينة .

فانطلقوا إلى عثمان فقالوا له : كتبت فينا كذا . قال لهم إما أن تقيموا

(١٨٤) د : كتب . ورواية خليفة بن خياط : كتبت (تاريخ خليفة بن خياط ١/١٤٦) .
والمؤلف هنا اعتمد على خليفة بن خياط في رواية أخبار الفتنة ووثقه فيها ونوه بأسناده
[د. د. عمار طالبى] (س) .

(١٨٥) الطبرى (٥ : ١٠٨) . وهذا الحوار بين علي والثوار مجمع عليه في كل الروايات . وهو نص قاطع على أن اليد التي زورت الكتاب على عثمان ، وبعثت إلى العراقيين تخبرهم بذلك وتطلب منهم أن يعودوا إلى المدينة ، وهي اليد التي زورت على علي كتاباً إلى الثوار العراقيين بأن يعودوا . وقد قلنا من قبل أن الثوار فريقان - خادع ومخدوع - فالذين نظر بعضهم إلى بعض عندما حلف علي بأنه لم يكتب إليهم هم من الفريق المخدوع يتعجب كيف لم يكتب على إليهم وقد جاءهم كتابه ، ومن ذا الذي يكون قد كتب الكتاب على لسانه ان لم يكن هو الذي كتبه ؟ وسياتى قريباً أن مسروق بن الأجدع الهمداني (وهو من الأئمة الأعلام المقتدى بهم) عاتب أم المؤمنين عائشة بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان ، فأقسمت له بالله الذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون أنها ما كتبت إليهم سواداً في بياض . قال سليمان بن مهران الأعمش - أحد الأئمة الأعلام الحفاظ - : « فكانوا يرون أنه كتب على لسانها » أيها المسلمون في هذا العصر وفي كل عصر ، ان الأيدي المجرمة التي زورت الرسائل الكاذبة على لسان عائشة أو علي وطلحة والزبير هي التي ربت هذا الفساد كله ، وهي التي طبخت الفتنة من أولها إلى آخرها ، وهي التي زورت الرسالة المزعومة على لسان أمير المؤمنين عثمان إلى عامله في مصر في الوقت الذي كان يعلم فيه أنه لم يكن له عامل في مصر ، وقد زورت هذه الرسالة على لسان عثمان بالقلم الذي زورت به رسالة أخرى على لسان علي ، كل ذلك ليرتد الثوار إلى المدينة بعد أن اقتنعوا بسلامة موقف خليفتهم ، وأن ما كان أشيع عنه كذب كله ، وأنه كان يتصرف في كل أمر بما كان يراه حقاً وخيراً . ولم يكن صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المبشر منه بالشهادة والجنة هو المجنى عليه وحده بهذه المؤامرة السبابة الفاجرة ، بل الإسلام نفسه كان مجنياً عليه قبل ذلك . والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها الطاهر الناصع مشوهاً ومحرقاً هي كذلك ممن جنى عليهم ذلك اليهودي الخبيث ، والمنقادون له بخطط الأهواء والشهوات .

اثنين من المسلمين ، أو [بينة] (*) — كما تقدم ذكره — فلم يقبلوا ذلك منه (١٨٦) ونقضوا عهده (١٨٧) وحصلوه .

وفد روى أن عثمان جىء إليه بالأشتر ، فقال له : يريد القوم منك إما أن تخلع نفسك ، أو تقص منها ، أو يقتلوك . فقال : أما خلعي ، فلا أترك أمة محمد بعضها على بعض . وأما القصاص ، فصاحبى قبلى لم يقصا من أنفسهما ، ولا يحتمل ذلك بدنى (١٨٨) .

وروى أن رجلا قال له : نذرت دمك . قال : [له : خذ جنبى فشرط فيه بالسيف شرطة أراق منه دمه] (١٨٩) ، ثم خرج الرجل وركب راحلته وانصرف فى الحين (١٩٠) .

(١٨٦) لأنهم ما جاءوا ليقبلوا حقاً أو يرجعوا الى شرع ، وإنما جاءوا ليخلعوه أو يسفكوا دمه [خ]
(١٨٧) الذى تقدم أنهم قطعوه على أنفسهم بأن لا يشقوا عصا ولا يفرقوا جماعة . [خ]
(*) وفى طبعة الشيخ الخطيب [يمينى] (س) .

(١٨٨) هذا الخبر فى تاريخ الطبرى (٥ : ١١٧ - ١١٨) ، وفى البداية والنهاية (٧ : ١٨٤) ، وفى أنساب الأشراف للبلاذرى (٥ : ٩٢) .
(١٨٩) وفى مطبوعة الشيخ الخطيب [خذ جنبى ، فشرط فيها شرطة بالسيف أراق منه دمه] . [س] .

(١٩٠) هذا الخبر فى كتاب التمهيد للإمام أبى بكر الباقلانى ص ٢١٦ .
وأعجب من ذلك ما رواه الطبرى (٥ : ١٣٧ - ١٣٨) أن عمير بن ضابىء البرجمى وكميل بن زياد النخعى حضرا الى المدينة ليقتالا عثمان تنفيذاً لقرار اتخذه بالكوفة مع بقية عصابتهم ، فلما وصلا الى المدينة نكل عمير ، وترصد كميل للخليفة حتى مرء به ، فلما التقيا ارتاب منه عثمان ، ووجأ وجهه فوق على استه ، فقال لعثمان : أوجعتنى يا أمير المؤمنين . قال عثمان : أولست بغائنك ؟! قال : لا والله الذى لا اله الا هو . فاجتمع الناس وقالوا : نفتشه يا أمير المؤمنين . فقال : لا . قد رزق الله العافية ، ولا أشتى أن أطلع منه على غير ما قال . ثم قال لكميل : « ان كان كما قلت فاقتدمنى (وجئاً) فوالله ما حسبتك الا تريدنى » . وقال : « ان كنت صادقاً فاجزل الله ، وان كنت كاذباً فاذل الله » وقعد له على قدميه وقال « دونك ! » فقال كميل : « تركت » . أيها القارىء الكريم ، ان هذا الموقف ليس موقف خليفة فضلاً عن دونه ، بل هو موقف المتخلفين بأخلاق الأنبياء . على أن الله يمهل ولا

ولقد دخل عليه ابن عمر ، فقال (له عثمان) : انظر ما يقول هؤلاء ، يقولون : اخلع نيسك أو نقتلك . قال له (ابن عمر) : أمخلد أنت في الدنيا ؟ قال : لا . قال : هل يزيدون على أن يقتلوك ؟ قال : لا . قال : هل يملكون لك جنة أو ناراً ؟ قال : لا . قال : فلا تخلع قميص الله عنك ، فتكون سنة ، كلما كره قوم خليفتهم خلعه أو قتلوه (١٩١) .

وقد أشرف عليهم عثمان ، واحتج عليهم بالحديث الصحيح في بيان المسجد ، وحضر بشر رومة ، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين رجف بهم أحد (١٩٢) . وأقروا له به في أشياء ذكرها (١٩٣) .

يهمل . فقد جاء الحجاج بعد أربعين سنة فقتل ضابطاً وقتل كميلاً بما اراده في هذا الحادث من الفتك برجل خلق قلبه من رحمة الله ، و « ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته (*) » .

(١٩١) أورد البلاذري هذا الخبر في انساب الاشراف (٥ : ٧٦) من حديث نافع عن ابن عمر . وقبل أن يفتي ابن عمر لخليفته بذلك ويدعوه الى هذه التضحية النبيلة ، كان عثمان على بينة من ذلك ونور من الله ، فقد اخرج ابن ماجه في مقدمة سننه (الباب ١١ ج ١ ص ٢٨) من حديث النعمان ابن بشير عن أم المؤمنين عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعثمان : « يا عثمان ان ولاء الله هذا الأمر يوماً فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه (*) » يقول ذلك ثلاث مرات . وفي مسند الامام احمد (ج ٦ الطبعة الأولى : ص ٧٥ و ٨٦ و ١١٤ و ١٤٩) حديث عائشة هذا بالفاظ مختلفة يرويه عنها عروة بن الزبير والنعمان بن بشير وغيرهما .

(١٩٢) قوله صلى الله عليه وآله وسلم : أثبت أحد ! فانما عليك نبى وصديق وشهيدان رواه البخارى . [٢]

(١٩٣) انظر في مسند الامام احمد (١ : ٥٩ الطبعة الأولى رقم ٤٢٠ الطبعة الثانية) حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن . وسنن النسائي (٢ : ١٢٤ - ١٢٥) وجامع الترمذى (٤ : ٣١٩ - ٣٢٠) .

(*) رواه البخارى ومسلم . [٢]

(*) أورد الترمذى وابن ماجه نحوه وحسنه الترمذى وصححه محقق المشكاة [٢]

وقد ثبت أن عثمان أشرف عليهم وقال : أفياكم ابنا محدوج ؟ أنشدكما الله ألستما تعلمان أن عمر قال : إن ربيعة فاجر أو غادر ، وإنى والله لا أجعل فرائضهم وفرائض قوم جاءوا من مسيرة شهر ، وإنما مهر أحدهم عند [طبيه] (١٩٤) . وإنى زدتهم في غزاة واحدة خمسمائة ، حتى ألحقهم بهم ؟ قالوا : بلى .

قال : أذكركما الله ألستما تعلمان أنكما أتيتماني فقلتما : إن كندة آكلة رأس ، وإن ربيعة هى الرأس ، وإن الأشعث بن قيس قد آلكهم . فنزعته واستعملتكما ؟ قالوا : بلى .

قال : اللهم إنهم كفروا معروفى ، وبدلوا نعمتى ، فلا ترضهم عن إمامهم ولا ترض إماماً عنهم .

وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : كنت مع عثمان فى الدار فقال : أعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة إلا كف يده وسلاحه (١٩٥) .

(١٩٤) كذا فى طبعة الشيخ الخطيب ، لكن فى : ب ، ج ، ز : طسه وفى د : [طنبه] وهو ما نختاره ، والطنى : الفجور ، والتهمة « وفى رواية خليفة بن خياط ١٤٩/١ » طنبه : وهو سمر يوصل بوتر القوس . [س]

(١٩٥) الذى يدل عليه مجموع الأخبار عن موقف عثمان من أمر الدفاع عنه أو الاستسلام للأقدار ، هو أنه كان يكره الفتنة ، ويتقى الله فى دماء المسلمين . إلا أنه صار فى آخر الأمر يود لو كانت لديه قوة راجحة يهابها البغاة ، فيرتدعون عن بغيهم ، بلا حاجة إلى استعمال السلاح للوصول إلى هذه النتيجة . وقبل أن تبلغ الأمور مبلغها عرض عليه معاوية أن يرسل إليه قوة من جناء الشام تكون رهن اشارته ، فأبى أن يضيق على أهل دار الهجرة بجند يساكنهم (الطبرى ٥ : ١٠١) . وكان لا يظن أن الجرأة تبلغ بفريق من اخوانه المسلمين إلى أن يتكالبوا على دم أول مهاجر إلى الله فى سبيل دينه . فلما تذاب على البغاة واعتقد أن الدفاع عنه تسفك فيه الدماء جزافاً ، عزم على كل من له عليهم سمع وطاعة أن يكفوا أيديهم وأسلحتهم عن مزالق العنف . والأخبار بذلك مستفيضة فى مصادر أوليائه وشائنيه . على أنه لو ظهرت فى الميدان قوة منظمة ذات هيبة تقف فى وجوه الشوار ، وتضع حداً لفطرتهم وجاهليتهم ، لارتاح عثمان لذلك وسر به ، مع ما هو مطمئن إليه من أنه لن يموت إلا شهيداً . [خ]

ثم قال : قم يا ابن عمر - وعلى ابن عمر سيفه متقلداً - فأخبر به الناس (١٩٦)
فخرج ابن عمر . ودخلوا فقتلوه (١٩٧) .

[وجاءه] زيد بن ثابت فقال له : إن هؤلاء الأنصار بالباب يقولون :
إن شئت كنا أنصار الله (مرتين) . قال (عثمان) لا حاجة لى في ذلك
كفوا (١٩٨) .

(١٩٦) في البداية والنهاية (٧ : ١٨٢) عن مغازى ابن عقبة (أن ابن عمر لم
يلبس سلاحه الا يوم الدار في خلافة عثمان ، ويوم أراد نجدة الحروري أن
يدخل المدينة مع الخوارج أيام عبد الله بن الزبير) . [خ]
(١٩٧) في تاريخ الطبرى (٥ : ١٢٩) كان آخر من خرج عبد الله بن الزبير ،
أمره عثمان أن يصير الى أبيه بوصيته التى كتبها استعداداً للموت ، وأمره
أن يأتى أهل الدار (أى المدافعين عنه في ساحة القصر) فيأمرهم بالانصراف
الى منازلهم . فخرج عبد الله بن الزبير آخرهم ، فما زال يدعى بها ويحدث
الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه . وانما أوصى عثمان الى الزبير لأن الزبير
كان محل الثقة من كبار الصحابة . روى الحافظ ابن عساكر (٥ : ٣٦٢)
أن ستة من الصحابة أوصوا اليه : عثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ،
وابن مسعود ، والمقداد ، ومطيع بن الأسود ، وأبو العاص بن الربيع . فكان
ينفق على أيتامهم من ماله ، ويحفظ لهم أموالهم . [خ]

(١٩٨) أورده البلاذرى في أنساب الأشراف (٥ : ٧٣) من حديث ابن سيرين
وأخرج الحافظ ابن عساكر عن مؤرخ الصدر الأول موسى بن عقبة الاسدى
(الذى قال فيه الامام مالك : عليكم بمغازى ابن عقبة ، فانه ثقة ، وهى أصح
المغازى) أن أبا حبيبة الطائى (وهو ممن يروى عنهم أبو داود والنسائى
والترمذى) قال : لما حضر عثمان جاء بنو عمرو بن عوف الى الزبير فقالوا :
يا أبا عبد الله نحن نأتيك ثم نصير الى ما تأمرنا به (أى من الدفاع عن
أمير المؤمنين) قال أبو حبيبة : فأرسلنى الزبير الى عثمان ، فقال : أقرئه
السلام وقل « يقول لك أخوك : أن بنى عمرو بن عوف جاؤونى ووعدونى أن
يأتونى ثم يصيروا الى ما أمرتهم به . فان شئت أن آتيك فأكون رجلاً من أهل
الدار يصيبنى ما يصيب أحدهم ، فعلت . وان شئت انتظرت ميعاد بنى عمرو
فأدفع بهم عنك ، فعلت » قال أبو حبيبة : فدخلت عليه (أى على عثمان)
فوجدته على كرسى ذى ظهر ، ووجدت رباطاً مطروحة ومراكن مقلوة ، ووجدت
في الدار الحسن بن على ، وابن عمر ، وأبا هريرة ، وسعيد بن العاص ،
ومروان بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير . فأبلغت عثمان رسالة الزبير ، فقال :
« الله أكبر ، الحمد لله الذى عصم أخى . قل له : انك ان تأت الدار تكن رجلاً
=

من المهاجرين ، حرمتك حرمة رجل ، وغناؤك غناء رجل . ولكن انتظر ميعاد بنى عمرو بن عوف ، فعسى الله أن يدفع بك » . قال : فقام أبو هريرة فقال : أيها الناس ، لقد سمعت أذنأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « تكون بعدى فتن وأحداث » فقلت : وأين النجاء منها يا رسول الله ؟ قال : « الأمير وحزبه » وأشار الى عثمان (**) . فقال القوم : ائذن لنا فلنقاتل ، فقد أمكنتنا البصائر (**) . فقال (عثمان) : « عزمت على أحد كانت لى عليه طاعة الا يقاتل » . قال : فبادر - أى سبق - الذين قتلوا عثمان ميعاد بنى عمرو بن عوف فقتلوه .

وبنى عمرو بن عوف قبيل كبير من الخزرج أحد فرعى الأنصار ، وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم عند وصوله الى المدينة مهاجراً من مكة نزل ضيفاً عليهم ثلاثة أيام ثم انتقل الى بنى النجار [خ] .

(**) رواه البيهقى فى « دلائل النبوة » . [م]
* وهذه المواقف المشرفة للصحابة رضوان الله عليهم تلقم خصوم الاسلام الذين يقولون بأن الصحابة كلهم كانوا راضين بقتل عثمان ويتبرؤون منه حتى تركوه ولم يدافعوا عنه ! كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً .

وقد ثبت فى « نهج البلاغة » من كلام على بن أبى طالب انه قال : « والله دفعت عنه » .

وقد نقل البلاذرى فى كتابه : « انساب الأشراف » ١٠٣/٥ عن المدائنى عن سلمة بن عثمان عن على بن زيد عن الحسن قال : « دخل على بن أبى طالب على بناته ، وهن يمسحن عيونهن فقال : مالكن تبكين ؟ قلن : تبكى على عثمان . فبكى وقال : ابكين .

وروى ابن السمان عن قيس بن عباد قال : سمعت علىاً يوم « الجمل » يقول : « اللهم انى ابرأ اليك من دم عثمان ، وقد طاش عقلى يوم قتل عثمان ، وانكرت نفسى ، وجاؤونى للبيعة فقلت : الا تستحى من الله أن أباع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله : الا استحى من رجل تستحى منه الملائكة » . رواه مسلم .

وقد جاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه عبارة تصور موقف على من مقتل عثمان أحسن تصوير قال سعيد الخزاعى :

لقيت علىاً بعد الجمل ، فقلت له : انى سائلك عن مسألة كانت منك ومن عثمان ، فان نجوت اليوم نجوت غداً ان شاء الله قال : سل عما بدا لك ، قلت اخبرنى أى منزلة وسعتك اذ قتل عثمان ولم تنصره ؟ ! قال : ان عثمان كان

وقال له أبو هريرة : اليوم طاب الضرب معك . قال : عزمت عليك
انخرجن (١٩٩) .

وكان الحسن بن علي آخر من خرج من عنده ، فإنه جاء الحسن والحسين
وابن عمر وابن الزبير ومروان ، فعزم عليهم في وضع سلاحهم ، وخروجهم ،
ولزوم بيوتهم .

فقال له ابن الزبير ومروان : نحن نعزم على أنفسنا ألا نبرح . ففتح عثمان
الباب ودخلوا عليه في أصح الأقوال (٢٠٠) .
فقتله المرء الأسود (٢٠١) .

وقيل : أخذ ابن أبي بكر بلحيته ، وذبحه [رومان] (٢٠٢) ، وقيل :

(١٩٩) هذا الخبر في تاريخ الطبري (٥ : ١٢٩) . [خ]
(٢٠٠) أصل هذا الخبر في تاريخ الطبري (٥ : ١٢٨) عن سيف بن عمر
التميمي عن أشياخه . [خ]
(٢٠١) كذا في مطبوعة الجزائر . والذي في تاريخ الطبري (٥ : ١٢٥)
« الموت الأسود » ، والأصول التي طبع عليها تاريخ الطبري أصح من الأصول
التي طبع عليها كتابنا في الجزائر ، ومن الثابت أن ابن سبأ كان مع ثوار مصر
عند مجيئهم من الفسطاط إلى المدينة (الطبري ٥ : ١٠٣ - ١٠٤) وهو في
كل الأدوار التي مثلها كان شديد الحرص على أن يعمل من وراء ستار ، فلعل
« الموت الأسود » اسم مستعار له أراد أن يرمز به إليه ليتمكن من مواصلة
دسائسه لهدم الإسلام . [خ]
توضيح : ب ، ج ، ز : المرء . وتفق (د) مع ما ورد في تاريخ الطبري حيث
عبر عن ذلك بالموت فقال : ودخل عليه رجل يقال له الموت الأسود . وذكر خليفة بن خياط :
أنه رجل من بني سنوس يقال له . الموت الأسود (١٥٢/١) [س] .
(٢٠٢) رومان رجل من بني أسد بن خزيمة . وليس محرفاً كما قال الشيخ محب الدين
الغطيب ، حيث وضع مكانه (كنانة بن بشر) بدعوى أن نسخة الجزائر كثيرة التحريف .
[انظر تاريخ خليفة بن خياط ١٥٢/١] (س) .

==
أما وأنه نهى عن القتال ، وقال : من سل سيفه فليس مني !! فلو قاتلنا
دونه عصيانه قال : فأى منزلة وسعت عثمان إذ استسلم ؟ قال : المنزلة التي
وسعت ابن آدم إذ قال لأخيه : (لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط
يدي إليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين) .
... وما أروع ما قاله محمد بن سيرين في هذا الموضوع : « ما علمت أن
علياً اتهم في دم عثمان حتى يبيع ! فلما يبيع اتهمه الناس وذلك أمر مركوز في
الطباع ! » [م]

رجل من أهل مصر يقال له حمار (٢٠٣) . فسقطت قطرة من دمه على المصحف على قوله « فيسكيهم » فإنها فيه ما حكت إلى الآن (٢٠٤) .

وروى أن عائشة رضى الله عنها قالت : « غضبت لكم من السوط ، ولا أغضب لعثمان من السيف ؟ استعبتموه حتى إذا تركتموه [كالفل] (٢٠٥) المصفي ، ومستموه موص الاثناء ، وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس ، ثم قتلتموه » (٢٠٦) . قال مسروق (٢٠٧) : قلت لها : « هذا عملك ، كنت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه » . فقالت عائشة : « والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم سواداً في بياض » . قال الأعمش : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها (٢٠٨) .

وقد روى أنه ما قتله أحد إلا أعلاج من أهل مصر .

قال القاضي أبو بكر (رضى الله عنه) : فهذا أشبه ما روى في الباب .

(٢٠٣) لم أر هذا الاسم فيمن اجتروا على ارتكاب الجريمة العظمى ، ولعل النساخ حرفوا اسم سودان بن « حمران » أو اسم عمرو ابن « الحمق » . [خ]

(٢٠٤) ذكرت هذه الحادثة في الطبرى بسند حسن . وقد بعث الله على قتلة عثمان من قتلهم جميعاً . ولعل الآية تشير إلى هذا الانتقام . [م]

(٢٠٥) ب ، ج ، ز : المبد . وأصلحه الشيخ محب الدين : القند . ولعله الذهب . لأنه قد ورد في تاريخ ابن الأثير في شأن عثمان [كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من دونه إذا ماصوه كما يماص الثوب بالماء] (٢٠٧/٢) . [س]

(٢٠٦) قالت ذلك أول مرة عند وصولها إلى المدينة عائدة من الحج ، فاجتمع إليها الناس وألقت فيهم خطبة بليغة وردت هذه الجملة في آخرها (الطبرى ٥ : ١٦٥ - ١٦٦) . والموص : الفصل بالأصابع . والقند : غسل قصب السكر إذا جمد . [خ]

(٢٠٧) هو من أئمة التابعين المقتدى بهم توفي سنة ٦٣ . وهو الذي قال لعمار بالكوفة قبل يوم الجمل : يا أبا يقظان علام قتلتم عثمان ؟ قال : على شتم أعراسنا وضرب أبشارنا (❀❀) . فقال مسروق : والله ما عاقبتم بمثل ما عاقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين (الطبرى ٥ : ١٨٧) .

وقد وجدت بعده في تاريخ الطبرى ما يخالفه : خرج أبو موسى فلقى الحسن ابن على . . وقال لعمار : يا أبا يقظان ! أعدوت على أمير المؤمنين عثمان قتلتة ؟ فقال : لم أفعل (٣٥٧) . [م]

(٢٠٨) كما كتب على لسان على ولسان عثمان . [خ]

وبه يتبين - وبأصل المسألة سلوك سبيل الحق - أن أحداً من الصحابة لم يسمع عليه ، ولا قعد عنه . ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفاً بلديين أو أكثر من ذلك (٢٠٩) ، ولكنه ألقى بيده إلى المصيبة (٢١٠) وقد اختلف العلماء فيمن نزل به مثلها : هل يلقى بيده ، أو يستنصر (٢١١) ؟ وأجاز بعضهم أن يستسلم ويلقى بيده اقتداء بفعل عثمان ، وبتوصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك في الفتنة (٢١٢) .

قال القاضي أبو بكر رضى الله عنه : ولقد حكمت بين الناس فألزمهم الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يك [ترى] في الأرض منكر ، واشتد الخطب على أهل الغصب ، وعظم على الفسقة الكرب ، فتألبوا

(٢٠٩) أين هذه المواقف الشريفة للصحابة - دون استثناء واحد منهم مما يزعم السفهاء من أن الصحابة كلهم كانوا راضين بقتله ، ويتبرؤن منه حتى تركوه بعد قتله ثلاثة أيام بلا دفن كما ذكره مؤلف التحفة الاثنى عشرية ورد عليهم بما ألقمهم حجراً فكان مما قاله : « .. ان هذا كله كذب صريح وبهتان صريح لا يخفى على الصبيان فضلا عن ذوى العرفان (مختصر التحفة الاثنى عشرية : ٢٦٦) » . [م]

(٢١٠) لأنه اختار بذلك أهون الشرين ، فأثر التضحية بنفسه على توسيع دائرة الفتنة وسفك دماء المسلمين . وعثمان افتدى دماء أمته بدمه مختاراً فما أحسن الكثيرون منا جزاءه ، وإن أوربا تعبد بشراً بزعم الفداء ولم يكن فيه مختاراً . [خ]

(٢١١) من سياسة الاسلام أن يختار في كل حالة أقلها شراً وأخفها ضرراً ، فإذا كانت للخير قوة غالبية تقمع الشر وتضييق دائرته فالاسلام يهدى الى قمع الشر بقوة الخير بلا تردد . وإن لم يكن للخير قوة غالبية تقمع الشر وتضييق دائرته - كما كانت الحال في موقف أمير المؤمنين عثمان من البغاة عليه - فمصلحة الاسلام في مثل ما جنح اليه عثمان أعلى الله مقامه في دار الخلود . [خ]

(٢١٢) وهى قوله صلى الله عليه وآله وسلم على ما رواه الامام البخارى في كتاب المناقب (ك ٦١ ب ٢٥ ج ٤ ص ١٧٧) وفي كتاب الفتن (ك ٩٢ ب ٩ ج ٨ ص ٩٢) من صحيحه عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى . ومن يشرف لها تستشرفه . ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليصده » . وأعلن أبو موسى الأشعرى في الكوفة قبل وقعة الجمل انه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الطبرى ٥ : ١٨٨) . [خ]

وَأَلْبُوا ، وَثَارُوا إِلَى [وَاسْتَسَلَمْتُ] لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَأَمَرْتُ كُلَّ مَنْ حَوْلِي إِلَّا يَدَافِعُوا عَنْ دَارِي ، وَخَرَجْتُ عَلَى السَّطُوحِ بِنَفْسِي ، فَعَاثُوا عَلَيَّ ، وَأَمْسَيْتُ سَلِيبَ الدَّارِ ، وَلَوْلَا مَا سَبَقَ مِنْ حَسَنِ الْمَقْدَارِ لَكُنْتُ قَتِيلَ الدَّارِ .

وكان الذي حملني على ذلك ثلاثة أمور : أحدها وصاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم المتقدمة (٢١٤) ، والثاني الاقتداء بعثمان ، والثالث سوء الأحذوثة التي فر منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المؤيدة بالوحي (٢١٥) . فإن من غاب عني ، بل من حضر من الحسدة معي ، خفت أن يقول : إن الناس مشوا [مستعنين به] مستغيثين له فأراق دماءهم .

وأمر عثمان كله سنة ماضية ، وسيرة راضية . فإنه تحقق أنه مقتول بخبر الصادق له بذلك ، وأنه بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، وأنه شهيد . وروى أنه قال له في المنام : إن شئت نصرتك ، أو تفطر عندنا الليلة (٢١٧) .

(٢١٤) وقد نقلناها آنفاً عن حديث أبي هريرة في صحيح البخاري ، ومن حديث أبي موسى في الكوفة قبل وقعة الجمل . [خ] (٢١٥) وذلك لما قال ابن سلول في غزوة بني المصطلق « إذا رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » فأراد عمر أن يقتله ، فمنعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » . [خ] (٢١٧) هذه الرواية لابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن سلام في البداية والنهاية (٧ : ١٨٢ - ١٨٣) ، ومن طريق آخر عنه في أنساب الأشراف للبلاذري (٥ : ٨٢) . وفي مسند أحمد (١ : ٧٢١) الطبعة الأولى رقم ٥٢٦ (الثانية) من حديث مسلم أبي سعيد مولى عثمان قال : « إن عثمان أعتق عشرين مملوكاً ، ودعا بسرًا ويل فشدّها عليه ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام ، وقال : إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البارحة في المنام ورأيت أبا بكر وعمر ، وأنهم قالوا لي : اصبر ، فإنك تفطر عندنا القابلة ، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه ، فقتل وهو بين يديه » . وروى الإمام أحمد هذا الحديث عن نائلة زوجة عثمان (١ : ٧٣ رقم ٥٣٦) بقريب من هذا . وفي البداية والنهاية (٧ : ١٨٢) من حديث أيوب السخيتاني عن نافع عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ومن طرق أخرى متعددة وانظر (تاريخ الطبري) (*) (٥ : ١٢٥) . [خ]

(*) روى الطبري نحوه مختصراً وإسناده حسن . [م]

وقد اتدبت المردة والجهلة إلى أن يقولوا : إن كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغبا مؤلّبا ، وبما جرى عليه راضيا . واخترعوا كتابا فيه فصاحة وأمثال كب عثمان به مستصرخا إلى على . وذلك كله مصنوع ، ليوغر قلوب المسلمين على السلف الماضين والخائف الراشدين (٢١٨) .

قال القاضي أبو بكر رضى الله عنه : فالذى ينخل من ذلك أن عثمان مظلوم ، محجوج بغير حجة (٢١٩) . وأن الصحابة برآء من دمه بأجمعهم ، لأنهم أتوا إرادته ، وسلموا له رأيه في إسلام نفسه .

ولقد ثبت - زائداً إلى ما تقدم عنهم - أن عبد الله بن الزبير قال لعثمان : إنا معك في الدار عصابة مستبصرة ينصر الله بأقل منهم ، فائذن لنا . فقال : أذكر الله رجلا أراق لى دمه (أو قال دماً) (٢٢٠) .

(٢١٨) هذه الكتب المصنوعة والأخبار المبالغ فيها أو المكذوبة شحنت بها أسفار الأخبار وكتب الأدب . ولتمييز الحق فيها من الباطل طريقتان : أحدهما طريق أهل الحديث في أن لا يقبلوا إلا الأخبار المسندة إلى أشخاص بأسمائهم ثم يستعرضوا أحوال هؤلاء الأشخاص فيقبلوا من صادقهم ، ويضربوا وجه الكذاب بكذبه . والطريق الثانى طريق علماء التاريخ وهو أن يعرضوا كل خبر على سجايا من يخبر عنه ، ويقارنوه بسيرته ، وهل هو مما ينتظر وقوعه ممن نسب إليه ويلائم المعروف من سابقته وأخلاقه أم لا . وتمحيص تاريخنا يحتاج إلى هاتين الطريقتين معا يقوم بهما علماء راسخون فيهما . [خ]

(٢١٩) كما تبين في هذا الكتاب بأسانيده القاطعة . وانظر كتاب (التمهيد) للإمام أبى بكر الباقلانى (ص ٢٢٠ - ٢٢٧) . [خ]

(٢٢٠) ولما بدأ حجاج بيت الله يعودون إلى المدينة كان أول المرعين منهم المفيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى الصحابى ، فأدرك عثمان قبل أن يقتل ، وشهد المناوشة على باب دار عثمان فجلس على الباب من داخل وقال : ما عذرنا عند الله أن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت . وكان أول من برز للبغاة المهاجمين ، وقا تل حتى قتل . وخرج معه لقتالهم الحسن بن على بن أبى طالب وهو يقول في تسفيه عمل البغاة :

لا دينهم دينى ولا أنا منهم حتى أسير إلى طمار شمام
أى إلى جبل أشم لا ينجو من سقط منه . وخرج معهما محمد بن طلحة
ابن عبيد الله - وكان يعرف بالسجاد لكثرة عبادته - وهو يقول :
أنا ابن من حامى عليه بأحد ورد أحزابا على رغم معد
انظر تاريخ الطبرى (٥ : ١٢٨ - ١٢٩) . [خ]

وقال سليط بن أبي سليط : نهانا عثمان عن قتالهم ، فلو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم عن أقطارها (٢٣١) .

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : كنت مع عثمان في الدار فقال : أعزم على كل من رأى أن لي عليه سمعا وطاعة إلا كف يده وسلاحه ، فإن أفضلكم غناء من كف يده وسلاحه (٢٣٢) .

وثبت أن الحسن والحسين وابن الزبير وابن عمر ومروان كلهم شاك في السلاح حتى دخلوا الدار ، فقال عثمان : أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم ولزمت بيوتكم (٢٣٣) .

فلما قضى الله من أمره ما قضى ، ومضى في قدره ما مضى ، علم أن الحق [ألا] يترك الناس سدى ، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه . ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرا وعلما وتقى ودينا ،

(٢٢١) رواه الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب (٢ : ١١٨ - ١١٩ هامش الإصابة) من حديث ابن سيرين عن سليط . وأورده الحافظ ابن حجر مختصرا في الإصابة (٢ : ٧٢) . [خ]

(٢٢٢) وفي تاريخ الطبري (٥ : ١٢٧) أن عثمان دعا عبد الله بن عباس فقال له : اذهب فأنت على الموسم (أى على إمارة الحج) فقال ابن عباس : « والله يا أمير المؤمنين لجهاد هؤلاء أحب الى من الحج » فأقسم عليه لينطلق ، فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة . [خ]

(٢٢٣) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧ : ١٨١) : كان الحصار مستمرا من اواخر ذى القعدة الى يوم الجمعة الثامن عشر من ذى الحجة . فلما كان قبل ذلك بيوم ، قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والانصار - وكانوا قريبا من سبعمائة ، فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة وخلق من مواليه ولو تركهم لمنعه - : « أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق الى منزله » وقال لرفيقه « من أغمد سيفه فهو حر » فبرد القتال من داخل ، وحمل من خارج . حتى كانت الساعة التي تم فيها للشيطان ما سعى له وتمناه . ويكفى لبيان ما كان لهذه الفاجعة الكبرى من الاثر في النفوس ما نقله البلاذري في انساب الاشراف (٥ : ١٠٣) عن المدائني عن سلمة بن عثمان عن علي بن زيد عن الحسن قال : دخل على يوما على بناته وهن يمسحن عيونهن . فقال : مالكن تبكين ؟ قلن : نبكى على عثمان ، فبكى وقال : ابكين . . . [خ]

فانعدت له البيعة . ولولا الاسراع بعقد البيعة لعلى لجرى على من بها من الأوباش مالا يرقع خرقة . ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار ، ورأى ذلك فرضاً عليه ، فانقاد إليه (٣٢٤) .

(٢٢٤) فى تاريخ الطبرى (٥ : ١٥٥) عن سيف (*) بن عمر التميمى عن اشيائه قالوا : بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام اميرها الفافقى ابن حرب يلتمسون من يجيهم الى القيام بالامر فلا يجدونه : يأتى المصريون علياً فيختبئ منهم ويلوذ بحيطان المدينة (أى يختبئ فى بساطينها) فاذا لقوه باعدهم وتبرا منهم ومن مقاتلتهم مرة بعد مرة . ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه . فأرسلوا اليه حيث هو رسلاً فباعدهم وتبرا من مقاتلتهم . ويطلب البصريون طلحة ، فاذا لقيهم باعدهم وتبرا من مقاتلتهم . فبعثوا الى سعد ابن أبى وقاص وقالوا : انك من اهل الشورى فرأينا فيك مجتمع ، فأقدم نياحك . فبعث اليهم انى وابن عمر خرجنا منها ، فلا حاجة لى فيها . ثم انهم اتوا ابن عمر عبد الله فقالوا : أنت ابن عمر فقم بهذا الامر فقال : ان لهذا الامر انتقاماً والله لا أتعرض له فالتمسو غيرة . واخرج لطبرى (٥ : ١٥٦) عن الشعبى قال : أتى الناس علياً وهز فى سوق المدينة وقالوا له : ابسط يدك نياحك . قال : لا تمجلوا ، فان عمر كان رجلاً مباركا ، وقد أوصى بها شورى ، فامهلوا يجتمع الناس ويتشاورون . فارتد الناس عن على . ثم قال بعضهم : ان رجع الناس الى امصارهم بقتل عثمان ولم يبق بعده قائم بهذا الامر لم نأمن اختلاف الناس وفساد الأمة . فعادوا الى على ، فأخذ الاشر بيده ، فقبضها على . فقال : ابعد ثلاثة ؟ أما والله لئن تركتها لتعصرن عينيك عليها حيناً . فبايعته العامة . واهل الكوفة يقولون : أول من بايعه الاشر . وروى سيف عن أبى حارثة محرز العبشمى وعن أبى عثمان يزيد بن أسيد الفسانى قال : لما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان جمعوا اهل المدينة ، فوجدوا سعداً والزبير خارجين ووجدوا طلحة فى حائط له . فلما اجتمع لهم اهل المدينة قال لهم اهل مصر : انتم اهل الشورى وانتم تعقدون الامامة وأمركم عابر على الأمة ، فانظروا رجلاً تنصبونه ونحن لكم تبع . فقال الجمهور : على بن أبى طالب نحن به راضون . . . فقال على : دعونى والتمسوا غيرى . . فقالوا : نشدك الله ، الا ترى الفتنة ، الا تخاف الله ؟ فقال : ان أجبتكم ركبتم بكم ما أعلم ، وان تركتمونى فانما انا كأحدكم ، الا أنى اسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم . ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد (أى يوم الجمعة) فلما أصبحوا من يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء على حتى صعد المنبر فقال : « يا أيها الناس عن ملا واذن . ان هذا أمركم ، ليس لأحد

(*) سيف هذا متهم بالكذب كما جاء فى اللسان والميزان . [٢]

وعقد له البيعة طلحة ، فقال الناس : بايع علياً يد شلاء ، والله لا يتم هذا الأمر (٢٣٥) .

فإن قيل : بايعا مكرهين (٢٣٦) . قلنا : حاشا لله أن يكرها ، لهما ولن بايعهما . ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك ، لأن واحداً أو اثنين تنعقد البيعة بهما وتتم ، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له ، وهو مكره على ذلك شرعاً . ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما ، ولا في بيعة الامام (٢٣٧) .

وأما من قال يد شلاء وأمر لا يتم ، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع ، ولم يكن كذلك (٢٣٨) .

فإن قيل : فقد قال طلحة : « بايعت واللج (٢٣٩) على ققى (٢٤٠) » . قلنا : اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في « الققا » لغة « ققى » كما يجعل في « الهوى » : « هوى » . وتلك لغة هذيل لا قريش (٢٤١) فكانت كذبة لم تدبر .

فيه حق الا ان امرتم . وقد افترقنا بالامس على امر . فان شئتم قعدت لكم ، والا فلا اجد على أحد » فقالوا « نحن على ما فارقناك عليه بالامس » . وهذه الوقائع على بساطتها تدل على أن بيعة علي كانت كبيعة اخوانه من قبل جاءت على قدرها وفي ابانها ، وأنها مستمدة من رضا الأمة في حينها ، لا من وصية سابقة مزعومة ، أو رموز خيالية موهومة . [خ]

(٢٢٥) قائل هذه الكلمة حبيب بن ذؤيب . رواه الطبري (٥ : ١٥٣)
عن أبي الميخ الهذلي . [خ]

(٢٢٦) يعني طلحة والزبير . [خ]

(٢٢٧) القاضي ابن العربي يقرر هنا الحكم الشرعي في عقد البيعة ، لا على أنه رأى له . وللإمام أبي بكر الباقلاني كلام سديد في (التمهيد) ص ٢٣١ . [خ]
(٢٢٨) وقد علمت أن أهل الكوفة يقولون أن الأشتر كان أول من بايع . ولو كانت يد طلحة هي الأولى في البيعة لكانت أعظم بركة ، لأنها يد دافعت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويد الأشتر لا تزال رطبة من دم الشهيد المبشر بالجنة . [خ]

(٢٢٩) في جميع النسخ المخطوطة (اللج) وصوابه (اللج) وهو السيف . وقد أصلحه الشيخ محب الدين الخطيب ولم يذهب إلى ذلك . [س]

(٢٣٠) بل هي أبعد عن لغة قريش من لهجة هذيل ، فقد قال ابن الأثير في النهاية (مادة لجج) أنها لغة طائية ، يشددون ياء المتكلم . [خ]

(٢٣١) كان طلحة من العصاة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله

وأما قولهم « يد شلاء » لو صح فلا متعلق لهم فيه ، فإن يداً شلت في وقاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتم لها كل أمر ، ويتوقى بها من كل مكروه (٢٣٢) . وقد تم لأمر على وجهه ، وتقذ القدر بعد ذلك على حكمه . وجهل المبتدع ذلك فاخترع ما هو حجة عليه .

==
وسلم على الموت يوم أحد حين انهزم المسلمون ، فصبروا ولزموا . ورمى مالك ابن زهير الجسمي بسهم يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وكان لا يخطئ رمية - فأتقاه طلحة بيده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان ذلك سبب الشلل في يده من خنصره . وأقبل رجل من بنى عامر يجر رمحاً له على فرس كميث أغر مدججاً في الحديد يصيح : أنا أبو ذات الودع ، دلوني على محمد . ف ضرب طلحة عرقوب فرسه ، فاكسعت . ثم تناول رمحه فلم يخطئ به عن حدقته ، فخار كما يخور الثور ، فما برح طلحة واضعاً رجله على خده حتى مات . قالت بنتاه - عائشة وأم اسحاق - : جرح أبونا يوم أحد أربعاً وعشرين جراحة في جميع جسده ، وقد غلبه الفشي ، وهو مع ذلك محتمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى كسرت رباعيته يرجع به القهقري ، كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه حتى اسنده الى الشعب . فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول اذا رأى طلحة : « من أحب أن ينظر الى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر الى طلحة ابن عبيد الله (ﷺ) » رواه أبو نعيم الاصبهاني . وكان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كان يوم طلحة . وسمع علي بن أبي طالب رجلاً يقول بعد يوم الجمل : ومن طلحة ؟ فزبره علي ، وقال : انك لم تشهد يوم أحد ، لقد رأيت وانه ليحترس بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان السيوف لتفشاه ، وان هو الاجنة بنفسه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . أخرج الحافظ ابن عساكر (٧ : ٧٨) من طريق ابن منده عن طلحة قال : سماني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد (طلحة الخير) ، وفي غزوة العسرة (طلحة الفياض) ويوم حنين (طلحة الجود) . [خ]

(٢٣٢) وانظر (التمهيد) للباقلاني ص ٢٣١ و ٢٣٥ و ٢٣٦ . وحقيقة موقف علي من قتلة عثمان أنهم عند البيعة له كانوا هم المستولون على زمام الأمر في المدينة . وفي حالة الارهاب التي كانت سائدة يومئذ لم يكن في استطاعة علي ولا غيره أن يقف منهم مثل موقف الصحابة من عبيد الله بن عمر لما قتل الهرمزان . مع الفارق العظيم بين دم أمير المؤمنين الخليفة الراشد ، والاسير الحربى المجوسى الذى قال انه أسلم بعد وقوعه في الأسر . ولما انتقل علي من المدينة الى العراق ليكون على مقربة من الشام انتقل معه قتلة عثمان ولاسيما أهل البصرة والكوفة منهم ، فلما صاروا في بصرتهم وكوفتهم صاروا في معقل

فإن قيل : بايئوه على أن يقتل قتلة عثمان . قلنا : هذا لا يصح في شرط البيعة ، وإنما يبايئونه على الحكم بالحق ، وهو أن يحضر الطالب للدم ، ويحضر المطلوب ، وتقع الدعوى ، ويكون الجواب ، وتقوم البيعة ، ويقع الحكم . فأما على الهجوم عليه بما كان من قول مطلق ، أو فعل غير محقق ، أو سماع كلام ، فليس ذلك في دين الإسلام (٢٣٢) .

قالت العثمانية : تخلف عنه من الصحابة جماعة ، منهم سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة ، وابن عمر ، وأسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم .

قلنا : أما بيعته فلم يتخلف عنها . وأما نصرته فتخلف عنها قوم ، منهم من ذكرتم ، لأنها كانت مسألة اجتهاد ، فاجتهد كل واحد وأعمل ظنره وأصاب قدره (٢٣٣) .



قوتهم وعنجهية قبائلهم ، ولا شك أن علياً أعلن البراءة منهم وأراد أن يتفق مع أصحاب الجمل على ما يمكن الاتفاق عليه في هذا الشأن ، فأنشب قتلة عثمان القتال بين معسكر على ومعسكر أصحاب الجمل ، وتمكن أصحاب الجمل من قتل المصريين من قتلة عثمان الا واحداً من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم حمته قبيلته . فلما اتسعت الأمور وسفكت الدماء كان على في موقف يحتاج فيه الى بأس هؤلاء المعروفين بأنهم من قتلة عثمان وفي مقدمتهم الأشتر وامثاله . وان كثيرين منهم انقلبوا على أعقابهم بعد ذلك وخرجوا عليه معتقدين كفره . ويقول علماء السنة والمؤرخون أن الله كان بالمرصاد لقتلة عثمان ، فانتقم منهم بالقتل والنكال واحداً بعد واحد ، حتى الذين طال بهم العمر الى زمن الحجاج كانت عاقبتهم سفك دمائهم جزاء بما قدمت أيديهم والله عادل الحاكمين . [خ] (٢٣٣) وانظر (التمهيد) للباقلاني ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(*) اسناده صحيح لشواهد كما جاء في الأحاديث الصحيحة ٢/٣٢٠ [ج]

قاصمة

روى قوم أن البيعة لما تمت لعلى استأذن طلحة والزبير عليا في الخروج إلى مكة (٢٣٤) . فقال لهما على : لعلكما تريدان البصرة والشام . فاقسما ألا يفعلا (٢٣٥) .

وكانت عائشة بمكة (٢٣٦) .

وهرب عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة إلى مكة ، ويعلى بن أمية عامل عثمان على اليمن .

فاجتمعوا بمكة كلهم ، ومعهم مروان بن الحكم ، واجتمعت بنو أمية . وحرصوا على دم عثمان وأعطى يعلى لطلحة والزبير وعائشة أربعمئة ألف درهم . وأعطى لعائشة « عسكراً » جملاً اشتراه باليمن بمائتي دينار . فأرادوا الشام ، فصدهم ابن عامر وقال : لا ميعاد لكم بمعاوية ، ولي بالبصرة صنائع ، ولكن إليها .

(٢٣٤) ومن استأذنه في الخروج إلى مكة عبد الله بن عمر بن الخطاب . وسبب ذلك أن عليا لما تمت له البيعة عزم على قتال أهل الشام ، وندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه ، فطلب عبد الله بن عمر وحرصه على الخروج معه فقال : إنما أنا رجل من أهل المدينة أن خرجوا خرجت على السمع والطاعة ، لكن لا أخرج للقتال في هذا العام . ثم تجهز ابن عمر وخرج إلى مكة (ابن كثير ٧ : ٢٣٠) وكان الحسن بن علي مخالفاً لأبيه في أمر الخروج لمقاتلة أهل الشام ومفارقة المدينة كما ترى فيما بعد . [خ]

(٢٣٥) قول على لهما وقسمهما له من زيادات مرتكبي (القاصمة) ورواتها . [خ]

(٢٣٦) ذهب إليها هي وأمها المؤمنين لما قطع البغاة الماء عن أمير المؤمنين عثمان ، وأخذ يستسقى الناس ، فجاءته أم حبيبة بالماء فاهأوها ، وضربوا وجهه بفلتها ، وقطعوا حبل البغلة بالسيف (الطبري ٥ : ١٢٧) ، فتجهز أمهات المؤمنين إلى الحج فراراً من الفتنة (ابن كثير ٧ : ٢٢٩) . [خ]

فجاءوا إلى ماء الحوآب (٢٣٧) ، ونبتت كلابه ، فسألت عائشة ، فقيل لها : هذا ماء الحوآب . فردت خطامها عنه ، وذلك لما سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « أيتكن صاحبة الجمل الأديب (٢٣٨) ، والتي تنبجها كلاب الحوآب ؟ » فشهد طلحة والزبير أنه ليس هذا ماء الحوآب (٢٣٩) ، وخمسون رجلا اليهم (٢٤٠) وكانت أول شهادة زور دارت في الاسلام (٢٤١) .

(٢٣٧) الحوآب من مياه العرب على طريق البصرة . قاله أبو الفتح نصر ابن عبد الرحمن الاسكندري فيما نقله عنه ياقوت في معجم البلدان . وقال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم : ماء قريب من البصرة ، على طريق مكة اليها . سمى بالحوآب بنت كلب بن وبرة القضاية . [خ]

(٢٣٨) الأديب : الأدب (أظهر الادغام لأجل السجعة) ، والأدب الكثير وبر الوجه . قاله ابن الأثير في النهاية . [خ]

(٢٣٩) هذا الخبر عن الصحابي الجليل الزبير عار عن الصحة . وقد ذكر الامام ابن كثير في البداية والنهاية (٢١٢/٦) خلافه فقال :

روى أبو نعيم بن حماد في الملاحم - وقد اسنده - ثم روى أحمد - وقد اسنده - عن أبي حازم أن عائشة لما أتت على الحوآب فسمعت نباح الكلاب فقالت : ما أظنني الا راجعة ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لنا ايتكن ينبج عليها كلاب الحوآب ، فقال لها الزبير ترجمين ؟ وعسى الله أن يصلح بك بين الناس ، قال ابن كثير : وهذا اسناد على شرط الصحيحين ولم يخرجوه . [م]

(٢٤٠) لم يشهدوا ، ولم تقل عائشة ، ولم يقل (**) النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وسنبين ذلك في موضعه من (العاصمة) فيما بعد . [خ]

(٢٤١) شهادة الزور تصدر عن رعا لا يخافون الله كابي زينب وأبي المورع كما تقدم وتصدر ممن يزعم لنفسه أنه قادر على خلق شخصية لم يخلقها الله كالذي اخترع اسم ثابت مولى أم سلمة كما تقدم أما طلحة والزبير - المشهود لهما بالجنة من نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى - فكانا أسما أخلاقاً وأكرم على أنفسهما وعلى الله من أن يشهدا الزور . وهذه القسرية عليهما من مفضي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليست أول فرية لهم في الاسلام ، ولا آخر ما يفترونه من الكذب عليه وعلى أهله . [خ]

(**) لقد صح حديث الحوآب كما نرى ذلك واضحاً عما قريب . [م]

وخرج علي^٢ إلى الكوفة (٢٤٢) ، وتمسك الفريقان والتقوا (٢٤٣) ، وقال
عمار - وقد دنا من هودج عائشة - : ما تطلبون ؟ قالوا : نطلب دم عثمان .
قال : قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب لغير الحق (٢٤٤) .
والتقى علي والزبير ، فقال له علي^٢ : أتذكر قول النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم انك تقاتلني ؟ فتركه ورجع (٢٤٥) . وراجعه ولده ، فلم يقبل .
 وأتبعه الأحنف من قتله « (٢٤٦) .

(٢٤٢) خرج من المدينة في آخر شهر ربيع الآخر سنة ٦ ٣٠ ، ليكون على
مقربة من الشام . وكان ابنه الحسن يود لو بقي والده بالمدينة فيتخذها دار
خلافته كإخوانه الثلاثة قبله فلا يبرحها (الطبري ٥ : ١٧١ وانظر ٥ : ١٦٣) .
وقد سلك علي^٢ من المدينة إلى العراق طريق الربرة وفيد والثعلبية والأساود
وذى قار . ومن الربرة أرسل إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر
فرجعا إليه وهو في ذى قار بأن أبا موسى وأهل الحجى من الكوفيين يرون
القعود ، فأرسل الأشتر وابن عباس ، ثم أرسل ابنه الحسن وعماراً لاستمالة
القوم إليه . وبينما هو في الطريق أنشب عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة
القتال مع أصحاب الجمل . وفي الأساود جاءه خبر مصرع حكيم بن جبلة وقتله
عثمان . ثم جاء عثمان بن حنيف إلى علي وهو في الثعلبية منتوف اللحية ومفلوبا
على أمره . وفي ذى قار أقام علي^٢ معسكره ، ثم قام بمن معه إلى البصرة وفيها
أصحاب الجمل . [خ]

(٢٤٣) بعد وصول علي إلى ذى قار وقيام القعقاع بن عمرو بمساعي
التفاهم تقدم على بمن معه إلى البصرة فأسرع قتلة عثمان إلى إحباط مساعي
الإصلاح بانشاب القتال .

(٢٤٤) كان الفريقان يطلبان التفاهم وجمع الكلمة ، أما الباغي فهم قتلة
عثمان ، وقد قتلهم الله جميعاً إلا واحداً منهم ، وسيأتى بيانه . [خ]

(٢٤٥) ان هذا الخبر غير صحيح ، وقد ذكر الإمام ابن كثير في البداية
والنهاية (٢١٣/٦) ما يماثله وهو ضعيف : [م]

روى البيهقي - وقد أسنده - عن أبي وجرة المازني قال : سمعت علياً
والزبير وعلي^٢ ، يقول له : ناشدتك الله يا زبير ! أما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يقول : « انك تقاتلني ، وانت ظالم » قال : بلى ولكنني نسيت .
قال البيهقي وهذا غريب . [م]

(٢٤٦) الذي قتل الزبير عمير بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع التميمي .
والأحنف أتقى الله من أن يأمرهم بقتله ، بل سمعوه يتذمر من قتال المسلمين
بعضهم مع بعض فلحقوا بالزبير فقتلوه (الطبري ٥ : ١٩٨) . [خ]

ونادى على^{٢٤٧} طلحة من بعد : ما تطلب ؟ قال : دم عثمان . قال : قاتل الله أولانا بدم عثمان . ألم تسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » (٢٤٧) وأنت أول من بايعني ونكث (٢٤٨) .



(٢٤٧) كان طلحة أصدق إيماناً وأسمى أخلاقاً من أن يبايع وينكث . وإنما كان يريد جمع الكلمة للنظر في أمر قتلة عثمان ، واستجاب على لهذه الدعوة كما سيأتى في البحوث التالية ، ولكن الذين جنوا على الإسلام أول مرة بالبغى على عثمان كانوا أعداء الله مرة أخرى بانشاب القتال بين هذين الفريقين من المسلمين . [خ]

(٢٤٨) الحديث صحيح كما سنرى في غير هذا الموضع ولكن ليس فيه : « اللهم انصر من نصره واخذل من خذله » . [م]

عاصمة

أما خروجهم إلى البصرة فصحيح لا إشكال فيه .

ولكن لأى شىء خرجوا ؟ لم يصح فيه نقل ، ولا يوثق فيه بأحد ، لأن الثقة لم ينقله ، وكلام المتعصب [غير مقبول] . وقد دخل مع المتعصب من يريد الطعن فى الإسلام واستنقص الصحابة :

فيحتل أنهم خرجوا خلعاً لعلى لأمر ظهر لهم ^(٢٤٩) ، وهو أنهم بايعوا لتسكين الثائرة ، وقاموا يطلبون الحق .

ويحتل أنهم خرجوا ليتكفروا من قتلة عثمان ^(٢٥٠) .

ويمكن أنهم خرجوا [لينظروا] فى جمع طوائف المسلمين ، وضم [تشردهم] ، وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا . وهذا هو الصحيح ، لا شىء سواه . بذلك وردت صحاح الأخبار .

فأما الأقسام الأول فكلها باطلة وضعيفة :

أما بيعتهم كرها فباطل [وقد بينها] .

وأما خلعهم فباطل ، لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع ، فيمكن

(٢٤٩) وهذا الاحتمال بعيد عن هؤلاء الأفاضل الصالحين ، ولم يقع منهم ما يدل عليه ، بل الحوادث كلها دلت على نزاهتهم عنه . وإلى هذا ذهب الحافظ ابن حجر فى فتح البارى (١٣ : ٤١ - ٤٢) فنقل عن كتاب (أخبار البصرة) لعمربن شبة قول الملهب : « ان أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً فى الخلافة ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة » . [خ]

(٢٥٠) وهذا ما كانوا يذكرونه ، الا أنهم يريدون أن يتفقوا مع على على الطريقة التى يتوصلون بها إلى ذلك . وهذا ما كان يسمى به الصحابى المجاهد القمعاق بن عمرو ، وقبله الطرفان كما سيأتى . [خ]

أن يولى واحد أو اثنان ، ولا يكون الخلع إلا بعد الاثبات والبيان .

وأما خروجهم في أمر قتلة عثمان فيضعف ، لأن الأصل قبله تأليف الكلمة ، ويمكن أن يجتمع الأمران (٢٥٣) .

ويروى أن تغييبهم (٢٥٤) قطعاً للشغب بين الناس . فخرج طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم فيرعوا حرمة نبيهم . واحتجوا عليها (٢٥٥) بقول الله تعالى « لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » (النساء : ١١٤) ، وقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلح وأرسل فيه . فرجت المثوبة ، واغتتمت [الفرصة] ، وخرجت حتى بلغت الأفضية مقاديرها .

وأحس بهم أهل البصرة ، فحرض من كان بها من المتألبين على عثمان الناس ، وقالوا : اخرجوا إليهم حتى تروا ما جاءوا إليه ، فبعث عثمان ابن حنيف حكيم بن جبلة (٢٥٦) ، فلقى طلحة والزبير بالزابوقة ، فقتل

(٢٥٣) واجتماع الأمرين هو الذي كاد يقع ، لولا أن السبائين احبطوه . فأصحاب الجمل جاءوا في أمر قتلة عثمان ، ولم يجيئوا إلا لذلك . إلا أنهم ارادوا أن يتفاهموا عليه مع على ، لأن التفاهم معه أول الوسائل للوصول إلى ما جاؤوا له . [خ]

(٢٥٤) أى تغييب طلحة والزبير وعائشة عن المدينة . (خ)

(٢٥٥) لما أقنعوها بالخروج إلى البصرة . [خ]

(٢٥٦) عثمان بن حنيف أنصارى من الأوس ، كان عند هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة أحد الشبان الأوسيين الخمسة عشر الذين انضموا إلى عبد عمرو بن صفى عند خروجه إلى مكة مغاضباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان عبد عمرو يسمى في الجاهلية الراهب فسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الفاسق (الطبرى ٣ : ١٦) . والظاهر أن عثمان ابن حنيف عاد من مكة وأسلم قبل وقعة أحد لأنها أول مشاهدته (الإصابة ٢ : ٤٥٩) . وتزعم الشيعة أنه شاعب على خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبى بكر الصديق في أول خلافته (تنقيح المقال للمامقانى ١ : ١٩٨)

=

حكيم (٢٥٧) ، ولو خرج مسلماً مستسلماً لا مدافعاً (٢٥٨) لما أصابه شيء .
 وأى خير كان له في المدافعة ، وعن أى شيء كان يدافع ؟ وهم ما جاءوا مقاتلين
 ولا ولاة ، وإنما ساعين في الصلح ، راغبين في تأليف الكلمة ، فمن خرج إليهم
 ودافعهم وقتلهم دافعوا عن مقصدهم ، كما يفعل في سائر الأسفار والمقاصد .
 فلما وصلوا إلى البصرة تلقاهم الناس بأعلى المربد مجتمعين (٢٥٩) ،
 حتى لو رمى حجر ما وقع إلا على رأس إنسان . فتكلم طلحة وتكلم عائشة
 رضى الله عنها .

واعتقد أن هذا من كذبهم عليه ، وقد تولى لعمر مساحة أرض العراق وضرب
 الجزية والخراج على أهلها ، فلو صح ما زعموه من شغبه على أبى بكر لتنافى
 هذا مع استعمال عمر له ، إلا أن يكون تاب . ولما بويح لعلى آخر سنة ٣٥
 واختار ولاته في بداية سنة ٣٦ ولى عثمان بن حنيف على البصرة (الطبرى
 ٥ : ١٦١) . ولما وصل أصحاب الجمل إلى الحفيرة على أربعة أميال من البصرة
 أرسل إليهم عثمان بن حنيف عمران بن حصين الخزاعى صاحب راية النبى
 صلى الله عليه وآله وسلم على خراطة يوم الفتح ليعلم له علمهم ، فلما عاد إليه
 وذكر له حديثه مع أصحاب الجمل قال له عثمان بن حنيف : اشر على
 يا عمران . فقال له : انى قاعد ، فاقعد . فقال عثمان : بل امنعهم حتى يأتى
 أمير المؤمنين على . وأشار عليه هشام بن عامر الانصارى - أحد الصحابة
 المجاهدين الفاتحين - بأن يسألهم حتى يأتى أمر على ، فأبى عثمان بن حنيف
 ونادى في الناس ، فلبسوا السلاح ، وأقبل عثمان على الكيد (الطبرى
 ٥ : ١٧٤ - ١٧٥) ، وكانت العاقبة فشله وخروج الأمر من يده إلى أيدي
 أصحاب الجمل . ووقع ابن حنيف في أسر الجماهير فنتفت لحيته ، ثم أنقذه
 أصحاب الجمل منهم فانسحب إلى معسكر على في الثعلبية ثم في ذى قار .
 هذا هو عثمان بن حنيف وموقفه من أصحاب الجمل . أما حكيم بن جبلة
 فالحقارىء يعلم أنه من قتلة أمير المؤمنين عثمان ، وقد تقدم التعريب به . [خ]

(٥٧) الزابوقة : موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل في دورها
 الأول بعد أن خطب طلحة والزبير وعائشة في المربد . أما مصرع حكيم بن جبلة
 فكان بعد المعارك الأولى التى انتهت بقلبة أصحاب الجمل واستيلائهم على الحكم
 في البصرة ، فتمرد حكيم بن جبلة على هذه الحالة الجديدة وقاتل مع ثلاثمائة
 من أعوانه حتى قتل . (خ)

(٢٥٨) أى مقاتلاً . [خ]

(٢٥٩) مربد البصرة : موضع كانت تقام فيه سوق الإبل خارج البلد ،

وكثر اللفظ (٢٦٠) ، وطلحة ويقول « أنصتوا فاجعلوا يركبونه ولا [ينصتون] ، فقال : « أف ، أف فراش نار ، وذباب طمع » وانقلبوا على غير بيان (٢٦١) .

وانحدروا إلى بنى نهد ، فرماهم الناس بالحجارة حتى نزلوا الجبل (٢٦٢)
والتقى طلحة والزبير وعثمان بن حنيف - عامل على* ، على البصرة -

ثم صارت تكون فيه مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء . ثم اتسع عمران البصرة فدخل المربد في العمران فكان من أجل شوارعها ، وسوقه من أجل أسواقها ، وصار محلة عظيمة سكنها الناس . ولما انحطت منزلة البصرة وهرم عمرانها تضاءلت ، فامسى المربد بائناً عنها حتى كان بينه وبين البصرة في زمن ياقوت ثلاثة أميال ، والمربد خراب كالبلدة المفردة في وسط البرية . وكان موضع البصرة يومئذ قريباً من موضع ضاحيتها الزبير في أيامنا هذه .

(٢٦٠) لأن الذين في الميسرة كانوا يقولون تعليقاً على خطبتي طلحة والزبير : فجرا ، وغدراً ، وقالوا الباطل ، وأمرابه . قد بايعا ثم جاء يقولان ما يقولان . والذين كانوا في الميمنة يقولون : صدقا ، وبراً ، وقالوا الحق ، وأمرأ بالحق . وتحاثى الناس وتحاصبوا وأرهجوا . إلا أنه لما انتهت عائشة من خطبتها ثبت الذين مع أصحاب الجمل على موالاتهم لهم ، واقترب أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين فقالت فرقة : صدقت والله وبرت وجاءت بالمعروف ، وقال الآخرون : كذبتم ما نعرف ما تقولون . فتحاثوا وتحاصبوا وأرهجوا . [خ]

(٢٦١) لما رأت عائشة ما يفعل أنصار عثمان بن حنيف انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لابن حنيف حتى وقفوا في موضع آخر ، ومال بعض الذين كانوا مع ابن حنيف إلى عائشة وبقي بعضهم مع عثمان بن حنيف (الطبري ٥ : ١٧٥) .

(٢٦٢) حفظ لنا الطبري (٥ : ١٧٦ - ١٧٧) وصفاً دقيقاً نقله سيف ابن عمر التميمي عن شيخه محمد بن عبد الله بن سواد بن نيرة وطلحة ابن الأعمى الحنفي عن موقف أصحاب الجمل السلمي في هذه الواقعة ، وأسراف حكيم بن جبلة في انشباب القتال . قال : وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بنى مازن ثم حجز الليل بين الفريقين . وفي اليوم التالي انتقل أصحاب الجمل إلى جهة دار الرزق ، وأصبح عثمان بن حنيف وحكيم ابن جبلة فجددوا القتال ، وكان حكيم يطيل لسانه بسبب أم المؤمنين ويقتل من يلومه على ذلك من نساء ورجال ، ومنادى عائشة يدعو الناس إلى الكف عن القتال فيأبون ، حتى إذا مسهم الشر وعضهم نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح . [خ]

وكتبوا بينهم أن يكفوا عن القتال ، ولعثمان دار الامارة والمسجد وبيت المال ، وأن ينزل طلحة والزبير من البصرة حيث شاءا ، ولا يعرض بعضهم لبعض حتى يقدم علي (٢٦٣) .

وروي أن حكيم بن جبلة عارضهم حينئذ ، فقل بعد الصلح .

وقدم علي* البصرة (٢٦٥) ، وتدانوا لیتراءوا (٢٦٦) ، فلم يتركهم أصحاب الأهواء ، وبادروا باراقة الدماء . واشتجر [بينهم] الحرب ، وكثرت الغوغاء على البوغاء . كل ذلك حتى لا يقع برهان ، ولا [تقف] الحال على بيان ، ويخفى قتلة عثمان . وإن واحداً في الجيش يفسد تدييره ، فكيف بألف ! .

(٢٦٣) ونص كتاب الصلح في تاريخ الطبرى (٥ : ١٧٧) . ولما بلغ عليا ما وقع كتب الى عثمان بن حنيف يصفه بالعجز . وجمع طلحة والزبير الناس وقصدوا المسجد وانتظروا عثمان بن حنيف فابطا ولم يحضر ووقعت فتنة في المسجد من رعاى البصرة اتباع حكيم بن جبلة ، وكان لها رد فعل من اناس ذهبوا الى عثمان بن حنيف ليحضره فتوطاه الناس ونتفوا شعر وجهه ، امرهم بذلك مجاشع بن مسعود السلمى زعيم هوازن وبنى سليم والاعجاز من قائل البصرة (الطبرى ٥ : ١٧٨) . [خ]

(٢٦٥) فنزل مكانا منها يسمى الزاوية . وكان اصحاب الجمل نازلين مكانا منها يسمى الفرضة . [خ]

(٢٦٦) عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ، وكان ذلك يوم الخميس في النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦ (الطبرى ٥ : ١٩٩) . وكان الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي قد قام بين الفريقين بالوساطة الحكيمة الملقولة ، فاستجاب له اصحاب الجمل ، وأذن علي* لذلك ، وبعث علي* الى طلحة والزبير يقول : « ان كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر » ، فأرسلا اليه : « انا علي* ما فارقنا عليه القعقاع ابن عمرو من الصلح بين الناس » . قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧ : ٢٣٩) : فاطمات النفوس وسكنت واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين . فلما أمسوا بعث علي* عبد الله بن عباس اليهم ، وبعثوا محمد ابن طلحة السجاد الى علي ، وعولوا جميعاً على الصلح ، وباتوا بخير ليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية . وبات الذين اثاروا امر عثمان بشر ليلة باتوها قط ، قد أشرفوا على الهلكة . وجملوا يتشاورون ليلتهم كلها ، حتى اجتمعوا على نشاب الحرب في السر ، واستسروا بذلك خشية أن يفتن بما حاولوا من

وقد روى أن مروان لما وقعت عينه في الاصطفاف على طلحة قال :
[أطلب] أثراً بعد عين ، ورماه بسهم فقتله (٢٦٧) . ومن يعلم هذا إلا علام
الغيوب ، ولم ينقله ثبت ؟

وقد روى (أنه) أصابه سهم بأمر مروان ، لا أنه رماه .

وقد خرج كعب بن سور بمصحف منشور بيده يناشد الناس أن [لا]
يريقوا دماءهم (٢٦٩) ، فأصابه سهم غرب فقتله (٢٧٠) ، ولعل طلحة مثله .

==
الشر . ففدوا مع الفلس وما يشعر بهم جيرانهم ، انسلاوا الى ذلك الأمر
انسلاوا (وانظر مع ذلك الموضع من تاريخ ابن كثير تاريخ الطبرى ه :
٢٠٢ - ٢٠٣ ومنهاج السنة ٢ : ١٨٥ و ٣ : ٢٢٥ و ٢٤١) وهكذا انشبوا
الحرب بين علي وأخويه الزبير وطلحة ، فظن أصحاب الجمل أن علياً غدر بهم ،
وظن على أن أخوانه غدروا به ، وكل منهم اتقى الله من أن يفعل ذلك في
الجاهلية فكيف بعد أن بلغوا أعلى المنازل من اخلاق القرآن . [خ]

(٢٦٧) آفة الاخبار رواها . وفي العلوم الاسلامية علاج آفة الكذب الخبيثة،
فان كل راوى خبر يطالبه الاسلام بأن يعين مصدره على قاعدة « من أين لك
هذا ؟ » . ولا تعرف أمة مثل هذه الدقة في المطالبة بمصادر الاخبار كما عرفه
المسلمون ، ولا سيما أهل السنة منهم . وهذا الخبر عن طلحة ومروان
« لقيط » لا يعرف أبوه ولا صاحبه . وما دام لم ينقله ثبت بسند معروف عن
رجال ثقات فان للقاضي ابن العربي أن يقول بملء فيه : ومن يعلم هذا الا علام
الغيوب ؟ !

(٢٦٩) كعب بن سور الأزدي أول قضاة المسلمين على البصرة ولاء أمير
المؤمنين عمر . قال الحافظ ابن عبد البر : كان مسلماً في زمن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم لكنه لم يره .

(٢٧٠) قال الحافظ ابن عساكر (٧ : ٨٥) في ترجمة طلحة : وقالت
عائشة لكعب بن سور الأزدي : « خل يا كعب عن البعير ، وتقدم بكتاب الله
فادعهم اليه » ودفعت اليه مصحفاً ، وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون
أن يجرى الصلح ، فاستقبلهم كعب بالمصحف ، وعلى من خلفهم يزعمهم ويأبون
الاقداماً ، فلما دعاهم كعب رشقوه رشقاً واحداً فقتلوه ، ثم راموا أم المؤمنين
... فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت : « أيها الناس ، العنوا قتلة
عثمان وأشياعهم ، وأقبلت تدعو ، وضح أهل البصرة بالدعاء . وسمع على

ومعلوم أنه عند الفتنة وفي ملحمة القتال يتمكن أولو الاحن والحقود ، من حل العرى ونقض اليهود . وكانت آجالاً حضرت ، ومواعيد انتجرت (٢٧١) .

فإن قيل : لم خرجت عائشة رضى الله عنها وقد قال صلى الله عليه وآله

الرءاء فقال : ما هذه الضجة ؟ فقالوا : عائشة تدعو ويدعو الناس معها على قتلة عثمان وأشياعهم . فأقبل على يدعو وهو يقول : « اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم » . قلت : وهكذا اشترك صالحو الفريقين في لعن قتلة امير المؤمنين الشهيد المظلوم في الساعة التي كان فيها قتلة عثمان ينشبون القتال بين صالحى المسلمين .

(٢٧١) نقل الحافظ ابن عساكر (٧ : ٨٦ - ٨٧) قول الشعبى : رأى على بن ابي طالب طلحة ملقى في بعض الاودية ، فنزل فمسح التراب عن وجهه ثم قال : « عزيز على ابا محمد ان اراك مجدلاً في الاودية وتحت نجوم السماء . الى الله اشكو عجرى وبجرى » « قال الأصمعى : أى سرائرى وأحزاني التي تجول في جوفى » . وقال : « ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة » . وقال ابو حبيبة مولى طلحة : دخلت أنا وعمران بن طلحة على عبد بعد الجمل فرحب بعمران وأذناه وقال : « انى لارجو ان يحطنى الله وأباك من الذين فال فيهم » ونزعنا ما في قلوبهم من غل اخواناً على سرر متقابلين » ، وكان الحارث الأعور (❖) جالساً في ناحية فقال « الله اعدل من ان تقتلهم ويكونوا اخواننا في الجنة » فقال له على : « قم الى ابعد ارض الله واسحقها ، فمن هو ذا ان لم اكن أنا وطلحة في الجنة ؟ » وذكر محمد بن عبد الله أن علياً تناول دواة فحذف بها الأعور يريده بها فإخطاه . وقال له ابن الكواء (❖❖) « الله اعدل من ذلك » ، فقام اليه على بدرة فضربه وقال له « أنت - لا أم لك - وأصحابك تنكرون هذا ؟! » .

(❖) هو الحارث بن عبد الله الهمداني الحوثي أبو زهير الكوفي الأعور أحد كبار الشيعة . قال عنه الشعبى وابن المدينى : كذاب . قلت وانما كان يدفعه الى الكذب تجزبه وتشيعه ، فالحزبية والتشيع والتعصب المذهبى من مدارج الباطل ، والاسلام دين الاعتدال والانصاف والصدق وأن تقول الحق ولو على نفسك . [م]

(❖❖) ابن الكواء : عبد الله بن ابي أوفى اليشكرى أحد القائمين بالفتنة على عثمان . وبعد صفين والتحكيم كان على رأس الخوارج على علياً فلما حاجهم على وابن عباس رجع الى على قبل وقعة النهروان . هذان التعليقان السابقان السابقان للخطيب . [م]

وسلم لهم في حجة الوداع « هذه ثم ظهور الحصر (٢٧٢) ». قلنا : حدثنا حديثين امرأة ، فإن أبت فأربعة . يا عقول النسوان ألم أعهد إليكم ألا ترووا أحاديث البهتان ، وقدمننا لكم على صحة خروج عائشة البرهان (٢٧٣) ، فلم تقولون ما لا تعلمون ؟ وتكررون ما وقع الانفصال عنه كأنكم لا تفهمون ؟ « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون »

وأما الذي ذكرتم من الشهادة على ماء الحوآب ، فقد يؤتم في ذكرها بأعظم حوب (٢٧٤) ما كان قط شيء مما ذكرتم ، ولا قال (٢٧٥) النبي صلى الله

(٢٧٢) في مسند أحمد (٢ : ٤٤٦ الطبعة الأولى) من حديث صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حج بنسائه قال « إنما هي هذه الحجة ثم الزمن ظهور الحصر » . وفيه (٥ : ٢١٨ الطبعة الأولى) من حديث واقد بن أبي واقد الليثي عن أبيه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لنسائه في حجته « هذه ثم ظهور الحصر » . وحديث أبي واقد في باب فرض الحج من كتاب المناسك بسنن أبي داود (ك ١١ ب ١) . والحصر جمع حصر ، أي لزوم المنزل . ونقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥ : ٢١٥) على أنه إشارة نبوية إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم ينعى لهم نفسه وأن هذه آخر حجة له صلى الله عليه وآله وسلم ، وليس فيه أمر منه بأن لا يزالن الحصر إلى حج أو مصلحة أو إصلاح بين الناس . فاستشهاد أعداء الصحابة بهذا الحديث على المنع مطلقا عده القاضي ابن العريبي من البهتان لأنه استشهاد به لغير ما أراده النبي صلى الله عليه وآله وسلم . [خ] (٢) روى الإمام ابن حزم في بحث « وجوه الفضل والمفاضلة » من كتاب (الإمامة والمفاضلة) المدرج في الجزء الرابع من (الفصل) ص ١٣٤ عن شيخه أحمد بن محمد الخوزي عن أحمد بن الفضل الدينوري عن محمد بن جرير الطبري أن علي بن أبي طالب بعث عمار بن ياسر والحسن بن علي إلى الكوفة إذ خرجت أم المؤمنين إلى البصرة ، فلما أتياها اجتمع اليهما الناس في المسجد ، فخطبهم عمار ، وذكر لهم خروج عائشة أم المؤمنين إلى البصرة ثم قال لهم : « اني أقول لكم ، والله اني لأعلم انها زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة كما هي زوجته في الدنيا ، ولكن الله ابتلاكم بها لتطيعوها أو لتطيعوه » فقال له مسروق أو أبو الاسود : « يا أبا اليقظان ، فتحن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد له » فسكت عمار . (خ)

(٢٧٤) الحوب : الأثم . [خ]

(٢٧٥) بل هو حديث صحيح أخرجه أحمد ٥٢/٦ و ٩٧ وغيره من حديث اسماعيل ابن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم عن عائشة وهذا اسناد صحيح

عليه وآله وسلم ذلك الحديث ، ولا جرى ذلك الكلام ، ولا شهد أحد

رجاله كلهم ثقات وقد صححه ابن حبان (١٨٣١) والحاكم والحافظ والذهبي وابن كثير .

وبمناسبة الكلام على حديث الحوآب ، لابد لنا من التصريح بأن خروج عائشة رضى الله عنها كان اجتهاداً منها لتحقيق غاية طلحة والزبير ، والتعاون مع على رضى الله عنه من أجل اطفاء الفتنة والقضاء على المنافقين والمفسدين من قتلة عثمان رضى الله عنهم جميعاً . وقد جاء فى كتاب التحفة الاثنى عشرية فى رد المطاعن فى حق أم المؤمنين وحبيبة حبيب رب العالمين عائشة الصديقة وزوج مفخرة العوالم على الحقيقة . منها أنها خرجت من المدينة الى مكة ، ومنها الى البصرة ، ومعها يزيد على ستة عشر ألف رجل من العسكر . وقد قال تعالى فى الأزواج المطهرات :

« وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » فأمرهن بالسكون فى البيوت ونهاهن عن الخروج من بيوتهن .

والجواب : أن الأمر باستقرارهن فى البيوت والنهى عن الخروج منها ليس بمطلق ، ولو كان مطلقاً لما أخرجهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول الآية الى الحج والعمرة والغزوات ، ولا رخص لهن بزيارة الوالدين وعبادة المريض وتعزية أقاربهن . واللازم باطل ، فكذا الملزوم . والمراد من هذا الأمر والنهى تأكيد التستر والحجاب بأن لا يدرن ولا يتسكعن فى الطرق كنساء العوام .

وما طعن به أعداء الله على أم المؤمنين رضى الله عنها وجد فى فاطمة رضى الله عنها لما ثبت فى كتبهم بطريق التواتر أن الأمير - علياً - قد أركب فاطمة على مطية وطاف بها فى محلات المدينة ومساكن الأنصار طالباً منهم الاعانة على ما غصب من حقها فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه (وذلك بناء على رواية الخصوم) .

ولما ظهر على رضى الله عنه جاء الى أم المؤمنين رضى الله عنها فقال : « غفر الله لك » قالت : « ولك . ما أردت الا الإصلاح » .

ثم أنزلها دار عبد الله بن خلف وهى أعظم دار فى البصرة على سنية بنت الحارث أم طلحة الطلحات ، وزارها ورجبت به وبايعته وجلس عندها .

فقال : رجل : يا أمير المؤمنين ان بالباب رجلين ينالان من عائشة ، فأمر القعقاع بن عمرو أن يجلد كل منهما مئة جلدة وان يجردهما من ثيابهما ففعل (الطبرى : ٥ : ٢٢٣) ولما أرادت الخروج من البصرة بعث اليها بكل ما ينبغى من مركب وزاد ومتاع وأرسل معها أربعين امرأة وسير معها أخاها محمداً .

ولما كان اليوم الذى ارتحلت فيه جاء على رضى الله عنه فوقف على الباب

بشهادتهم ، وقد كتبت شهادتكم بهذا الباطل وسوف تسألون (٢٧٦) .

وخرجت من الدار في اليهودج فودعت الناس ودعت لهم وقالت : « يا بنى لا يغتب بعضكم بعضاً . انه والله ما كان بينى وبين على بن أبى طالب رضى الله عنه في القديم الا ما يكون بين المرأة واحمائها . وانه لمن الاخيار » فقال على رضى الله عنه :

« صدقت ، والله ما كان بينى وبينها الا ذلك وانها زوجة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة . وسار معها مودعاً أميلاً سرح بيته معها بقية ذلك اليوم .

اما خروج عائشة رضى الله عنها فهو اجتهاد منها لتحقيق غاية طلحة والزبير ، والتعاون مع على من أجل اطفاء الفتنة والقضاء على المنافقين من قتلة عثمان رضى الله تعالى عنهم جميعاً . (التحفة ص ٢٦٨ - ٢٦٠ و ٢٧٥ و ٢٧٦ باختصار) .

فأين هذه البراءة مما زعمه بعض المفترين بأن خروج عائشة رضى الله عنها يوم الجمل كان انتقاماً من على رضى الله عنه من انه حض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على طلاقها في حادثة « الافك » لما رأى من حزنه من كلام بعض الناس . وقد قال غير واحد انها اجتهدت ، ولكنها اخطأت في الاجتهاد ، ولا اثم على المجتهد المخطيء ، بل له اجر على اجتهاده ، وكونها رضى الله تعالى عنها من أهل الاجتهاد مما لا ريب فيه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

ان عائشة لم تقاتل ، ولم تخرج لقتال ، وانما خرجت بقصد الاصلاح بين المسلمين . وظنت ان في خروجها مصلحة للمسلمين ثم تبين لها فيما بعد ان ترك الخروج كان أولى ، فكانت كلما ذكرت تبكى حتى تبل خمارها . وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال ، فندم طلحة والزبير رضى الله عنهم أجمعين ، ولم يكن لهؤلاء قصد في القتال ، ولكن وقع القتال بغير اختيارهم (المنتقى ص ٢٢٣) . [م]

(٢٧٦) تقدم بيان موضع الحواب . وان الكلام الذي نسبوه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزعموا ان عائشة ذكرته عند وصولهم الى ذلك الماء ليس له موضع في دواوين السنة المعتبرة . وقد رأينا خبره عند الطبري (٥ : ١٧٠) فرأيناه يرويه عن اسماعيل بن موسى الفزارى (وهو رجل قال فيه ابن عدى : أنكروا منه الغلو في التشيع) ، ويرويه هذا الشيعى عن على بن عابس الأزرق (قال عنه النسائى : ضعيف) ، وهو يرويه عن أبى الخطاب الهجرى (قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب : مجهول) وهذا الهجرى المجهول يرويه عن صفوان بن قبيصة الاحمسي (قال عنه

قاصمة

ودارت الحرب بين أهل الشام وأهل العراق (٢٧٧) : هؤلاء يدعون إلى على بالبيعة وتأليف الكلمة على الامام ، وهؤلاء يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون : لا نبايع من يؤوى القتلة (٢٧٨) .

وعلى يقول لا أمكن طالبا من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم ، ومعاوية يقول : لا نبايع متهما [بقتله] أو قاتلا له ، هو أحد من نطلب فكيف نحكمه أو نبايعه ، وهو خليفة عدا وتصور .

(٢٧٧) في موضع يسمى (صفين) بقرب الرقة على شاطئ الفرات آخر تخوم العراق وأول أرض الشام . سار إليها على بجيوشه في أواخر ذي القعدة سنة ٣٦ . (خ) .

(٢٧٨) لما انتهى على من حرب الجمل وسار من البصرة إلى الكوفة فدخلها يوم الاثنين ١٢ من رجب ، أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية في دمشق يدعو إلى طاعته . فجمع معاوية رؤوس الصحابة وقادة الجيوش وأعيان أهل الشام واستشارهم فيما يطلب على ، فقالوا : لا نبايعه حتى يقتل قتلة عثمان ، أو يسلمهم إلينا . فرجع جرير إلى على بذلك . فاستخلف على إلى الكوفة أبا مسعود عقبة بن عامر ، وخرج منها فسكر بالنخيلة أول طريق الشام من العراق ، وقد أشار عليه ناس بأن يبقى في الكوفة ويبعث غيره إلى الشام فأبى . وبلغ معاوية أن علياً تجهز وخرج بنفسه لقتاله فأشار عليه رجاله أن يخرج هو أيضاً بنفسه ، فخرج الشاميون نحو الفرات من ناحية صفين ، وتقدم على بجيوشه إلى تلك الجهة . وكان جيش على في مائة وعشرين ألفاً وجيش معاوية في تسعين ألفاً ، وبدأ القتال في ذي الحجة سنة ٣٦ بمناوشات ومبارزات ، ثم تهادنوا في المحرم سنة ٣٧ واستؤنف القتال بعده ، وقتل في هذه الحرب سبعون ألفاً ، وكانت الوقائع ٩٠ وقعة في ١١٠ أيام ، وامتازت هذه الحرب ببذل الشجاعة في القتال ، وبذل التعامل والاتصال عند التهادن والراحة . ثم كتب كتاب التحكيم يوم ١٣ صفر سنة ٣٧ على أن يعلن الحكمان حكمهما في رمضان بدومة الجندل بمكان منها يسمى أذرح . [خ]

وذكروا في تفاصيل ذلك كلمات آلت إلى استفعال رسائل (٢٧٩) ،
واستخراج أقوال ، وإنشاء أشعار ، وضرب أمثال تخرج عن سيرة السلف ،
يقرأها الخلف وينبذها الخلف (٢٨٠) .



(٢٧٩) أى انتحالها زوراً ولا أصل لها . وأكثر ما تجد ذلك فيما يرويه
أخباريو الشيعة عن رواة مجهولين أو كذابين . وأخفهم وطأة أبو مخنف لوط
ابن يحيى ، قال الحافظ الذهبي : « أبو مخنف أخبارى تالف ، لا يوثق به ،
تركه أبو حاتم وغيره » . وقال فيه ابن عدي : « شيعى محترق صاحب
أخبارهم » ثم جاء بعده آخرون منهم كانوا شراً على تاريخ الإسلام من لوط هذا
.. فأفسدوا على الأمة معرفتها بماضيها [خ] .

(٢٨٠) الخلف (بفتح الخاء وسكون اللام) : الطالح . وفي التنزيل
« فخلق من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى » . والخلف
(بفتح الخاء واللام) : الصالح . ومنه الحديث « يحمل هذا العلم من كل خلف
عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل
الجاهلين (*) » . [خ]

(*) يريد بذلك علماء الحديث محاربى المبتدعة والمعطلة [م] .

عاصمة

أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعاً ، وأما كونه بهذا السبب فمعلوم كذلك قطعاً ، وأما الصواب فيه فمع عليّ ، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم ، و تهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه ، بل يطلب (الحق) عنده ، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر ، فكم من حق يحكم الله فيه . وإن لم يكن له دين فحينئذ يخرج عليه ، فيقوم له عذر في الدنيا (٢٨١) .

(٢٨١) وجود قتلة عثمان في معسكر علي حقيقة لا يمارى أحد فيها ، بل ان الاشر وهو من رؤوس البغاة على عثمان كان اكبر مسعر للحرب بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين في معسكر علي والذين في معسكر معاوية . ولما طالب عليّ معاوية ومن معه من الصحابة والتابعين أن يبايعوه احتكموا اليه في قتلة عثمان وطلبوا منه أن يقيم حد الله عليهم أو أن يسلمهم اليهم فيقيموا عليهم حد الله وقد اعتذرنا عن أمير المؤمنين على بأن قتلة عثمان لما صاروا مع علي في العراق صاروا في معقل قوتهم وعنجبية قبائلهم ، فكان عليّ يرى - بينه وبين نفسه - أن قتلهم يفتح عليه باباً لا يستطيع سده بعد ذلك . وقد انتبه لهذه الحقيقة الصحابي الجليل الثقفان بن عمرو التميمي وتحدث بها مع أم المؤمنين عائشة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلحة والزبير فأذعنوا لها وعذروا علياً ووافقوا على التفاهم معه على ما يوصلهم الى الخروج من هذه الفتنة ، فما لبث قتلة عثمان أن انشبوا الحرب بين الفريقين . فالمطالبون باقامة حد الله على قتلة عثمان معذرون لانهم يطالبون بحق ، سواء كانوا من اصحاب الجمل ، أو من اهل الشام . وتقصير علي في اقامة حد الله كان عن ضرورة قائمة ومعلومة ، ولكن اذا كانت حرب البصرة ناشئة عن انشاب قتلة عثمان الحرب بين الفريقين الأولين ، فقد كان من مصلحة الاسلام أن لا تنشب حرب صفين بين الفريقين الآخرين . وكان سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن بن علي كارهاً خروج أبيه من المدينة الى العراق لما يخشاه من نشوب الحرب مع اهل الشام . ولو أن علياً لم يتحرك من الكوفة استعداداً لهذا القتال لما حرك معاوية فيه ساكناً قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢ : ٢١٩) : « لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداءً » . ومع ذلك فإن هذه الحرب المثالية هي الحرب

ولئن اتهم عليٌ بقتل عثمان فليس في المدينة أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا وهو متهم به ، أو قل معلوم قطعاً أنه قتله ، لأن أنف رجل جاءوا لقتل عثمان لا يغلبون أربعين ألفاً (٢٨٢) .

وهبك أن علياً وطلحة والزبير تضافروا على قتل عثمان ، فباقي الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن اعتد فيهم وضوى إليهم ماذا صنعوا بالقعود عن نصرته ؟ .

فلا يخلو أن يكون لأنهم رأوا أولئك طلبوا حقاً وفعلوا حقاً ، فهذه شهادة قائمة على عثمان فلا كلام لأهل الشام . وإن كانوا قعدوا عنه استهزاء بالدين ، وأنهم لم يكن لهم [رأس مال] في الحال ، ولا مبالاة عندهم بالإسلام ولا فيما يجري فيه من اختلال ، فهي ردة ليست معصية . لأن التهاون بحدود الدين وإسلام حرمة الشريعة للتضييع كفر ، وإن كانوا قعدوا لأنهم لم يروا أن يتعدوا حد عثمان وإشارته فأى ذنب لهم فيه ؟ وأى حجة لمروان — وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين وابن عمر وأعيان العشرة معه في داره يدخلون إليه ويخرجون عنه في الشكّة والسلاح — [والمطالبون] ينظرون ؟

الانسانية الأولى في التاريخ التي جرى فيها المتحاربان معاً على مبادئ الفضائل التي يتمنى حكماء الغرب لو يعمل بها في حروبهم ولو في القرن الحادى والعشرين وإن كثيراً من قواعد فقه الحرب في الاسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب ، والله في كل أمر حكمة . [خ]

(٢٨٢) ليس في أهل السنة رجل واحد يتهم علياً بقتل عثمان ، لا في زماننا ولا في زمانه . وقد مضى الكلام على ذلك في هذا الكتاب . وكل ما في الأمر وجود قتلة عثمان مع علي ، وموقف على منهم ، وعذره بينه وبين الله في موقفه هذا . فنحن جميعاً على رأى القعقاع بن عمرو بأن موقف علي موقف ضرورة . غير أن الحمقى من أخبارى الشيعة دسوا على علي أخباراً تشعر بغير ما كان في قلبه من المحبة والرضا والموااة والتأييد لعثمان أثناء محنته ، فأساءوا بذلك الى علي من حيث يريدون الاساءة الى عثمان . أما معاوية وفريقه فلم يذكروا علياً في أمر البغي على عثمان الا لمناسبة انصواء قتلة عثمان اليه واستعانتهم بهم . فقتلة عثمان هم الذين أساءوا الى الاسلام والى عثمان والى علي أيضاً ، فالله حسيبهم . ولو أن كل المسلمين كانوا كعبد الرحمن بن خالد بن الوليد في حزمه — قبل أن تستفحل الفتنة ويقلت الزمام من أيدي العقلاء — لما وصلت الأمور الى ما وصلت اليه .

ولو كان بهم قوة أو أوا إلى ركن شديد لما مكنا أحداً أن يراه منهم ولا يداخله ، وإنما كانوا نظارة ، فلو قام في وجوههم الحسن والحسين وعبد الله ابن عمر وعبد الله ابن الزبير ما جسروا ، ولو قتلوهم ما بقى على الأرض منهم حى .

ولكن عثمان سلم نفسه ، فترك ورأيه . وهى مسألة اجتهاد كما قدمنا

وأى كلام كان يكون لعل [لو كتبت عنده البيعة] (٢٨٤) وحضر عنده ولى عثمان وقال الخليفة ؟ (له : يا أيها) [وما] (٢٨٥) تمالأ عليه ألف نسمة حتى قتلوه ، وهم معلومون . ماذا كان يقول إلا : أثبت ، وخذ . وفى يوم كان يثبت ، الا أن يثبتوا هم أن عثمان كان مستحقاً للقتل (٢٨٦) .

وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبداً ، وكان يكون الوقت أمكن للطلب ، وأرفق فى الحال ، وأيسر وصولاً إلى المطلوب (٢٨٧) .

(٢٨٤) غير الشيخ محب هذه العبارة فكتب « لما تمت له البيعة » ولم يشر الى ذلك وهو مغالط للنص فى جميع النسخ (ص ١٦٧) وهذا أدى الى تغيير المعنى الذى قصد اليه المؤلف (س) (٢٨٥) غير الشيخ محب الدين النص هنا أيضاً هكذا [وقال له : ان الخليفة قد تمالأ عليه ...] وهو مغالط لجميع النسخ الخطوطة ومؤد الى تغيير فى المعنى [س] .

(٢٨٦) المؤلف معترف بأن الاثبات كان فى متناول اليد ، لأن الجريمة مشهودة ، والمجرمون أعلنوا فيها فجورهم فلم يتكتموا . ولكن كيف يكون التنفيذ ، ومن الذى يقوم به ومدينة الرسول مستكينة تحت وطأة الارهاب ؟ ومن ذا الذى يضمن لعل حياته اذا أصدر هذا الحكم ؟ اليس هؤلاء هم الذين تداولوا فى قتله لما عقدوا مؤتمراً فى ذى قار بعد خطبة على التى القاها على الفرائر قبيل مصره الى البصرة (الطبرى ٥ : ١٦٥) ؟ ألم يسخط الأشر على أمير المؤمنين على بعد وقعة الجمل لأنه ولى ابن عمه عبد الله ابن عباس على البصرة ولم يولها الأشر ، ففارقه غاضباً ، ولحق به على فتلافى ما يكون منه من الشر (الطبرى ٥ : ١٩٤) ، والخوارج على على ألم ينبتوا من هذه النواة ؟ ولما قتل على ألم يقتل بمثل السلاح الذى قتل به عثمان ؟ [خ]

(٢٨٧) كان يكون الوقت أمكن الطالب لو وجدت فى المدينة القوة التى كان يتمناها عثمان . ويقال ان قوة من جند الشام كانت خرجت من دمشق قاصدة المدينة ، فلما جاءها خبر شهادة أمير المؤمنين عثمان رجعت من

=

والذى بكشف الغطاء فى ذلك أن معاوية لما صار إليه الأمر لم يمكنه أن يقتل من قتلة عثمان أحدا ، إلا بحكم ، إلا من قتل فى حرب بتأويل ، أو دس عليه فيما [قيل] (٢٨٨) . حتى انتهى الأمر إلى (زمان) الحجاج ، وهم يقتلون بالتهمة لا بالحقيقة . فتبين لكم أنهم ما كانوا فى ملكهم يفعلون ما أضحوا له يطلبون .

والذى تثلج به صدوركم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذكر فى الفتن ، وأشار وبين . وأنذر [الخوارج] (٢٩٠) وقال « تقتلهم أدنى الطائفتين

الطريق ، فبقيت المدينة خاضعة لقتلة عثمان حتى بعد البيعة لعلى ، وهم أن نزلوا على أحكام هذه البيعة فيما لا ضرر منه عليهم ، لا رب أنهم ينقلبون وحوشاً ضارية لو صدرت عليهم أحكام الله بأقامة الحدود فيما ارتكبوا من جرم شنيع . [خ]

(٢٨٨) أن سطوة الله وعدله الأعلى نزلا بأكثر قتلة عثمان فلم يبق منهم فى ولاية معاوية إلا المشرد الخائف الباحث عن جحر يختبئ فيه . ويزاول سطوتهم وتقلص شرهم لم يبق بمعاوية حاجة إلى تتبعهم . [ح]

(٢٩٠) اسم الخوارج جاء من جماعة خرجوا على على بن أبى طالب وصحبه لأنه قبل بالتحكيم قائلين أن حكم الله واضح لا يحتاج إلى هذا التحكيم وكان شعارهم « لا حكم إلا لله » ، ويسمون أيضاً بالحرورية نسبة إلى قرية فى الكوفة تسمى (حروراء) خرجوا إليها . وقد حاربهم أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى الوقعة الشهيرة بوقعة « النهروان » وهزمهم وقتل منهم كثيراً ، ولكنه لم يستطع إبادتهم ، حتى دبروا له مكيدة قتله على يد عبد الرحمن ابن ملجم عليه من الله ما يستحق .

وقد حارب الخوارج الدولة الاموية واقلقوا راحتها فى حروب متواصلة بحجة أنها مفتصلة للخلافة بزعمهم ولكنها استطاعت أن تنهك قواهم ، غير أنها لم تستطع استئصالهم .

والخوارج يقولون بتكفير عثمان لما غير وبدل بزعمهم ، وتكفير على لقبوله التحكيم وطعنوا فى أصحاب الجمل وكل ذلك من جهلهم وضلالهم .

وكان من نظريتهم أن الخلافة تكون باختيار حر من المسلمين وقد خالفوا بذلك الشيعة القائلين بانحصار الخلافة فى بيت النبى : ﷺ . كان ذلك بخلاف أهل السنة القائلين بأن الخلافة من قریش اذا وجدوا وتحققت فيهم الجدارة . وهو الحق .

الى الحق » (٢٩١) فبين أن كل طائفة (منهما) تتعلق بالحق ، ولكن طائفة على أدنى إليه . (٢٩٢) وقال تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين » (سورة الحجرات : ٩) فلم يخرجهم عن « الإيمان » بالبغي بالتأويل ، ولا سلبهم اسم « الاخوة » بقوله بعده « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » (الحجرات : ١٠) .

والخوارج على الرغم من ضلالهم وانحرافهم ، لم يعرفوا بالكذب كالرافضة الذين ينكرون الأحاديث الصحيحة ويضعون الأحاديث المكذوبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويؤولون آيات القرآن الكريم حسب أهوائهم ! ... [٢]

(٢٩١) في صحيح مسلم (ك ١٢ ح ١٥٠ ج ٣ ص ١١٣) من حديث أبي سعيد الخدري : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق » . [خ]

(٢٩٢) أهل السنة الحمديّة يدينون الله على أن علياً ومعاوية ومن معهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا جميعاً من أهل الحق ، وكانوا مخلصين في ذلك . والذي اختلفوا فيه إنما اختلفوا عن اجتهاد ، كما يختلف المجتهدون في كل ما يختلفون فيه . وهم لاخلاصهم في اجتهادهم مثابون عليه في حالتي الاصابة والخطأ ، وثواب المصيب أضعاف ثواب المخطيء ، وليس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر معصوم عن أن يخطيء ، وقد يخطيء بعضهم في أمور ويصيب في أخرى ، وكذلك الآخرون . ومن مرق عن الحق في اثارة الفتنة الأولى على عثمان لا يعد من إحدى الطائفتين اللتين على الحق وإن قاتل معهما والتحق بها ، لأن الذين تلوثت أيديهم ونياتهم وقلوبهم بالبغي الظالم على أمير المؤمنين عثمان - كائناً من كانوا - استحقوا إقامة الحد الشرعي عليهم سواء استطاع ولي الأمر أن يقيم عليهم هذا الحد أو لم يستطع . وفي حالة عدم استطاعته فإن مواصلتهم تسعير القتال بين صالحى المسلمين كلما أحسوا منهم بالعزم على الإصلاح والتأخى - كما فعلوا في وقعة الجمل وبعدها - بعد أصراراً منهم على الاستمرار في الاجرام ما داموا على ذلك . فان قلنا ان الطائفتين كانتا من أهل الحق فانما نريد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين كانوا من الطائفتين ومن سار معهم على سنته صلى الله عليه وآله وسلم من التابعين ، ونرى أن علياً المبشر بالجنة أعلى مقاماً عند الله من معاوية خال المؤمنين وصاحب رسول رب العالمين ، وكلاهما من أهل

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في عمار : « تقتله الفئة الباغية » (٢٩٣) .

وقال في الحسين « ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فتيين
عظيمتين من المسلمين » ، فحسن له خلعه نفسه وإصلاحه (٢٩٤) .

الخبر . وإذا اندس فيهم طوائف من أهل الشر فإن من يعمل مثقال ذرة خيراً
بره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية
(٧ : ٢٧٧) عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم السعبي قاضي إفريقية المتوفى
سنة ١٥٦ وكان رجلاً صالحاً من الأمرين بالمعروف - وذكر أهل صفين -
فقال : « كانوا عرباً يعرف بعضهم بعضاً في الجاهلية ، فالتقوا في الإسلام معهم
على الحمية وسنة الإسلام ، فتصابروا ، واستحيوا من الفرار ، وكانوا إذا
تجاوزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء وهؤلاء في عسكر هؤلاء ، فيستخرجون
قتلاهم فيدفنونهم » . قال الشعبي : « هم أهل الجنة ، لقي بعضهم بعضاً ،
فلم يفر أحد من أحد » . [خ]

(٢٩٣) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك لما كانوا يبنون المسجد ،
فكان الناس ينقلون لبنة لبنة وعمار ينقل لبنتين لبنتين ، فقال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فيه هذه الكلمة على ما رواه أبو سعيد الخدري لعكرمة مولى
ابن عباس ولعلي بن عبد الله بن عباس . وهو في كتاب الجهاد والسير من
صحيح البخاري (ك ٥٦ ب ١٧ ج ٣ ص ٢٠٧) . وقد كان معاوية يعرف من
نفسه أنه لم يكن منه البقي في حرب صفين ، لأنه لم يردّها ، ولم يبتدئها ،
ولم يأت لها إلا بعد أن خرج على من الكوفة وضرب معسكره في النخيلة ليسير
إلى الشام كما تقدم ، ولذلك لما قتل عمار قال معاوية : « انما
قتله من أخرجه » . وفي اعتقادي الشخصي أن كل من قتل من المسلمين بأيدي
المسلمين منذ قتل عثمان فانما اثمه على قتلة عثمان لأنهم فتحوا باب الفتنة ،
ولأنهم واصلوا تسعير نارها ، ولأنهم الذين أوغروا صدور المسلمين بعضهم
على بعض ، فكما كانوا قتلة عثمان فانهم كانوا القاتلين لكل من قتل بعده ،
ومنهم عمار ومن هم أفضل من عمار كطلحة والزبير ، إلى أن انتهت فتنتهم بقتلهم
علياً نفسه وقد كانوا من جنده وفي الطائفة التي كان قائماً عليها . فالحديث
من أعلام النبوة . والطائفتان المتقاتلتان في صفين كانتا طائفتين من المؤمنين .
وعلى أفضل من معاوية . وعلي ومعاوية من صحابة رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ومن دعائم دولة الإسلام . وكل ما وقع من الفتن قائمه على مؤرثي
نارها لأنهم السبب الأول فيها ، فهم الفئة الباغية التي قتل بسببها كل مقتول
في وقتي الجمل وصفين وما تفرع عنهما . [خ]

(٢٩٤) سيأتي الكلام على هذا عند الكلام على الصلح بين الحسن

ومعاوية . [خ]

وكذلك يروى أنه أذن في الرؤيا لعثمان في أن يستسلم ويفطر عنده الليلة .

فهذه كلها أمور جرت على رسم النزاع ، ولم تخرج عن طريق من طرق الفقه ، [ولا تعدت] سبيل الاجتهاد الذي يؤجر فيه المصيب عشرة (٢٩٦) والمخطيء أجراً واحداً (٢٩٧) .

وما وقع من روايات في كتب التاريخ — عدا ما ذكرنا — فلا تلتفتوا إلى حرف منها ، فإنها كلها باطلة .

(٢٩٦) نص الحديث : « اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب ، فله اجران ، واذا حكم فاجتهد فأخطأ ، فله اجر واحد » رواه البخارى ومسلم . [٢]

(٢٩٧) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢ : ٢١٩ - ٢٢٠) : « لم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء ، بل كان من أشد الناس حرصاً على أن لا يكون قتال ، وكان غيره أحرص على القتال منه . وقاتل صفين للناس فيه أقوال : فمنهم من يقول كلاهما كان مجتهداً مصيباً ، كما يقول ذلك كثير من أهل الكلام والفقه والحديث ممن يقول : كل مجتهد مصيب ، ويقول : كانا مجتهدين . وهذا قول كثير من الأشعرية والكرامية والفقهاء وغيرهم ، وهو قول كثير من أصحاب أبى حنيفة والشافعى وأحمد وغيرهم . وتقول الكرامية : كلاهما امام مصيب ، ويجوز نصب امامين للحاجة . ومنهم من يقول : بل المصيب أحدهما لا بعينه ، وهذا قول طائفة منهم . ومنهم من يقول : على هو المصيب وحده ومعاوية مجتهد مخطيء ، كما يقول ذلك طوائف من أهل الكلام والفقهاء أهل المذاهب الأربعة . وقد حكى هذه الأقوال الثلاثة أبو عبد الله حامد من أصحاب الامام أحمد وغيره ومنهم من يقول كان الصواب أن لا يكون قتال وكان ترك القتال خيراً للطائفتين ، فليس في الاقتتال صواب ، ولكن على كان اقرب الى الحق من معاوية ، والقتال قتال فتنة : ليس بواجب ولا مستحب ، وكان ترك القتال خيراً للطائفتين مع أن علياً كان أولى بالحق ، وهذا قول أحمد وأكثر أهل الحديث وأكثر أئمة الفقهاء ، وهو قول اكابر الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وهو قول عمران بن حصين رضى الله عنه وكان ينهى عن بيع السلاح في ذلك القتال ويقول : هو بيع السلاح في الفتنة . وهو قول اسامة ابن زيد ومحمد بن مسلمة وابن عمر وسعد بن أبى وقاص وأكثر من بقى من السابقين الأولين من المهاجرين والانصار رضى الله عنهم . ولهذا كان من مذهب أهل السنة الامساك عما شجر بين الصحابة فانه قد ثبتت فضائلهم ووجبت موالاتهم ومحبتهم » . [خ]

قاصمة التحكيم

وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه مالا [يرضى] الله . وإذا [لاحظتموه] بعين المروءة - دون الديانة - رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين ، وفي الأقل جهل بين .

والذى يصح من ذلك ما روى الأئمة كخليفة بن خياط (٢٩٨) ، والدارقطنى (٢٩٩) : أنه لما خرج الطائفة العراقية في مائة ألف والشامية في سبعين أو تسعين ألفا ونزلوا على الفرات بصفين ، اقتتلوا في أول يوم وهو الثلاثاء على الماء فغلب أهل العراق عليه (٣٠٠) .

ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة (سبع وثلاثين) ويوم

(٢٩٨) هو الامام الحافظ أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري البصرى ، أحد أوعية العلم ، ومن شيوخ الامام البخارى . قال عنه ابن عدى : هو صدوق مستقيم الحديث من متيقضى رواة السنة . توفى سنة ٢٤٠ . [خ]

(٢٩٩) هو الامام الحافظ أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى (٣٠٦ - ٣٨٥) كان مع جلالته في الحديث من أئمة فقهاء الشافعية ، وله تقدم في الادب ورواية الشعر . وجاء من بغداد الى مصر ليساعد ابن حنظلة وزير كافور على تأليف مسنده فبالغ الوزير في اجلاله . قال الحافظ عبد الفنى بن سعيد « أحسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة : على بن المدينى في وقته ، وموسى بن هارون القيسى في وقته ، والدارقطنى في وقته » . [خ]

(٣٠٠) لم يكن القتال على الماء جدياً ، وقد قال عمرو بن العاص يومئذ « ليس من النصف أن نكون ريانين وهم عطاش » . والذين تظاهروا في الجيش الشامى بمنع العراقيين عن الماء أرادوا أن يذكروهم بمنعهم الماء عن أمير المؤمنين عثمان في عاصمة خلافته وهو الذى اشترى بشر رومة من ماله ليستفى منه اخوانه المسلمون . وبعد اشتراكهم في الماء تناوشوا شهر ذى الحجة من سنة ٣٦ ثم تهادنوا شهر المحرم من سنة ٣٧ ، ووقعت وقائع شهر صفر التى سيشير اليها المؤلف . [خ]

حتى يكون الرجلان يحكما بين الدعويين بالحق ، فكان من جهة على^{٣٠١} الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت (٣٠١) ، ورفعت المصاحف من أهل الشام ، ودعوا إلى الصلح ، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل أبو موسى (٣٠٢) ، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص .

وكان أبو موسى رجلاً تقياً ثقیفاً فقيهاً عالماً حسبما بيناه في كتاب (سراج المريدين) (٣٠٣) ، أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن مع معاذ ، وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم (٣٠٤) . وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأى مخدوعاً في القول ، وأن ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيداً لما أرادت من الفساد ، وتبع في ذلك بعض النجهاً بعضاً وصنفوا فيه حكايات . وغيره من الصحابة كان أحذق منه وأدهى . وإنما بنوا ذلك على أن عمراً لما غدر أبا موسى في قصة التحكيم صار له الذكر في الدهاء [والفكر] .

(٣٠١) وكانت تسمى « ليلة الهرير » اقتتل الناس فيها حتى الصباح . [خ]
(٣٠٢) وكان آخر العهد بأبي موسى عندما كان والياً على الكوفة ، وجاء دعاة على^{٣٠٢} يحرضون الكوفيين على لبس السلاح والالتحاق بجيش على استعداداً لما ينتظرونه من قتال مع أصحاب الجمل في البصرة ، ثم مع انصار معاوية في الشام . فكان أبو موسى يشفق على دماء المسلمين أن تسفك بتحريض الغلاة ، ويذكر أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقول نبيهم في الفتنة « القاعد فيها خير من القائم » ، فتركه الأشتر يحدث الناس في المسجد بالحديث النبوى ، وأسرع إلى دار الإمارة فاحتلها . فلما عاد إليها أبو موسى منعه الأشتر من الدخول وقال له : اعتزل أمارتنا . فاعتزلهم أبو موسى واختار الإقامة في قرية يقال لها عرض بعيداً عن الفتن وسفك الدماء . فلما شبع الناس من سفك الدماء واقتنعوا بأن أبا موسى كان ناصحاً للمسلمين في نهيمهم عن القتال طلبوا من على أن يكون هو ممثل العراق في أمر التحكيم ، لأن الحالة التي كان يدعو إليها هي التي فيها الصلاح . فأرسلوا إلى أبي موسى وجاءوا به من عزلته . [خ]

(٣٠٣) من مؤلفات أبي بكر بن العربي وهو في الزهد والتصوف السننى ، وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠٢٤٨) ب [س]

(٣٠٤) واختصه بكتابه الشهير في القضاء وآدابه وقواعده . [خ]

وقالوا : انهما لما اجتمعا بأذرح من دومة الجندل (٣٠٥) ، وتماوضا
اتفقا على أن يخلعا الرجلين (٣٠٦) . فقال عمرو لأبي موسى : اسبق بالقول .
فتقدم فقال : إني ظنرت فخلعت عليا عن الأمر ، ولينظر المسلمون لأنفسهم ،
كما خلعت سيفي هذا من عاتقي - وأخرجه من عنقه فوضعه في الأرض .
وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض وقال : إني ظنرت فأثبت معاوية في

(٣٠٥) أذرح : قرية من أعمال الشراة تقع في منطقة بين أراضي شرقي
الأردن والمملكة العربية السعودية في الأطراف الجنوبية من بادية الشام . [خ]
(٣٠٦) من الحقائق ما إذا أسىء التعبير عنه وشابته شوائب المغالطة يوهم
غير الحقيقة ، فينشأ عن ذلك الاختلاف في الحكم عليه . ومن ذلك حادثة
التحكيم وقول المغالطين أن أبا موسى وعمرا اتفقا على خلع الرجلين ، فخلعهما
أبو موسى ، واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية . وأصل المغالطة من تجاهل
المغالطين أن معاوية لم يكن يومئذ خليفة ، ولا هو ادعى الخلافة حتى يحتاج
عمرو الى خلعهما عنه . بل أن أبا موسى وعمرا اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة
على المسلمين الى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفي
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض . واتفاق الحكمين على
ذلك لا يتناول معاوية لأنه لم يكن خليفة ، ولم يقاتل على الخلافة ، وإنما
كان يطالب بإقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان . فلما وقع
التحكيم على إمامة المسلمين ، واتفق الحكماء على ترك النظر فيها الى كبار
الصحابة وأعيانهم تناول التحكيم شيئا واحداً هو الإمامة . أما التصرف العملي
في إدارة البلاد التي تحت حكمه ، ومعاوية متصرف في البلاد التي تحت حكمه .
فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر ، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة . وكان يكون
محل للمكر أو الغفلة لو أن عمرا أعلن في نتيجة التحكيم أنه ولي معاوية إمارة
المؤمنين وخلافة المسلمين ، وهذا ما لم يعلنه عمرو ، ولا ادعاه معاوية ،
ولم يقل به أحد في الثلاثة عشر قرناً الماضية . وخلافة معاوية لم تبدأ الا بعد
الصلح مع الحسن بن علي ، وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية ، ومن ذلك
اليوم فقط سمي معاوية أمير المؤمنين . فعمرو لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه ،
لأنه لم يعط معاوية شيئا جديداً ، ولم يقرر في التحكيم غير الذي قرره
أبو موسى ، ولم يخرج عما اتفقا عليه مما ، فبقيت العراق والحجاز وما يتبعهما
تحت يد من كانت تحت يده من قبل ، وبقيت الشام وما يتبعها تحت يد من
كانت تحت يده من قبل ، وتعلقت الإمامة بما سيكون من اتفاق أعيان الصحابة
عليها . وأي ذنب لعمرو في أي شيء مما وقع ؟ إن البلاهة لم تكن ممن
أبي موسى ، ولكن ممن يريد أن يفهم الوقائع على غير ما وقعت عليه . فليفهمها
كل من شاء كما يشاء . أما هي ، فظاهرة واضحة لكل من يراها كما هي . [خ]

الأمر (٣٠٧) ، (٣٠٨) كما أثبت سيفى هذا فى عاتقى . وتقلده : فأنكره أبو موسى ، فقال عمرو : كذلك اتفقنا . وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف .



(٣٠٧) أى أمر ؟ ان كان الاستمرار فى ادارة البلاد التى تحت يده ، فان هذا الأمر ماض على معاوية وعلى معا ، فكل منهما باقى فى الحكم على ما تحت يده . وان كان المراد بالأمر الامامة العامة وامارة المؤمنين فان معاوية لم يكن اماماً - أى خليفة - حتى يثبت عمرو كما كان . وقد اوضحنا هذه الحقيقة فى الفقرة السابقة . وهذه هى نقطة المغالطة التى هزا بها مؤرخو الافك المفترى فسخروا بجميع قرائهم واوهموهم بأن هناك خليفتين او أميرين للمؤمنين ، وان الاتفاق بين الحكيمين كان على خلعهما معا ، وان ابا موسى خلع الخليفتين تنفيذاً للاتفاق ، وان عمرا خلع أحدهما وأبقى الآخر خليفة خلافاً للاتفاق . وهذا كله كذب وافك وبهتان . والذى فعله عمرو هو نفس الذى فعله أبو موسى لا يفترق عنه قط فى نكير ولا قطمير . وبقي أمر الامامة والخلافة او امارة المؤمنين معلقاً على نظر أعيان الصحابة ليروا فيه رأيهم متى شاءوا وكيف شاءوا وإذا كانت هذه الخطوة الثانية لم تتم فما فى ذلك تقصير من ابي موسى ولا من عمرو ، فهما قد قاما بمهمتهما بحسب ما أدى اليه اجتهادهما واقتناعهما . ولم لم تكلفهما الطائفتان معا بأداء هذه المهمة لما تعرضا لها ، ولا ابديا رأياً فيها . ولو كان موقف ابي موسى فى هذا الحادث التاريخى العظيم موقف بلاهة وفشل لكان ذلك سبة عليه فى التاريخ ، وان الأجيال التى بعده فهمت موقفه على أنه من مفاخره التى كتب الله له بها النجاح والسداد ، حتى قال ذو الرمة الشاعر يخاطب حفيده بلال بن ابي بردة بن ابي موسى :

ابوك تلافى الدين والناس بعدما تشاءوا وبیت الدين منقطع الكسر
فشد اصار الدين أيام أذرح ورد حروبا قد لقحن الى عقر

[خ]

(٣٠٨) قال الامام ابن كثير رحمه الله تعالى بعدما روى هذه القصة : « فانه حديث منكر ورفعه موضوع والله أعلم . اذ لو كان هذا معلوماً عند على لم يوافق على تحكيم الحكيمين ، حتى لا يكون سبباً لاضلال الناس ، كما نطق به هذا الحديث . وآفة هذا الحديث هو زكريا بن يحيى ، وهو الكندى الجيمرى الأعمى . قال ابن معين : ليس بشيء » البداية (٣٨٥/٧) . [م]

عاصمة

قال القاضي أبو بكر رضى الله عنه : هذا كله كذب صراح ، ما جرى منه حرف قط . وإنما هو شيء [اخترعته] المبتدعة ، ووضعت التاريخة للملوك ، فتوارثته أهل المجانة والجهالة بمعاصي الله والبدع (٣٠٩) .

وإنما الذى روى الأئمة الثقات الإثبات أنهما لما اجتمعا للنظر فى الأمر -

(٣٠٩) ان التاريخ الاسلامى لم يبدأ تدوينه الا بعد زوال بنى أمية وقيام دول لا يسر رجالها التحدث بمفاخر ذلك الماضى ومحاسن أهله . فتولى تدوين تاريخ الاسلام ثلاث طوائف : طائفة كانت تنشذ العيش والجدة من التقرب الى مبغضى بنى أمية بما تكتبه وتؤلفه . وطائفة ظنت ان الدين لا يتم ، ولا يكون التقرب الى الله ، الا بتشويه سمعة أبى بكر وعمر وعثمان وبنى عبد شمس جميعا . وطائفة ثالثة من أهل الانصاف والدين - كالطبرى وابن عساکر وابن الأثير وابن كثير - رأت أن من الانصاف أن تجمع أخبار الأخباريين من كل المذاهب والمشارب - كلوط بن يحيى الشيعى المحترق ، سيف بن عمر العراقى المعتدل - ولعل بعضهم اضطر الى ذلك ارضاء لجهات كان يشعر بقوتها ومكانتها . وقد أثبت أكثر هؤلاء أسماء رواة الأخبار التى أوردها ليكون الباحث على بصيرة من كل خبر بالبحث عن حال راويه . وقد وصلت إلينا هذه التركة لا على أنها هى تاريخنا ، بل على أنها مادة غزيرة للدرس والبحث يستخرج منها تاريخنا ، وهذا ممكن وميسور اذا تولاه من يلاحظ مواطن القوة والضعف فى هذه المراجع ، وله من الألمية ما يستخلص به حقيقة ما وقع ويجردها عن الذى لم يقع ، مكتفياً بأصول الأخبار الصحيحة عن الزيادات الطارئة عليها . وان الرجوع الى كتب السنة ، وملاحظات أئمة الأمة ، مما يسهل هذه المهمة . وقد آن لنا أن نقوم بهذا الواجب الذى ابطأنا فيه كل الإبطاء . وأول من استيقظ فى عصرنا للدسائس المدسوسة على تاريخ بنى أمية العلامة الهندى الكبير الشيخ شبلى النعمانى فى انتقاده لكتب جرجى زيدان ، ثم اخذ أهل الألمية من المنصفين فى دراسة الحقائق فبدأت تظهر لهم وللناس منيرة مشرقة ، ولا يبعد - اذا استمر هذا الجهاد فى سبيل الحق - أن يتغير فهم المسلمين لتاريخهم ، ويدركوا أسرار ما وقع فى ماضيهم من معجزات . [خ]

في عصابة كريمة من الناس منهم ابن عمر ونحوه — عزل [عمرو] معاوية (٣١٠)

ذكر الدارقطني بسنده إلى حصين بن المنذر (٣١١) : لما عزل عمرو معاوية جاء (جاء حصين بن المنذر) ف ضرب فسطاطه قريباً من فسطاط معاوية ، فبلغ [ثناه] (٣١٢) معاوية ، فأرسل (إلى) فقال : انه بلغني عن هذا (أي عن عمرو) كذا وكذا (٣١٣) ، فاذهب فاظفر ما هذا الذي بلغني عنه . فأتيته فقلت : أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه ؟ قال : قد قال الناس في ذلك ما قالوا ، والله ما كان الأمر على ما قالوا (٣١٤) ، ولكن قلت لأبي موسى : ما ترى في هذا الأمر ؟ قال : أرى أنه في نفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض . قلت : فأين تجعلني أنا ومعاوية ؟ فقال : إن يستعن بكما فتيكما معونة ، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما . قال : فكانت هي التي قتل معاوية منها نفسه . فأتيته فأخبرته (أي فأتى حصين معاوية فأخبره) أن الذي بلغه عنه كما بلغه . فأرسل إلى أبي الأعور الذكواني (٣١٥) فيبعثه في خيله ، فخرج يركض فرسه ويقول : أين عدو الله ، أين هذا الفاسق ؟

قال أبو يوسف (٣١٦) : أظنه قال : « إنما يريد حوباء نفسه » فخرج

(٣١٠) أي بتقريره مع أبي موسى أن امامة المسلمين يترك النظر فيها الى اعيان الصحابة . [خ]

(٣١١) قال الدارقطني : حدثنا ابراهيم بن همام ، حدثنا أبو يوسف الفلوسى وهو يعقوب بن عبد الرحمن بن جزير ، حدثنا الأسود بن شيبان ، عن عبد الله بن مضارب عن حصين بن المنذر (وحصين من خواص على الذين حاربوا معه) [خ]

(٣١٢) أي عزله علماً ومعاوية وتفويضه الامر الى كبار الصحابة . [خ]
(٣١٣) أي أنهما لم يعزلا ، ولم يوليا ، ولكن تركا الأمر لـ أعيان الصحابة . [خ]

(٣١٤) وكتبها الشيخ محب : نباه اس

(٣١٥) هو أبو الأعور السلمى (وذكوان قبيلة من سليم) واسمه عمرو ابن سفيان ، كان من كبار قواد معاوية . وفي حرب صفين طلب الاشتهر أن يبارزه فترفع عن ذلك لانه لم ير الاشتهر من أنداده .

(٣١٦) أي الفلوسى راوى هذا الخبر عن الأسود بن شيبان عن عبد الله ابن مضارب عن حصين .

(عمرو) إلى فرس تحت فسطاطه فجال في ظهره عرياناً ، فخرج يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول : « إن الضجور قد تحتلب العلبة ، يا معاوية إن الضجور قد تحتلب العلبة » (٣١٧) . فقال معاوية : [أحسبه] (٣١٨) ، ويريد الحالب فتدق أنفه ، وتكفأ إناؤه » (٣١٩) .

قال الدارقطني - وذكر سنداً عدلاً (٣٢٠) [وساق الحديث] : روى عن أبي موسى أن عمرو بن العاص قال : « والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما منه شيء لقد غبنا ونقص رأيهما . وإيم الله ما كان مغبونين ولا ناقصي الرأي . ولئن كانا إمرأين يحرم عليهما هذا المال الذي أصبناه بعدهما لقد هلكنا . وإيم الله ما جاء الوهم إلا من قبلنا » (٣٢١) .

(٣١٧) الضجور : الناقة التي ترغو وتعربد عند الحلب . و « قد تحلب الضجور العلبة » مثل . ومعناه ان الناقة التي ترغو قد تحلب ما يملأ العلبة ، يضربونه للشيء الخلق قد يصاب منه الرفق واللين ، والبخيل قد يستخرج منه المال .

(٣١٨) في نسخة الشيخ محب [أجل !!] . [س]
(٣١٩) ثم قال : ثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم ودعلج بن أحمد قالا حدثنا محمد بن أحمد ابن النصر ثنا معاوية بن عمر ثنا زائدة عن عبد الملك بن عمير عن [س] .
(٣٢٠) أورد المؤلف هذا الخبر للدلالة على ورع عمرو (❦) ومحاسبته لنفسه وتذكيره بسيرة السلف .
(٣٢١) وأسقطها الشيخ محب من النص وجعلها في الهامش !! . [س]

(❦) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء على عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه : « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » وهو حديث حسن كما جاء في الأحاديث الصحيحة ٦٤/٢ .
قال شيخنا محدث الديار الشامية في المصدر السابق : وفي هذا الحديث منقبة عظيمة لعمر بن العاص رضي الله عنه ، أن شهد له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة » متفق عليه . وقال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار » . وعلى هذا لا يجوز الطعن في عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه كما يفعل بعض الكتاب المعاصرين ، وغيرهم من المخالفين - بسبب ما وقع من الخلاف بل القتال مع علي رضي الله عنه ، لأن ذلك لا يتنافى الايمان ، فانه لا يستلزم العصية كما لا يخفى ، لاسيما اذا قيل : ان ذلك وقع منه بنوع من الاجتهاد وليس اتباعاً للهوى . [م]

فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه . فأعرضوا عن الغاوين ، وازجروا
 العاوين ، وعرجوا عن سبيل الناكثين ، إلى سنن المهتدين . وأمسكوا الألسنة
 عن السابقين إلى الدين . وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصوصة
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد هلك من كان أصحاب
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصمه . دعوا ما مضى ، فقد قضى الله فيه
 ما قضى . وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقاداً وعملاً . ولا تسترسلوا
 بالسنتكم فيما لا يعينكم مع كل [ماجن] اتخذ الدين هملاً ، فإن الله لا يضيع
 أجر من أحسن عملاً . ورحم الله الربيع بن خثيم ^(٣٢٢) فإنه لما قيل له : قتل
 الحسين ! قال : أقتلوه ؟ قالوا : نعم . فقال « اللهم فاطر السموات والأرض
 عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون »
 (الزمر : ٤٦) . ولم يزد على هذا أبداً . فهذا العقل والدين ، والكف عن
 أحوال المسلمين ، والتسليم لرب العالمين .

* * *

(٣٢٢) هو من تلاميذ عبد الله بن مسعود وأبو أيوب الأنصاري وعمر
 ابن ميمون ، وأخذ عنه الإمام الشعبي وإبراهيم النخعي وأبو بردة . قال له
 ابن مسعود : لو رأيك النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأحبك . توفي سنة ٦٤
 [خ]

تكملة : ب ، ج ز ومطبوعة الشيخ محب [خثيم] وهو خطأ والتصحيح من طبقات ابن خياط
 - صفحة ١٤١ [س] .

قاصمة

قال قيل : إنما يكون ذلك في المعاني التي تشكل ، وأما هذه الأمور كلها فلا إشكال فيها ، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نص على استخلاف على بعده فقال « أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » (٣٢٣) ، (وقال) : « اللهم (٣٢٤) وال من والاه ، وعاد من عاداه ،

(٣٢٣) في كتاب المغازي من صحيح البخاري (ك ٦٤ ب ٧٨ ج ٥ ص ١٢٩) وفي فضائل الصحابة من صحيح مسلم (ك ٤٤ ح ٣١ ج ٧ ص ١٢٠) من حديث سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج إلى تبوك واستخلف علياً ، فقال : أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي » . وانظر المناقشة في هذا الحديث بين السيد عبد الله بن الحسين السويدي سنة ١١٥٦ وبين الملا باشي على أكبر شيخ علماء الشيعة ومجتهديه في زمن نادر شاه في كتاب (مؤتمر النجف) (**) ص ٢٥ - ٢٧ طبع السلفية . [خ]
(٣٢٤) أخرجه النسائي في « خصائص على » وأحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين . وله طرق أخرى كلها صحيحة ولكن ليس في طريق من طرقه جميعها : « اللهم انصر من نصره واخذل من خذله » . [م]

(**) رجعت إلى كتاب « مؤتمر النجف » الذي أشار إليه محب الدين الخطيب ، فاذا به يذكر على لسان السويدي أن ابن الجوزي قال : أن هذا الحديث موضوع مع أنه رواه البخاري ومسلم !
وليس في هذا الحديث نص على استخلاف على بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . قال الشيخ السويدي :
لو دل هذا على الاستخلاف ، لا يقتضي أن ابن أم مكتوم خليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم . لأنه استخلفه على المدينة ، واستخلف أيضاً غيره ، فلم خص على رضي الله عنه بالخلافة دون غيره ، مع اشتراك الكل في الاستخلاف ؟

وأيضاً لو كان هذا من باب الفضائل ، لما وجد على على نفسه وقال : « أتجعلني مع النساء والأطفال والضعفة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تطيباً لنفسه : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ » .

وانصر من نصره ، واخذل من خذله (٣٢٥) » . فلم يبق بعد هذا خلاف لمعاوند .

فتعدى عليه أبو بكر واقتعد في غير موضعه .

ثم خلفه في التعدى عمر .

ثم رجا أن يوفق عمر للرجوع إلى الحق ، فأبهم الحال وجعلها شورى
تصراً للخلاف ، للذي سمع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم تحيل ابن عوف حتى ردها عنه إلى عثمان .

ثم قتل عثمان لتسوره على الخلافة وعلى أحكام الشريعة (٣٢٦) ، وصار
الأمر إلى عليّ بالحق الإلهي النبوي ، فنازعه من عاقده ، وخالف عليه من
بإيعه ، ونقض عهده من شدة .

واتتدب أهل الشام [مع معاوية] إلى الفسوق في الدين ، بل الكفر (٣٢٧) .

وقال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى في معرض كلامه على الحديث
السابق :

« ... وقد شبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابا بكر بابراهيم وعيسى ،
وشبه عمر بنوح وابراهيم عليهم جميعا الصلاة والسلام - لما اشارا في الاسرى ،
وهذا اعظم من تشبيه علي بهارون ؛ ولم يوجب ذلك أن يكونا بمنزلة اولئك
الرسل . وتشبيه الشيء بالشيء لمشابهته في بعض الوجوه كثير في الكتاب
والسنة ، وكلام العرب » (مجموع الفتاوى ٤/١٩٠ باختصار) . [م]

(٣٢٥) في مسند أحمد (١ : ٨٤ ، ٨٨ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢ الطبعة الاولى
رقم ٦٤١ ، ٦٧٠ ، ٩٥٠ ، ٩٦١ ، ١٣١ ، ١٣١٠ . وفي ٤ : ٢٨١ ، ٣٦٨ ،
٣٧٠ ، ٣٧٢ الطبعة الاولى و ٥ : ٣٤٧ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٤١٩ الطبعة الاولى) .
وانظر تفسير الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن ابي طالب لهذا
الحديث ، وسيأتى كلام المؤلف على الحديثين في ص ٢٦٣ . [خ]

(٣٢٦) كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا . وقد جاء في
هذا الكتاب ما يثبت كذبهم . [م]

(٣٢٧) كل هذه الفقرات من هذيان مرتكبي « القاصمة » وشيعتهم . وقد
اجاب المؤلف في « القاصمة » التالية مدحضا سخافاتهم ، ولكن اتسع عليه
ميدان القول ففاتته الكلام على موقف أهل الشام من هذه الفتن التي وقعت في
الاسلام . وقد رأيت في ص ٩٢ قول ابن الكوا أحد زعماء الفتنة وهو يصف

أشباهه في الأمصار الكبرى : « أما أهل الأحداث من أهل الشام فاطوع الناس لمرشدتهم ، وأعصاهم لمقويهم » . وإذا كان أهل الأحداث في الشام هكذا على ما شهد به زعيم من زعماء الفتنة ، فإن أهل العافية والإيمان منهم قد شهد لهم أمير المؤمنين عليّ فيما نقله ابن كثير في البداية والنهاية (٢٠ : ٨) عن عبد الرزاق بن همام الصنعاني أحد الأئمة الأعلام الحفاظ ، عن شيخه معمر بن راشد البصري وهو أيضاً من الأعلام ، عن الزهري مدون السنة وشيخ الأئمة أن عبد الله بن صفوان الجمحي قال : قال رجل من صفين « اللهم العن أهل الشام » فقال له عليّ : « تسب أهل الشام ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال ، فإن بها الأبدال » (※※) . وروى هذا الحديث من وجه آخر مرفوعاً (ﷺ) إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وروى أبو إدريس الخولاني وهو من أعلام حملة السنة والشريعة ومن شيوخ الحسن البصري وابن سيرين ومكحول وأضرابهم أن أبا الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « بينما أنا نائم رأيت الكتاب احتمل من تحت رأسي ، فظننت أنه مذهب به ، فأتبعته بصرى فعمد به إلى الشام . وإن الإيمان - حين تقع الفتنة - بالشام » . (※※) وروى هذا الحديث من الصحابة غير أبي الدرداء أبو أمامة وعبد الله بن عمرو بن العاص . وللمقارنة بين أهل الشام والذين كانوا يحاربونهم ننقل عن ابن كثير (٣٢٥ : ٧) خبر الأعمش عن عمرو بن مرة ابن عبد الله ابن الحارث عن زهير بن الأرقم قال : خطبنا على يوم الجمعة فقال : « نبئت أن بشرا قد طلع اليمن ، وإنى والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم ، وما يظهرون عليكم إلا بعصيانكم أمامكم وطاعتهم أمامهم . وبخيانتكم وأمانتهم ، وافسادكم في أرضكم وأصلاحيهم . قد بعثت فلاناً فخان وغدر ، وبعثت فلاناً فخان وغدر وبعث المال إلى معاوية . لو أئتمنت أحدكم على قدح لأخذ علاقته . اللهم سئمتهم وسئمونى ، وكرهتهم وكرهونى . اللهم فأرحهم منى وأرحنى منهم » . بهذا وصف على جيشه وطائفته وبعبكسه في الفضائل وصف أهل الشام الذين اضطروا إلى أن يقفوا من طائفته موقف المحارب . وليس بعد وصف على لأهل الشام بالطاعة والأمانة والإصلاح ، إلا الضرب بهذه التنبؤة وجوه واصفيهم بالكفر والفسوق في الدين . [خ] .

(ﷺ) حديث الأبدال لعليّ ضعيف لانقطاعه ، فإن شريح بن عبيد الحمصي لم يدرك علياً .

وبمناسبة الكلام على الأبدال نسوق رأى شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى نظراً لخطورة الموضوع :

... أما الأسماء الدائرة على السنة الكثيرين من النساك والعامة مثل « الفوث » الذى بمكة ، و « الأوتاد الأربعة » ، و « الاقطاب السبعة » ،

« الأبدال الأربعة » ، و « النجباء الثلاثة » فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى ، ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم باسناد صحيح ، ولا ضعيف ، يحمل عليه الفاظ الأبدال ...

أما الفوثن والفيث ، فلا يستحقه إلا الله ، فهو غياث المستغيثين ، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره ، لا بملك مقرب ، ولا نبي مرسل (أى بعد موته أو في حياته مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى) ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ... إلى الفوثن فهو كاذب ضال مشرك !! . فقد كان المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : « وإذا منكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه » وقال سبحانه : « أمن يجيب المضطر إذا دعاه » .

كيف يكون المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بعده بوسائط من الحجاب ، وهو القائل ١ « وإذا سألك عبادى عني ، فاني قريب أجيب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » .

وليس من أولياء الله المتقين ، ولا عباد الله المخلصين الصالحين ولا أنبيائه المرسلين : من كان غائب الجسد دائماً عن أبصار الناس . بل هذا من جنس قول القائلين أن علياً في السحاب ، وأن محمد بن الحنفية في جبال رضوى ، وأن محمد بن الحسن بسرداب سامري ، وأن الحاكم بجبل مصر ، وأن الأبدال الأربعة بجبل لبنان ، فكل هذا ونحوه من قول أهل الافك والبهتان .. (الفتاوى ١١/٤٣٣ - ٤٤٣ باختصار) .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

روى في الأبدال حديث أنهم أربعون رجلاً ، وأنهم بالشام ، وهو في المسند من حديث علي رضي الله عنه ، وهو حديث منقطع ليس بثابت . ومعلوم أن علياً ومن معه من الصحابة ، كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام ، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) طبعة « المكتب الاسلامي » لصاحبه الاستاذ زهير الشاويش .

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى في تعليقه على « المسند » : اسناده ضعيف لانقطاعه . شريح بن عبيد الحضرمي الحمصي لم يدرك علياً ، بل لم يدرك إلا بعض متأخري الوفاة من الصحابة .

وما أحسن ما قاله الإمام ابن تيمية أيضاً :

وأما أهل العلم فكانوا يقولون عن « أهل الحديث » هم « الأبدال » أبدال الأنبياء ، وقائمون مقامهم حقيقة ، ليس من المعدمين الذين لا يعرف لهم حقيقة . كل منهم يقوم مقام الأنبياء في القدر الذي ناب عنهم فيه : هذا في العلم والمقال ، وهذا في العبادة والحال . وهذا في الأمرين جميعاً . وكانوا

وهذه حقيقة مذهبهم (٣٢٨) ، أن الكل [منهم] (٣٢٩) كفر (٣٠) ، (٣٣١) لأن من

يقولون : هم الطائفة المنصورة الى قيام الساعة الظاهرون على الحق ، لأن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله معهم . وهو الذي وعد الله بظهوره على الدين كله . وكفى بالله شهيد .

... ان الذين يعيبون أهل الحديث ويعدلون عن مذهبهم جهلة زنادقة منافقون بلا ريب . ولهذا لما بلغ الامام احمد عن « أبى قتيلة » انه ذكر عنده أهل الحديث بمكة ، فقال : قوم سوء ، فقام الامام أحمد ، وهو ينفض ثوبه ، ويقول : زنديق ، زنديق ، زنديق ، ودخل بيته (الفتاوى ٩٦/٤ - ٩٧) .
(٣٢٨) أى حقيقة مذهب الرافضة وأعداء الصحابة . [خ]

(٣٢٩) وفي طيبة الخطيب [عندهم] !! [س] .

(٣٣٠) يستثنون منهم - بعد على وبعض آله - سلمان الفارسي وأبا ذر والمقداد ابن الأسود وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وأبا الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وأبا أيوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت وأبا سعيد الخدري . وبعض الشيعة يرى أن الطيبين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقل عدداً من هؤلاء . [خ]

(٣٣١) ومما يحتاج به الرافضة على ارتداد الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حديث ابن عباس عن النبي ﷺ : « ان اناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال » أى الى جهنم .

(*) يريد حديث رواه شريح بن عبيد قال ذكر أهل الشام عند علي رضي الله عنه وقيل عنهم يا أمير المؤمنين ! قال : لا ! انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الابدال يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ، يسقى بهم الفيث ، وينتصر بهم على الأعداء ، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب ، وهو حديث ضعيف لانقطاعه ، فان شريح هذا لم يدرك علياً .

(**) رأيت في المشكاة نحوه بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « رأيت عموداً من نور ، خرج من تحت رأسي حتى استقر بالشام » رواه البيهقي في « دلائل النبوة » وسنده صحيح كما قال محقق المشكاة .
وروى أبو داود باسناد صحيح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ستفتح الشام ، فاذا خیرتم المنازل فيها ، فعليكم بمدينة يقال لها دمشق ، فانها معقل المسلمين من الملاحم وفسطاطها ، منها أرض يقال لها : « الغوطة » وسنده صحيح كما قال محقق المشكاة . [م]

« فاقول : أصيحابي ، أصيحابي » على صيغة القلة والتصغير ، لقلة عددهم .

« فيقول » : أي الله سبحانه : « انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » .

فأقول كما قال العبد الصالح - أي عيسى عليه السلام معتذراً : (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم - إلى قوله - العزيز الحكيم) متفق عليه .
وتمام الآية : (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد . أن تعذبهم فانهم عبادك ، وأن تغفر لهم فإنت العزيز الحكيم) .
قال في « أشعة اللمعات » في الرد على الرافضة :

« قالوا : ليس المراد بهذا خواص الأصحاب ، لأننا نعلم - يقيناً - أنه لم يرتد أحد منهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا قوم من جفأة العرب من أصحاب « مسيلمة الكذاب » و « الأسود العنسي » أو بعض مؤلفة القلوب الذين لم تكن لهم بصيرة بالدين ، ولا قوة في الايمان ... » .
ولما كان كل من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحظة (※) يطلق عليه لفظ صاحب ، كان هذا الحديث بحق من لم يرسخ الاسلام في نفسه ، وهو بحق هؤلاء الأصحاب !

مما سبق ندرتك مبلغ افتراء الرافضة بالاحتجاج بهذا الحديث على ردة اكابر الصحابة الذين وردت في الثناء عليهم الآيات والأحاديث الكثيرة التي رأينا بعضها في أول هذا الكتاب وقد حضنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على التمسك بسنته وسنتهم في قوله : في الحديث الصحيح : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « من كان مستنئاً ، فليستن بمن قد مات . أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، كانوا أفضل هذه الأمة ، وأقلها تكلفاً ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، ولإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم على أثرهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم .

ويقصد الرافضة من وراء الدعوة إلى ارتداد كبار الصحابة نفس الشريعة التي نقلوها إلينا ، وزرع الشك في نفوسنا في نقلهم ما داموا قد ارتدوا ، لذلك فهم يزعمون أن لهم قرآناً غير قرآننا ، (راجع كتاب الكافي للكليني طبعة إيران سنة ١٣٧٨ ص ٥٤ ، ٥٧) وكتاب الكافي هذا هو كتاب موثوق لديهم

مذهبهم التكفير بالذنوب (٣٣٢) . وكذلك تقول هذه الطائفة التي تسمى

يشبه كتاب البخارى عندنا ، وراجع كذلك كتاب : « فصل الخطاب في اثبات تحريف كتاب رب الأرباب » وهو محشو بالكاذيب والباطيل . ومن أغراض الرافضة التي يقصدونها من وراء ادعاء ارتداد الصحابة العمل على فقدان الثقة في الأجيال الإسلامية بسلفيهم وحرمانهم الاقتداء بالجيل المثالي الأول الذي تربى في مدرسة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فيصبحون هملاً لا تاريخ عظيم لهم ولا قدرة صالحة يقتدون بها . . وقد حقق الرافضة مآربهم ، فدرسوا في تاريخنا الإسلامي ما يريدونه من تشويه تاريخ الصحابة وتضليل الناشئة مئات السنين . . مما رأينا في هذا الكتاب نماذج من أكاذيبهم وأضاليلهم ، وكيف رد عليها القاضي ابن العربي ، ومحج الدين الخطيب .

ومما يؤسف له ان جميع هذه الردود ، ومثلها الكتاب العظيم : « منهاج السنة » لشيخ الإسلام ابن تيمية بقيت حبراً على ورق ولم تدخل مدارسنا ولم توضع بين أيدي المؤلفين والأساتذة والطلبة الذين ما زالوا في فتنة عمياء وفي ضلال مبين . وقد حدثت كثيراً من هؤلاء المؤلفين والأساتذة عن كذب كثير مما يدرسونهم فكانوا يعتقدون بأنهم انما استقوا معلوماتهم من تاريخ الطبري . وقد جهلوا أن في هذا المصدر قد اختلط الصواب والخطأ والصحيح والكذب مما لا يستطيع التمييز بينهما الا المؤرخ العارف بتاريخ الرجال ومعرفة الثقة من الكاذب من الرواة . وكل ذلك تكفلت ببيانه كتب الرجال أمثال ميزان الاعتدال ولسان الميزان وتهذيب التهذيب وغيرها .

ومن مكائد الرافضة التي تخفى على الكثيرين أنهم يلجؤون الى الكتب التي تفضح مؤامراتهم ، فيجمعونها من الأسواق ويحضون اتباعهم على حرقها ، فقد ذكر لى ثقة أن أحد الدجالين من المتطبيين يصف لمرضاه وجوب احراق « منهاج السنة » أو « العواصم من القواصم » والتبخر على نارهما طلباً للشفاء ، فيسارع المريض المغفل بشراء كتاب من هذين الكتابين ، ولو بأغلى الأسعار ، وحرقه كما وصف له المتطبيون من الرافضة .

كل هذا يدعونا الى المسارعة لتصحيح تاريخنا وتنظيفه من التحريف والتضليل ، وهذا ما قصدناه من نشر هذا الكتاب بعد مراجعته ، وعرضناه في الأسواق بسعر رخيص ليسهل على الجميع اقتناؤه . [٤]

(٣٣٢) ومن مذهبهم أن علياً واحد عشر من آله معصومون عن الخطأ ،

(*) قال شرف حجازي - كان الله له - : وهذا أيضاً ما دعانا الى الرجوع الى المخطوطات الاصلية لهذا الكتاب - النافع - لنشره على الناس خالياً من التحريف والتصحيح ، اداء للأمانة ، وتحملاً للمسؤولية . . مسؤولية نشر العلم والذب عن الدين أمام تحريف الغالين وانتحال المبطلين .

بالإمامية : إن كل عاص بكبيرة كافر (٣٣٣) ، على رسم
القدرية (٣٣٤) ، ولا أعصى من الخلفاء المذكورين (٣٣٥) ومن
ساعدهم على أمرهم ، وأصحاب محمد صلى الله عليه
 وآله وسلم أحرص الناس على دنيا (٣٣٦) ، وأقلهم

وأنهم مصدر تشريع . ويقبلون التشريع الذي ينسبه إليهم رواة يشترط فيهم
التشيع والموالاته ، وإن عرفهم الناس بما ينافي الصدق أو يناقض ما هو معلوم
من الدين بالضرورة . [خ]

(٣٣٣) ومدلول الكيرة عندهم غير مدلولها عند المسلمين . [خ]

(٣٣٤) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢ : ٢٤) : كان
قدماء الشيعة متفقين على اثبات القدر والصفات . وإنما شاع فيهم رد القدر
من حين اتصلوا بالمعتزلة في دولة بني بويه . [خ]

(٣٣٥) وهم أبو بكر وعمر وعثمان . [خ]

(٣٣٦) قال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى رداً على قول ابن المطهر
الرافضي : « فبعضهم طلب الأمر لنفسه بغير حق ، وبايعه أكثر الناس طلباً
للدنيا » .

وهذا إشارة الى أبي بكر ، فإنه هو الذي بايعه أكثر الناس ، ومن المعلوم
أن أبا بكر لم يطلب الأمر لنفسه لا بحق ولا بغير حق ، بل قال : قد رضيت لكم
أحد هذين الرجلين : أما عمر بن الخطاب ، وأما أبا عبيدة . فقال عمر : فوالله
لأن أقدم فتضرب عنقي ، لا يقربني ذلك الى اثم ، أحب الى من أن أتأمر على قوم
فيهم أبو بكر . وهذا اللفظ في الصحيحين .

وقد روى عنه أيضاً أنه قال : « اقبلوني اقبلوني » فالمسلمون اختاروه
وبايعوه لهمهم بأنه خيرهم . . والمسلمون اختاروه كما قال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح لعائشة : « ادعى لى أباك . . . الحديث »
وفد ذكرناه كاملاً في موضع آخر .

ثم قال ابن تيمية : . . هب أنه طلبها وبايعه أكثر الناس . فقولكم : إن
ذلك طلب لدنيا كذب ظاهر . فإن أبا بكر رضى الله عنه لم يعطهم دنيا .

والذين بايعوه أزهدهم الناس في الدنيا ، وهم الذين اتى الله تعالى عليهم .
وكان أبو بكر رضى الله عنه قد انفق ماله في حياة الرسول صلى الله عليه
 وآله وسلم ، فلم يأخذ بدله ، وأوصى بأن يرد الى بيت المال جرد قطيفة ، وبكر
وأمة سوداء ونحو ذلك (منهاج السنة باختصار ٢/٢٥ - ٤١) .

[حماية] (٣٣٧) على دين ، وأهدمهم لقاعدة وشريعة (٣٣٨) .



(٣٣٧) : وقى نسخة الشيخ محب الدين الخطيب [حماية ا] [س] .

(٣٣٨) ومع ذلك يوجد فيمن ينتمى الى الأزهر ، والى السنة ، من يوالى دار التقريب بين المذاهب التى تأسست فى القاهرة بعد الحرب العالمية الثانية ، ويتسلى بصرف بعض عمره فى الاختلاف اليها وتبادل التقية مع القائمين عليها .

[خ]

عاصمة

قال القاضي أبو بكر (رضي الله عنه) : يكفيك من شر سماعه ، فكيف التسليم به . خمسمائة عام عدأ إلى يوم مقالي هذا — لا ينقص منها يوماً ولا يزيد يوماً — وهو مهل شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وماذا يرجى بعد التسام إلا النقص ؟

ما رضيت النصارى واليهود في أصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين حكموا عليهم بأنهم قد إتفقوا على الكفر والباطل (٣٣٩) . فما يرجى من هؤلاء ، وما يستبقى منهم ؟ وقد قال الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » (سورة النور : ٥٥) ، وهذا قول صدق ، ووعد حق . وقد انقرض عصرهم ولا خليفة فيهم ولا تسكين ، ولا أمن ولا سكون ، إلا في ظلم وتعدّ وغصب وهرج وتشيت وإثارة ثائرة .

وقد أجمعت (٣٤١) الأمة على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما نص

(٣٣٧) أخرج الحافظ ابن عساكر (٤ : ١٦٥) أن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب قال لرجل من الرافضة : « والله لئن أمكننا الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم ، ثم لا نقبل منكم توبة » . فقال له رجل : لم لا تقبل منهم توبة ؟ قال : « نحن أعلم بهؤلاء منكم . ان هؤلاء ان شاءوا صدقوك ، وان شاءوا كذبو بكم وزعموا أن ذلك يستقيم لهم في (التقية) . ويلك ! ان التقية هي باب رخصة للمسلم ، اذا اضطر إليها وخاف من ذي سلطان أعطاه غير ما في نفسه يدرا عن ذمة الله ، وليست باب فضل ، انما الفضل في القيام بأمر الله وقول الحق . وإيم الله ما بلغ من التقية أن يجعل بها لعبد من عباد الله أن يضل عباد الله » . [خ]

(٣٤١) ليس هناك إجماع . قال شارح التقيّة الطحاوية :
ثم اختلف اهل السنة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه هل كانت

على أحد يكون من بعده (٣٤٢) . وقد قال العباس لعلى - فيما روى عنه

بالنص ، أو بالاختيار ؟ فذهب الحسن البصرى وجماعة من أهل الحديث
أنى أنها ثبتت بالنص الخفى والاشارة ، ومنهم من قال بالنص الجلى . وذهب
جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية الى أنها ثبتت بالاختيار .

والدليل على اثباتها بالنص أخبار : من ذلك ما رواه أبو داود عن جابر
رضى الله عنه ، أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :
« رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
ونيط عمر بأبى بكر ، ونيط عثمان بعمر » قال جابر : فلما قمنا من عند رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قلنا : أما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ، وأما المنوط بعضهم ببعض ، فهو ولاة هذا الأمر الذى بعث
الله به نبيه » وهو حديث صحيح كما قال محقق الطحاوية ص ٤٧٣ .

وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم اقتدوا بالذين من بعدى : أبى بكر
وعمر وسنده صحيح كما قال محقق الطحاوية ، وأحاديث تقديمه فى الصلاة
مشهورة معروفة ، وهو يقول : « مروا أبا بكر يصلى بالناس » رواه البخارى
ومسلم .

(ونصرف النظر عن ذكر بقية النصوص ، فقد اثبتتها القاضى ابن العربى
رحمه الله فيما يأتى) ..

واحتج من قال : لم يستخلف بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن عمر
رضى الله تعالى عنهما ، أنه قال : « ان استخلف فقد استخلف من هو خير
منى ، يعنى أبا بكر ، وإن لا استخلف ، فلم يستخلف من هو خير منى ، يعنى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال عبد الله ، فعرفت أنه حين ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مستخلف . وما روى عن عائشة رضى الله
عنها أنها سئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستخلفاً
لو استخلف . والظاهر - والله أعلم - أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب ،
ولو كتب عهداً لكتبه لأبى بكر ، بل قد أراد كتابته ثم تركه ، وقال : « يابى الله
والمسلمون إلا أبا بكر (رواه مسلم) ، فكان هذا بلغ من مجرد العهد .. ثم علم
ان المسلمين يجتمعون عليه ، فترك الكتابة اكتفاء بذلك ..

ولم يقل أحد من الصحابة قط ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم نص على
غير أبى بكر ، لا على ، ولا العباس ، ولا غيرهما ، كما قال أهل البدع .

وروى ابن بطة باسناده : ان عمر بن عبد العزيز بعث محمد بن الزبير
الحنظلى الى الحسن ، فقال : هل كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم
استخلف أبا بكر ؟ فقال : أو فخانك صاحبك ؟ نعم ، والله الذى لا اله الا هو
استخلفه ! لهو كان اتقى الله ان يتوثب عليها . (باختصار ص ٤٧١ -

٤٧٥) . [٢]

(٢٤٢) نقل الحافظ ابن عساكر (٤ : ١٦٦) عن الحافظ البيهقى حديث =

عبد الله ابنه - قال عبد الله بن عباس : خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه من عند رسول الله ﷺ في وجهه الذي توفي فيه ، فقال الناس : يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أصبح بحمد الله بارئاً . فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا . وإني [والله] لأرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوف يتوفي من وجهه هذا ، إني لأعرف وجهه بنى عبد المطلب عند الموت . اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلنسأله فيمن يكون هذا الأمر بعده ، فإن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا . فقال علي (٣٤٣) : إنا والله لنسألها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإني والله لا أسأله رسول الله

فضيل بن مرزوق أن الحسن المشني بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب سئل ففيل له : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كنت مولاه فلي مولاه » ؟ فقال : « بلى ، ولكن والله لم يعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك الإمارة والسلطان . ولو أراد ذلك لأفصح بهم به ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان انصح للمسلمين . ولو كان الأمر كما قيل لقال : يا أيها الناس هذا ولي امركم والقائم عليكم من بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا . والله لنن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر وجعله القائم للمسلمين من بعده ثم ترك علياً أمر الله ورسوله ، لكان علياً أول من ترك أمر الله ورسوله » . ورواه البيهقي من طرق متعددة في بعضها زيادة وفي بعضها نقصان والمعنى واحد . [خ]

(٣٤٣) سبق الكلام في بحث مضي علىبيعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما .

وننقل فيما يلي كلاماً لطيفاً للإمام المازري نقله الحافظ في « الفتح »
٣٧٨/٧ بنسابة الرواية التي تقول بتأخر علي عن مبايعة أبي بكر :

« لعلي في تخلفه مع ما اعتذر هو به - أي لأبي بكر - أنه يكفي فيبيعة الإمام أن يقع من أهل الحل والعقد ، ولا يجب الاستيعاب . ولا يلزم كل واحد أن يحضر غنده ، ويضع يده في يده ، بل يكفي التزام طاعته والانقياد له بأن لا يخالفه . ولا يشق العصا عليه . وهذا كان حال علي لم يقع منه إلا التأخر عن الحضور عند أبي بكر . [م]

صلى الله عليه وآله وسلم (٣٤٤) .

قال القاضى أبو بكر (رضى الله عنه) : رأى العباس عندى أصح ، وأقرب إلى الآخرة ، والتصريح [بالتحقيق] . وهذا يبطل قول مدعى الإشارة باستخلاف على ، فكيف أن يدعى فيه نص ١ ؟

فأما أبو بكر ، فقد جاءت امرأة [إلى] النبی صلى الله عليه وآله وسلم فأمرها أن ترجع إليه . قالت له : فإن لم أجذك - كأنها تعنى الموت - قال : تجدین أبا بكر (٣٤٥) .

وقال النبی صلى الله عليه وآله وسلم لعمر وقد وقع بينه (أى بين عمر) وبين أبى بكر كلام ، [فتمعّر] وجه النبی صلى الله عليه وآله وسلم (٣٤٦) ، حتى أشفق من ذلك أبو بكر ، وقال النبی صلى الله عليه وآله وسلم « هل أتم تاركو لى صاحبى (مرتين) . إنى بعثت إليكم فقلتكم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت . ألا إنى أبرأ إلى كل خليل من خلته » (٣٤٧) .

وقال النبی صلى الله عليه وآله وسلم : « لو كنت متخذاً فى الإسلام خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً . ولكن أخى ، وصاحبى » (٣٤٨) .

(٣٤٤) رواه البخارى فى كتاب المغازى من صحيحه (ك ٦٤ ب ٨٣ ج ٥ ص ١٤٠ - ١٤١) . ونقله ابن كثير فى البداية والنهاية (٥ : ٢٢٧ و ٢٥١) من حديث الزهرى عن عبد الله بن مالك عن ابن عباس . ورواه الامام أحمد فى مسنده (١ : ٢٦٣ و ٣٢٥ رقم ٢٣٧٤ و ٢٩٩٩) .

(٣٤٥) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٥ ج ٤ ص ١٩١) من حديث جبير بن مطعم قال : أتت امرأة النبی صلى الله عليه وآله وسلم فأمرها أن ترجع إليه . قالت : أرايت ان جئت ولم أجذك - كأنها تقول الموت - قال صلى الله عليه وآله وسلم « ان لم تجدینى فأبى أبا بكر » [خ]

(٣٤٦) تمر وجهه : تغير ، وذهب ما كان فيه من النضارة ، واشراق اللون . [خ]

(٣٤٧) فى كتاب مناقب الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٥ ج ٤ ص ١٩٢) عن أبى الدرداء مطولاً . [خ]

(٣٤٨) فى الباب المذكور من كتاب مناقب الصحابة فى صحيح البخارى (ج ٤ ص ١٩١) من حديث عكرمة عن ابن عباس . [خ]

وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً . لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة
أبى بكر (٣٤٩) .

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « بينما أنا نائم رأيتني على
قلب (٣٥٠) عليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبى قحافة
فنزعه منها ذئوباً أو ذنوبين » (٣٥١) و في نزعه ضعف والله يغفر له ، ثم
استحالت غرباً (٣٥٢) ، فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع
نزع عمر ، حتى ضرب الناس بعطن » (٣٥٢) .

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صعد أحداً وأبو بكر وعمر
وعثمان رضى الله عنهما ، فرجف بهم : فقال : « اثبت أحد ، فإنما عليك نبى
وصديق وشهيدان » (٣٥٤) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لقد كان فيمن كان قبلكم من
بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن في أمتي منهم

(٣٤٩) في هذه الجملة اضطراب ونقص . وانظر لهذا المعنى حديث
أبى سعيد الخدرى في ذلك الموضع من صحيح البخارى (ج ٤ ص ١٩٠ -
١٩١) ، وحديث ابن عباس في مسند أحمد (١ : ٢٧٠ رقم ٢٤٣٢) والبداية
والنهاية (٥ : ٣٢٩ و ٢٣٠) .

(٣٥٠) القلب : البئر غير المطوية . [خ]
(٣٥١) الذنوب : الدلو العظيمة اذا ملئت ماء . وابن أبى قحافة هو
أبو بكر . [خ]

(٣٥٢) أى ثم عظمت فصارت كالدلو الواسعة التى تتخذ من جلد الثور
لكبرها . [خ]

(٣٥٣) أى حتى اتخذ الناس حولها مبركاً لابلهم لفزارة مائها ، والحديث
في ذلك الموضع من صحيح البخارى (ج ٤ ص ١٩٣) من حديث سعيد
ابن المسيب عن أبى هريرة . [خ]

(٣٥٤) في كتاب فضائل الصحابة من صحيح مسلم (ك ٦٢ ب ٥ ج ٤
ص ١٩٧) من حديث قتادة عن أنس بن مالك . [خ]

(*) نظرنا في البداية والنهاية فإذا نص الحديث : « ... لا يبقى في المسجد
باب إلا سد إلا باب أبى بكر وهكذا رواه البخارى وأحمد ... اهـ . باختصار »
وعند مسلم : « ... لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة
أبى بكر » . [٢]

أحد فعمر « (٣٥٥) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة رضى الله عنها فى مرضه :
« ادعى لى أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فإنى أخاف أن يتمنى متمنى
ويقول : أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » (٣٥٦)

وقال ابن عباس : إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال :
يا رسول الله ، إنى أرى الليلة فى المنام ظلة تنطف السمن والعسل ، فأرى
الناس يتكفون بأيديهم ، فالمستكثر والمستقل . وأرى سبيلاً واصلاً من السماء
إلى الأرض فأراك أخذت به فعلوت ، (ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ، ثم
أخذ به رجل آخر فعلا به) ، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ، ثم وصل له
فعلا (وذكر الحديث) . ثم عبرها أبو بكر فقال : وأما السبب
الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذى أنت عليه ،
فأخذته فيعليك الله . ثم يأخذ به رجل آخر بعدك فيعلو به ، ثم يأخذه رجل
آخر فيعلو به ، ثم يأخذه رجل آخر فينقطع به ثم يوصل [له] فيعلو به » (٣٥٧)

وصح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ذات يوم : « من رأى
منكم رؤيا » ؟ فقال رجل : أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء ، فوزنت
أنت وأبو بكر فرجحت . ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر . ووزن عمر
وعثمان فرجح عمر . ثم رفع الميزان . فرأينا الكراهية فى وجه رسول الله

(٣٥٥) فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٦ ج ٤
ص ٢٠٠) من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة . [خ]

(٣٥٦) فى مسند أحمد (٦ : ١٤٤ الطبعة الأولى) من حديث الزهرى
عن عروة بن الزبير عن عائشة ، وانظر المسند أيضاً (٦ : ٤٧ و ١٠٦) وطبقات
ابن سعد ٣ (١) : ١٢٧ ومسند (*) أبى داود الطيالسى : الحديث ١٥٠٨ . [خ]

(٣٥٧) فى كتاب التعير من صحيح البخارى (ك ٩١ ب ٤٧ ج ٨ ص ٨٣ -
٨٤) من حديث عبد الله بن عباس ، وفى كتاب الرؤيا من صحيح مسلم (ك ٤٧
ج ١٧ ص ٧ - ٥٥ - ٥٦) من حديث ابن عباس ، وفى مسند أحمد
(١ : ٢٣٦ الطبعة الأولى رقم ٢١١٣) من حديث ابن عباس . [خ]

(*) وروى هذا الحديث الامام مسلم أيضاً .

صلى الله عليه وآله وسلم (٣٥٨) ، (٣٥٩) .

وهذه الأحاديث جبال في البيان ، [وجبال] في التسبب إلى الحق إن وفقه الله . ولو لم يكن معكم - أيها السنية - إلا قوله تعالى « إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثلثين ألفاً في الفار » (٣٦٠) (التوبة : ٤٠) فجعلها (٣٦١) في نصيف وجعل أبا بكر في نصيف آخر وقام معه جميع الصحابة .

وإذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى منها حال الخلفاء في خلافتهم وولايتهم وترتيبهم خصوصاً وعموماً . وقد قال الله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً » (سورة النور : ٥٥) . وإذا لم ينفذ هذا الوعد في الخلفاء فلمن ينفذ ؟ وإذا لم يكن فيهم [فقيمن] يكون ؟ والدليل عليه انعقاد الأجماع أنه لم يتقدمهم في الفضيلة أحد إلى يومنا هذا ، [وما] بعدهم مختلف فيه ، وأولئك مقطوع بهم ، متيقن إمامتهم ، ثابت نفوذ وعد الله لهم . فإنهم ذبوا عن حوزة المسلمين ، وقاموا بسياسة الدين .

قال علماؤنا : ومن بعدهم تبع لهم من الأئمة الذين هم أركان الملة ،

(٣٥٨) في كتاب السنة من سنن أبي داود (ك ٣٩ ب ٨ ح ٤٦٣٤) من حديث أبي بكر . وفي كتاب الرؤيا من جامع الترمذي (الباب ١٠) من حديث أبي بكر أيضاً . وانظر في مسند أحمد (٥ : ٢٥٩ الطبعة الأولى) حديث أبي إمامة عن رجحان كفة أبي بكر بكفة فيها جميع الأمة ... الخ . [خ] (٣٥٩) قال محقق الطحاوية هذا الحديث صحيح من طريقين ، وفي أحد الطريقين زيادة : « خلافة نبوة » ، ثم يؤتى الله الملك من يشاء « فيها على بن زيد ، وهو ابن جدعان ، وفيه ضعف . [م]

(٣٦٠) الله على الرغم من ثناء الله سبحانه على أبي بكر رضي الله عنه في هذه الآية ، يؤولها بعض أعداء الاسلام ويحرفون معناها بأسلوب يضحك الثكلي ويرفع عنه حتى المجانين لتكون ذماً لا مدحاً لأبي بكر رضي الله عنه فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ! . [م] (٣٦١) أي الأمة . [خ]

ودعائم الشريعة ، الناصحون لعباد الله ، الهادون من استرشد إلى الله . فأما من كان من الولاة الظلمة فضرره مقصور على الدنيا وأحكامها .

وأما حفاظ الدين فهم الأئمة العلماء الناصحون لدين الله ، وهم أربعة أصناف :

الصنف الأول — حفظوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم بمنزلة الخزان لأقوات المعاش .

الصنف الثاني — علماء الأصول : ذبوا عن دين الله أهل العناد وأصحاب البدع ، فهم شجعان الإسلام ، وأبطاله المداعسون عنه في مآزق الضلال (٣٦٣)

الصنف الثالث — قوم ضبطوا أصول العبادات ، وقانون المعاملات ، وميزوا المحللات من المحرمات ، وأحكموا [الجراح] والديات ، وبينوا معاني الإيمان والمنذورات ، وفصلوا الأحكام في الدعاوى . فهم — في الدين — بمنزلة الوكلاء المتصرفين في الأموال .

الصنف الرابع — تجردوا للخدمة ، ودأبوا على العبادات ، واعتزلوا الخلق . وهم — في الآخرة — كخواص الملك في الدنيا .

وقد أوضحنا في كتاب (سراج المريدين) في القسم الرابع من علوم القرآن أى المنازل أفضل من هؤلاء الأصناف ، وترتيب درجاتهم .

قال القاضى أبو بكر (رضى الله عنه) : وهذه كلها إشارات أو تصريحات أو دلالات أو تنبيهات . ومجموع ذلك يدل على صحة ما جرى ، وتحقيق ما كان من العقلاء .

ونقول — بعد هذا البيان — على مقام آخر : لو كان هنالك نص على أبى بكر (٣٦٣) أو على على ، لم يكن بد من احتجاج على به ، أو يحتج له

(٣٦٢) المداعسة : المطاعنة ، والمدافعة . [خ]

(٣٦٣) قال شيخ الإسلام الامام ابن تيمية تعليقا على الحديث السابق وقد صححه « ادعى إلى أبائك وأخاك اكتب لآبى بكر كتابا لا يختلف عليه الناس من بعدى ... » فأبى الله وعباده المؤمنون أن يتولى غير أبى بكر ، فالله هو ولاه

به غيره من المهاجرين والأنصار . فأما حديث غدير خم فلا حجة فيه ، لأنه إنما (٣٦٥) استخلفه في حياته على المدينة كما استخلف موسى هارون في حياته - عند سفره للمناجاة - على بنى إسرائيل . وقد اتفق الكل من إخوانهم اليهود [قاطبة] على أن موسى مات بعد هارون ، فأين الخلافة ؟

وأما قوله : « اللهم وال من والاء » (٣٦٦) ف كلام صحيح ، ودعوة مجابة . وما يعلم أحد عاداه إلا الرافضة ، فإنهم أنزلوه في غير منزلته ، ونسبوا إليه ما لا يليق بدرجة . والزيادة في الجدة نقصان من المحدود . ولو تعدى عليه أبو بكر ما كان المتعدى وحده ، بل جميع الصحابة - كما قلنا - لأنهم ساعدوه على الباطل .

ولا تستعربوا هذا من قولهم ، فإنهم يقولون : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مدارياً لهم ، [وممتحناً] (٣٦٧) بهم على تفاق وتقية . وأين أنت من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين سمع قول عائشة رضي الله عنها : مروا عمر فليصل بالناس : « إنكن لأتتن صواحب يوسف ، مروا

قدراً وشرعاً ، وأمر المؤمنين بولايته ، وهداهم إلى أن ولوه من غير أن يكون طلب ذلك لنفسه (الفتاوى) .

وبمثل هذا الكلام تقريباً قال الامام ابن حزم .

(٣٦٥) لعل في هذه العبارة نقصاً . فان حديث غدير خم غير حديث استخلاف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلی رضي الله عنه لما ذهب إلى تبوك .

(٣٦٦) سند صحيح ونرى تفصيل ذلك في موضع آخر . قال ابن قتيبة في « تأويل مختلف الحديث » : « يريد الرسول ان الولاية بينه وبين المؤمنين ، اللف من الولاية بين المؤمنين بعضهم مع بعض ، فجعلها لعلی . . . » وقد جاءت آيات واحاديث تفيد بأن الله ورسوله ولي الذين آمنوا . [م]

(٣٦٧) صحيح البخارى (ك ١٠ ب ٣٩ و ٤٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٧٠ ج ١ ص ١٦١ - ١٦٢ و ١٦٥ و ١٧٤ - ١٧٦) من حديث عائشة وأبي موسى الأشعري . [خ]

أبا بكر فليصل بالناس « وما قدمنا من تلك الأحاديث (٣٦٩) .

نقد اقتحموا عظيما ، ولقد افتروا كبيرا . وما جعلها عمر شورى إلا إقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبأبي بكر ، إذ قال : « إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وإن لم أستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يستخلف » (٣٧٠) . فما رد هذه الكلمات أحد . وقال : « أجعلها شورى في نفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راض » (٣٧١) . وقد رضى الله عن أكثر منهم ، ولكنهم كانوا خيار الرضا ، وشهد لهم بالأهلية للخلافة .

وأما قولهم تحيل ابن عوف حتى ردها لعثمان ، فلئن كانت حيلة ولم يكن سواها فلأن الحول ليس إليه (٣٧٢) . وإذا كان عمل العباد حيلة أو كان القضاء بالحول فالحول والقوة لله . وقد علم كل أحد أنه لا يليها إلا واحد ، فاستبد عبد الرحمن بن عوف بالأمر — بعد أن أخرج نفسه — على أن يجتهد للمسلمين في الأسد والأشد ، فكان كما فعل ، وولاهها من استحقها ، ولم يكن غيره أولى منه بها ، حسبما بينا في « مراتب الخلافة » من (أنوار انفجر) (٣٧٣) ، وفي غيره من (كتب) الحديث .

(٣٦٩) في كتاب الامارة من صحيح مسلم (ك ٣٣ ح ١١ و ١٢ ج ٦ ص ٤ - ٥) من حديث عروة بن الزبير عن ابن عمر ، ومن حديث سالم عن ابن عمر . وفي مسند أحمد (١ : ٤٢ رقم ٢٩٩) عن عروة عن ابن عمر ، و (١ : ٤٦ رقم ٣٢٢) عن حميد بن عبد الرحمن عن ابن عباس ، و (١ : ٤٧ رقم ٣٣٢) عن الزهري عن سالم عن ابن عمر . [خ]

(٣٧٠) من حديث عمرو بن ميمون المطول في كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٨ ج ٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٧)

(٣٧١) بل الى الله . وان الله هو الموفق لابن عوف وسائر اخوانه الصحابة حتى كانوا في ذلك الموقف على ما اراده الله لهم من صفاء النية واخلاص القصد والعمل لله وحده ، فكان اختيار خليفة عمر في حادث الشورى مثلا اعلى للنفس الانسانية عندما تكون في اعلى مراتب النبيل ، والتجرد عن جميع خواطر الهوى .

(٣٧٣) هو التفسير الكبير لابن العربي في ثمانين مجلدا . [خ]

وقتل عثمان ، فلم يسبق على الأرض أحق بها من عليٍّ فجاءته على قدر ، في وقتها ومحلها وبين الله على يديه من الأحكام والعلوم ما شاء الله أن يبين . وقد قال عمر « لولا عليٌّ لهلك عمر » (٣٧٤) ، (٣٧٥) وظهر من فقهه وعلمه في قتال أهل القبلة - من استدعائهم ومناظرتهم ، وترك مبادرتهم ، والتقدم إليهم قبل نصب الحرب معهم ، وندائه : لا تبدأوا بالحرب ، ولا يتبع حولٍ ، ولا يجهز على جريح ، ولا تهاج امرأة ، [ولم يغنم] لهم مالا - وأمره بقبول شهادتهم ، والصلاة خلفهم ، حتى قال أهل العلم : لولا ما جرى ما عرفنا حكم قتال أهل البغي .

وأما خروج طلحة والزبير فقد تقدم بيانه (٣٧٦) .

وأما تكفيرهم للخلق ، فهم الكفار . وقد بينا أحوال أهل الذنوب [الذين] ليس منهم (عليها شر) في غير ما كتاب ، وشرحناها في كل باب .

فإن قيل : فقد قال العباس في عليٍّ ما رواه الأئمة أن العباس وعلياً اختصيا عند عمر في شأن أوقاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال العباس لعمر : يا أمير المؤمنين ، اقض بيني وبين هذا الظالم الكاذب [الغادر] الآثم

(٣٧٤) لم نجد هذا الحديث في الكتب المعتمدة التي استطعنا الاطلاع عليها ولعله لا يصح مع اعترافنا بفضل عليٍّ وعلمه [م]

(٣٧٥) هذا مع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه : « أول من يضافحه الحق عمر (**) » ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به (***) » ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « لو كان من بعدى نبي لكان عمر » (***) . [خ]

(٣٦٧) وأنه كان خروجاً للتفاهم والتعاون على إقامة الحدود الشرعية في مقتل أمير المؤمنين عثمان . [م]

(**) لم أجده بهذا اللفظ . إنما بلفظ أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب . . . رواه الخطيب عن زيد بن ثابت مرفوعاً . والمتمم به عمر بن إبراهيم بن خالد الكردى . [م]

(***) حسنهما الترمذى ووافقه محقق مشكاة المصابيح .

الخائن^(٣٧٧) . فقال الرهط لعمر : يا أمير المؤمنين ، اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر . فقال عمر : أنشدكم الله الذي يأذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » يريد بذلك نفسه ؟ قالوا : قد قال ذلك . فأقبل على العباس وعلى فقال : أنشدكما الله ، هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك ؟ قالوا : نعم . قال عمر : إن الله خص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الفى بشيء لم يعطه أحداً غيره ، فعمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياته ، ثم توفي ، فقال أبو بكر : أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقبضها سنتين في إمارته فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وأتتما تزعمان أن أبا بكر ، كاذب غادر خائن^(٣٧٨) ، والله ليعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق ... وذكر الحديث .

قلنا : أما قول العباس لعلى فقول الأب لابن ، وذلك على الرأس محمول ، وفي سبيل المغفرة مبذول ، وبين الكبار والصغار - فكيف الآباء والأبناء - مغفور موصول . وأما قول عمر انهما اعتقدا أن أبا بكر ظالم خائن غادر [وكذلك اعتقدا فيه] ، فإنما ذلك خبر عن الاختلاف في نازلة وقعت من الأحكام ، رأى فيها هذا رأياً ورأى فيها أولئك رأياً ، فحكم أبو بكر

(٣٧٧) تقدم ذكر هذا التقاضى بين العباس وعلى عند أمير المؤمنين عمر من حديث مالك بن أوس بن الحدثان النصرى في صحيح البخارى . قال الحافظ ابن حجر في فتح البارى (ك ٥٧ ب ١ ج ٦ ص ١٢٥) : زاد شعيب ويونس : « فاستب على والعباس » وفي رواية عقيل عن ابن شهاب في الفرائض : « اقض بينى وبين هذا الظالم . استباً » وفي رواية جويرية « وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن » . قال الحافظ : ولم أر فى شيء من الطرق أنه صدر من على فى حق العباس شيء ، بخلاف ما يفهم من قوله فى رواية عقيل « استباً » . واستصوب المازرى صنيع من حذف هذه الألفاظ من هذا الحديث وقال : لعل بعض الرواة وهم فيها وإن كانت محفوظة ، فأجود ما تحمل عليه أن العباس قالها دلالة على على ، لانه كان عنده بمنزلة الولد ، فأراد ردعه عما يعتقد أنه مخطئ فيه . [خ]

(٣٧٨) قال الحافظ ابن حجر (٦ : ١٢٥) : وكان الزهرى يحدث به تارة فيصرح ، وتارة فيكنى ، وكذلك مالك ، وقد حذف ذلك فى رواية بشر بن عمر عنه عند الاسماعيلي وغيره ، وهو نظير ما سبق من قول العباس لعلى . [خ]

وعمر بما رأيا ، ولم ير العباس وعلى ذلك . ولكن لما حكما سلما لحكما كما يسلم لحكم القاضى فى المختلف فيه . وأما المحكوم عليه فرأى أنه قد وهم ، ولكن سكت وسلم .

فإن قيل : إنما يكون ذلك فى أول الحال - والأمر لم يظهر - إذا كان الحكم باجتهاد ، وأنما كان هذا الحكم على منع فاطمة والعباس الميراث بقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « لا نورث ، ما تركناه ، صدقة » وعلمه أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه العشرة وشهدوا به ، فبطل ما قلموه .

قلنا : يحتمل أن يكون ذلك فى أول الحال - والأمر لم يظهر بعد - فرأيا أن خبر الواحد فى معارضة القرآن والأصول والحكم المشهور فى الزمن لا يعمل به حتى يتقرر الأمر ، فلما تقرر سلما وانقادا ، بدليل ما قدمنا من الحديث الصحيح إلى آخره ، فلينظر فيه . وهذا أيضا ليس بنص فى المسألة ، لأن قوله « لا نورث ، ما تركناه صدقة » يحتمل أن يكون : لا يصح ميراثنا ، ولا أنا أهل له ، لأنه ليس لى ملك ، ولا تلبست بشىء من الدنيا ينتقل إلى غيرى عنى . ويحتمل « لا نورث » حكم ، وقوله « ما تركناه صدقة » حكم آخر معين أخبر به أنه قد أنفذ الصدقة فيما كان بيده من سهمه المتصير إليه بتسوية الله له ، وكان [من] ذلك مخصوصا بما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، وكان له سهمه مع المسلمين فيما غنموه بما أخذوه عنوة . ويحتمل أن يكون « صدقة » منصوبا على أن يكون حالا من المتروك . وإلى هذا أشار أصحاب أبى حنيفة ، وهو ضعيف وقد بناه فى موضعه . بيد أنه يأتى [من] هذا أن المسألة مجرى الخلاف ، ومحل الاجتهاد (٣٨٠) ، وأنها ليست بنص من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فتحتمل التصويب والتخطئة من المجتهدين . والله أعلم .

* * *

(٣٨٠) ولعل فاطمة وعلياً والعباس رضى الله عنهم أخذوا بهذا الاجتهاد ، فهم مأجورون على كل حال . ولا شك أن علياً اذا كان أخذ به ، فقد رجع عنه مادام لم ينفذه فى خلافته . [م]

قاصمة

ثم قتل على . قالت الرافضة : فعهد إلى الحسن ، فسلمها الحسن إلى معاوية ، فقبل له « مسود وجوه المؤمنين » (٣٨١) وفسقت جماعة من الرافضة ، وكفرته طائفة لأجل ذلك .



(٣٨١) من عناصر ايمان الرافضة - بل العنصر الاول في ايمانهم - اعتقادهم بعصمة الحسن وأبيه وأخيه ، وتسعة من ذرية أخيه . ومن مقتضى عصمتهم - وفي طبيعتهم الحسن بعد أبيه - أنهم لا يخطئون ، وأن ما صدر عنهم فهو حق ، والحق لا يتناقض . وأهم ما صدر عن الحسن بن علي بيعته لأمير المؤمنين معاوية ، وكان ينبغى لهم أن يدخلوا في هذه البيعة ، وأن يؤمنوا بأنها الحق لأنها من عمل المعصوم عندهم . لكن المشاهد من حالهم أنهم كافرون بها . ومخالفون فيها لآمامهم المعصوم . ولا يخلو هذا من أحد وجهين : فاما أنهم كاذبون في دعوى العصمة لأنهم لا يثبتون ، فانهار دينهم من أساسه ، لأن عقيدة العصمة لهم هي أساسه ، ولا أساس له غيرها . واما أن يكونوا معتقدين عصمة الحسن ، وأن بيعته لمعاوية هي من عمل المعصوم ، لكنهم خارجون على الدين ، مخالفون للمعصوم فيما جرح اليه وأراد أن يلقي الله به ، ويتواصون بهذا الخروج على الدين جيلا بعد جيل ، وطبقة بعد طبقة ، ليكون ثباتهم على مخالفة الامام المعصوم عن اصرار وعناد ومكابرة وكفر . ولا ندري أى الوجهين يطوِّح بهم في مهاوى الهلكة أكثر مما يطوح بهم الوجه الآخر ، ولا ثالث لهما . فالذين قالوا منهم ان الحسن « مسود وجوه المؤمنين » لا يحمل كلامهم الا على انه « مسود وجوه المؤمنين بالطاغوت » اما المؤمنون بنبوّة جدّ الحسن صلى الله عليه وآله وسلم فيرون صلحه مع معاوية وبيعته له من اعلام النبوة ، لأنها حققت ما تنبأ به صلى الله عليه وآله وسلم في سبطه سيد شباب اهل الجنة من انه سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين كما سيأتى بيانه . وكل الذين استبشروا بهذه النبوة وبهذا الصلح يعدون الحسن « مبيض وجوه المؤمنين » . [خ]

عاصمة

قال القاضي أبو بكر (رضي الله عنه) : أما قول الرافضة انه عهد إلى الحسن فباطل . ما عهد إلى أحد (٣٨٢) . ولكن البيعة للحسن منعقدة ، وهو أحق من معاوية ومن كثير [من] غيره . وكان خروجه لمثل ما خرج إليه أبوه من دعاء الفئة الباغية إلى الانقياد للحق والدخول في الطاعة . فآلت الوساطة إلى أن تخلص عن الأمر صيانة لحق دماء الأمة (٣٨٣) وتصدقاً [لوعده]

(٣٨٢) روى الامام أحمد في مسنده (١ : ١٣٠ برقم ١٠٧٨) عن وكيع عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن سبيع قال : سمعت علياً يقول (وذكر أنه سيقتل) قالوا : فاستخلف علينا . قال : لا ، ولكن اترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قالوا : فما تقول لربك إذا أتيت ؟ قال : أقول : اللهم تركتني فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم ، فان شئت اصلحتهم ، وان شئت أفسدتهم . وروى أحمد مثله (١ : ١٥٦ برقم ١٣٣٩) عن أسود بن عامر عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عبد الله بن سبيع . والخبران اسناد كل منهما صحيح . ونقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥ : ٢٥٠ - ٢٥١) عن الامام البيهقي من حديث حصين ابن عبد الرحمن عن الامام الشعبي عن أبي وائل شقيق بن سلمة الأسدي أحد سادة التابعين أنه قيل لعلي : ألا تستخلف علينا ؟ قال : « ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستخلف ، ولكن ان يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدى على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم » . وهذا الحديث جيد الاسناد . ونقل ابن كثير أيضاً (٧ : ٣٢٣) عن الامام البيهقي حديث حبيب بن أبي ثابت الكاهلي الكوفي عن ثعلبة بن يزيد الحماني (وهو من شيعة الكوفة وثقه النسائي) أنه قيل لعلي : ألا تستخلف ؟ فقال : « لا ، ولكن اترككم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » . وانظر السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ١٤٩ . [خ]

(٣٨٣) وتام الحديث : أنا محمد ، وأحمد والمقفي ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة ، ونبي الملحمة . رواه الطيالسي وأحمد في المسند وغيرهما وسنده صحيح كما قال محقق الجامع الصغير وزيادته . [م]

نبي الملحمة (٣٨٤) حيث قال على المنبر : « ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » (٣٨٥) . فنفذ الميعاد ، وصحت البيعة لمعاوية ، وذلك لتحقيق رجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فمعاوية خليفة ، وليس بملك .

فإن قيل : فقد روى عن سفينة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الخلافة ثلاثون سنة ، ثم تعود ملكا » فإذا عددنا من ولاية أبي بكر إلى تسليم الحسن كانت ثلاثين سنة لا تزيد ولا تنقص يوماً . قلنا :

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل هذا الحديث (٣٨٧) في ذكر الحسن بالبشارة والثناء عليه ، لجريان الصلح

(٣٨٤) حكاية الوساطة بين الحسن ومعاوية وصلحهما رواها الامام البخارى في كتاب الصلح من صحيحه (ك ٥٣ ب ٩ ج ٣ ص ١٦٩) عن الامام الحسن البصرى قال : استقبل - والله - الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال . فقال عمرو بن العاص : انى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها . فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين - : أى عمرو ، ان قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لى بأمور الناس ، من لى بنسائهم ، من لى بضيعتهم ؟ فبعث اليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس - عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله ابن عامر بن كريز - فقال : اذهبا الى هذا الرجل (أى الى الحسن بن علي) فاعرضا عليه (أى ما يشاء) ، وقولا له (أى ما يرضيه) ، واطلبا اليه (أى ما تريان فيه المصلحة فائتما مفوضان) . فأتياه ، فدخلا عليه ، فتكلما ، وقالاه ، وطلبا اليه . فقال لهما الحسن بن علي : انا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وان هذه الأمة قد عاثت في دمائها (أى فيحتاج ارضاؤها في دمائها الى مال كثير) قالا : فانه يعرض عليك كذا وكذا ، ويطلب اليك ، ويسألك . قال : فمن لى بهذا ؟ قالا : نحن لك به فما سألهما شيئاً الا قالا : نحن لك به فصالحه . [خ]

(٣٨٥) رواه البخارى مع الحديث السابق عن الحسن البصرى أنه سمعه من أبي بكره وأن أبا بكره رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر والحسن بن علي الى جنبه فقال ذلك . ورواه البخارى أيضاً في مناقب الحسن والحسين من كتاب فضائل الصحابة من صحيحه (ك ٦٢ ب ٢٢ ج ٤ ص ٢١٦) وانظر البداية والنهاية (٨ : ١٧ - ١٩) وابن عساكر (٤ : ٢١١ - ٢١٢) [خ] (٣٨٧) أى حديث « ان ابني هذا سيد » الذى رواه البخارى عن الحسن البصرى عن أبي بكره . [خ]

[على] يديه ، وتسليم الأمر لمعاوية ، عقد منه له (٣٨٨) .

وهذا (٣٨٩) حديث لا يصح (٣٩٠) . ولو صح فهو معارض بهذا الصلح

(٣٨٨) أى عقد بيعة من الحسن لمعاوية . وكان ذلك فى موضع يقال له « مسكن » على نهر دجيل فى ربيع الأول سنة احدى وأربعين ، فسمى ذلك العام « عام الجماعة » لاجتماع المسلمين بعد الفرقة ، وتفرغهم للحروب الخارجية والفتوح ونشر دعوة الاسلام بعد أن عطل قتلة عثمان سيوف المسلمين عن هذه المهمة نحو خمس سنوات كان يستطيع المسلمون أن يسجلوا فيها امجاداً لا يستطيع غيرهم مثلها فى خمسة قرون . والله فى كل شىء حكمة . [خ] (٣٨٩) أى حديث سفينة . [خ]

(٣٩٠) لأن راويه عن سفينة سعيد بن جهمان ، وقد اختلفوا فيه : قال بعضهم لا بأس به ، ووثقه بعضهم ، وقال فيه الامام أبو حاتم « شيخ لا يحتج به » . وفى سنده حشر بن نباتة الواسطى وثقه بعضهم ، وقال فيه النسائى « ليس بالقوى » . وعبد الله بن أحمد بن حنبل يروى هذا الخبر عن سويد الطحان قال فيه الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب : « لين الحديث » . وهذا الحديث المهمل يعارضه ذلك الحديث الصحيح الصريح الفصيح فى كتاب الامارة من صحيح مسلم (ك ٣٣ ح ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ج ٦ ص ٣ - ٤) عن جابر بن سمرة قال : دخلت مع أبى على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فسمعتة يقول : « ان هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة » قال : ثم تكلم بكلام خفى على ، فقلت لأبى : ما قال ؟ قال : « كلهم من قریش » . وانظره فى كتاب الأحكام من صحيح البخارى (ك ٩٣ ب ٥١ ج ٨ ص ١٢٥ - ١٢٧) وفى فتح البارى (٣ : ١٦٢ وما بعدها) وفى سنن أبى داود (ك ٣٥ ح ١) وفى جامع الترمذى (ك ٣١ ب ٤٦) وفى مسند الامام أحمد (١ : ٣٩٨ و ٤٠٦ برقم ٣٧٨١ و ٣٨٥٩) من حديث الشعبى عن مسروق ابن الأجدع الهمدانى الامام القدوة قال : كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، هل سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كم يملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال عبد الله ابن مسعود : ما سألتى أحد منذ قدمت العراق قبلك . ثم قال : نعم ، ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « اثنا عشر ، كعدة نساء بنى اسرائيل (ﷺ) » . والحديث فى مجمع الزوائد (٥ : ١٩٠) . وفى مسند أحمد (٥ : ٨٦ و ٨٧ بثلاث روايات و ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ بثلاث روايات و ٩٢ بثلاث روايات و ٩٣ بروايتين و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ بروايتين و ٩٧ بروايتين و ٩٨

(ﷺ) ان حديث « الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون بعد ذلك ملكاً » صححه الحافظ فى التقریب ، وحسنه الترمذی ، وابن حبان وغيرهم .

المتفق عليه ، فوجب الرجوع إليه (٣٩١) .

فإن قيل : ألم يكن في الصحابة أقعد بالأمر من معاوية ؟

قلنا : كثير (٣٩٢) . ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال : وهي أن عمر جمع

=

ثلاث روايات و ٩٩ بثلاث روايات و ١٠٠ ، ١٠١ بروايتين و ١٠٦ بروايتين
و ١٠٧ بروايتين و ١٠٨) وفي مسند أبي داود الطيالسي (ح ٩٦٧
و ١٢٧٨) . [خ]

وصححه شيخ الاسلام ابن تيمية في « قاعدة » .

وهذا الحديث لا يعارض الصلح بين الحسن ومعاوية كما ادعى أبو بكر
ابن العربي ، كما انه لا يعارض حديث : (ان هذا الأمر لا يتقضى حتى يمضي
اثنا عشر خليفة) كما ادعى محب الدين الخطيب فقد جاء في رواية أبي داود
بلفظ : « خلافة النبوة ثلاثون عاماً » ومعنى هذا ان هناك خلفاء غيرهم على غير
النبوة ولا مانع من تسميتهم بالخلفاء ، فقد قال الامام ابن تيمية : « يجوز
تسمية من بعد الخلفاء الراشدين خلفاء ، وان كانوا ملوكاً ، ولم يكونوا خلفاء
بدليل ما رواه البخاري ومسلم في « صحيحهما » عن أبي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال : « كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما
هلك نبي خلفه نبي ، وانه لا نبي بعدى . وستكون خلفاء ، فتكثر ، قالوا :
فما تأمرنا ؟ قال : فوا ببيعة الأول ، فالأول ، وإعطوهم حقهم ، فان الله سائلهم
عما استرعاهم » .

وكلمة « تكثر » تفيد الكثرة ، ولا يمكن حصرها بالخلفاء الراشدين
الأربعة . [م]

(٣٩١) أى الى القدر من الحسن لمعاوية ، فهو متفق عليه ، وتناولته
البشرى النبوية بالثناء والرضا . قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة
(٢ : ٢٤٢) : وهذا الحديث يبين ان الاصلاح بين الطائفتين كان ممدوحاً
يحببه الله ورسوله ، وأن ما فعله الحسن من ذلك كان من أعظم فضائله ومناقبه
التي اثنى بها عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ولو كان القتال واجباً
أو مستحباً لم يشن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بترك واجب أو مستحب
... الخ . [خ]

(٣٩٢) كسعد بن ابى وقاص المجاهد الفاتح أحد العشرة المبشرين بالجنة ،
وعبد الله بن عمر بن الخطاب عالم الصحابة الثابت على قدم المصطفى صلى الله
عليه وآله وسلم في جليل الأمور ودقيقها ، وغيرهما من هذه الطبقة وقريب
منها ، وهؤلاء هم الذين ترك لهما الحكماء - أبو موسى وعمرو - امر الإمامة
=

له الشامات كلها وأفرده بها (٢٩٣) ، لما رأى من حسن سيرته (٣٩٤) ، وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور (٣٩٥) ، وإصلاح الجند والظهور على العدو (٢٩٦)

بعد حرب صفين ليروا فيها رأيهم ، فلما راوا اجتماع الأمة كلها على معاوية دخلوا كلهم في امامته وبايعوه ، بعد أن كانوا معتزلين الفتنة من بعد عثمان (انظر فتح الباري ١٣ : ٥٠) . ومعاوية نفسه يعرف للناس أقدارهم . فقد جاء في البداية والنهاية (٨ : ١٣٤) عن ابن دريد عن أبي حاتم عن العتبي أن معاوية خطب فقال : « أيها الناس ، ما أنا بخيركم ، وإن منكم لمن هو خير مني : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو وغيرهما من الأفاضل . ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولأية ، وإنكأكم في عدوكم وأدريكم حلباً » . ورواه ابن سعد عن محمد بن مصعب عن أبي بكر بن أبي مريم عن ثابت مولى معاوية أنه سمع معاوية يقول ذلك . [خ]

(٣٩٣) فأصبحت تحت قيادته وبحسن سياسته أقوى قوة في الاسلام ، وهي في طليعة جيوش الجهاد والفتوح الظافرة الداعية الى الله بأخلاقها وسيرتها وحكمة قادتها وصدق اسلامهم . [خ]

(٣٩٤) تقدم حديث الليث بن سعد امام أهل مصر بسنده الوثيق الى سعد بن أبي وقاص فاتح العراق وإيران ومبدا دولة كسرى أنه ما رأى بعد عثمان أفضى بالحق من معاوية . وحديث عبد الرزاق الصنعاني بسنده الى حبر الأمة ابن عباس أنه ما رأى رجلاً أخلق بالملك من معاوية . وفي قول شيخ الاسلام ابن تيمية : كانت سيرة معاوية مع رعيته من حيار سير الولاة ، وكان رعيته يحبونه ، وقد ثبت في صحيح مسلم (ك ٣٣ ح ٦٥ و ٦٦) قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلون عليكم وتصلون عليهم » . وفي الطبري (٦ : ١٨٨) رواية مجالد عن الشعبي أن قبيصة بن جابر الأسدي قال : إلا أخبركم من صحبت ؟ صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلاً أفقه فقها ولا أحسن مدراسة منه . ثم صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلاً أعطي للجنزيل من غير مسألة منه ، ثم صحبت معاوية فما رأيت رجلاً أحب رفيقاً ولا أشبه سريرة بعلائية منه . [خ]

(٣٩٥) وقد بلغ من همته وعظيم عنايته بذلك أن أرسل يهدد ملك الروم — وهو في معمرة القتال مع على في صفين — وقد بلغه أن ملك الروم اقترب من الحدود في جنود عظيمة ، فكتب اليه يقول « والله لئن لم تنته وترجع الى بلادك ، لأصطلخن أنا وابن عمي عليك ، ولاخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيغن عليك الأرض بما رحبت » فخاف ملك الروم وانكف (البداية والنهاية ٨ : ١١٩) . [خ]

وسياسة الخلق (٢٩٧) ، (٣٩٨) . وقد شهد له في صحيح ،

(٣٩٦) في البر والبحر ، فكانت رايات الاسلام تخترق الآفاق بأيدي جنده ممثلة العزة التي ارادها الله لدينه ورسالة رسوله وللمؤمنين بهما . وكما أن فتح مصر ودخولها في الاسلام والعروبة من عمل عمرو بن العاص وحده ، فان تأسيس الاسطول الاسلامي والفتوح البحرية الاولى من عمل معاوية وحده . ومما ينبغي للمشتغل بتاريخ العروبة والاسلام أن يعلمه أن معاوية مفلح على سجية السيادة والقيادة وصناعة الحكم ، اخرج ابن كثير في التاريخ (٨ : ١٣٥) عن هشيم عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم أن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : « ما رأيت أحداً أسود من معاوية » . قال جبلة ابن سحيم : قلت ولا عمر ؟ قال : « كان عمر خيراً منه ، وكان معاوية أسود منه » . ورووا مثل هذه الكلمة في معاوية عن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وتقدم قول عبد الله بن عباس « ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية » [خ] (٣٩٧) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٣ : ١٨٥) : لم يكن من ملوك الاسلام ملك خيراً من معاوية ، ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمن معاوية ، اذا نسبت إمامه الى ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمن معاوية ، اذا نسبت إمامه الى أيام من بعده . واذا نسبت الى أيام أبي بكر وعمر ظهر التفاضل . وقد روى أبو بكر الأثرم - ورواه ابن بطة من طريقه - حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة ، حدثنا محمد ابن مروان ، عن يونس ، عن قتادة قال : لو أصبحت في مثل عمل معاوية لقال أكثركم : هذا المهدي . وروى ابن بطة بإسناده الثابت من وجهين عن الأعمش عن مجاهد قال : لو أدركتم معاوية لقلت هذا المهدي . وروى الأثرم : حدثنا محمد بن حواش ، حدثنا أبو هريرة المكتب قال : كنا عند الأعمش فذكروا عمر بن عبد العزيز وعدله ، فقال الأعمش : فكيف لو أدركتم معاوية ؟ قالوا : في حلمه ؟ قال : لا والله ، بل في عدله . وقال عبد الله ابن أحمد بن حنبل : أخبرنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة الثقفي ، عن أبي اسحاق السبيعي أنه ذكر معاوية فقال : لو أدركتموه أو أدركتم إمامه لقلت : كان المهدي . وهذه الشهادة من هؤلاء الأئمة الأعلام لأمير المؤمنين معاوية صدى استجابة الله عز وجل دعاء نبيه صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الخليفة الصالح يوم قال صلى الله عليه وآله وسلم « اللهم اجعله هادياً ، مهدياً ، واهد به (**) » وهو من اعلام النبوة . [خ] -

(٣٩٨) رواه الترمذي وحسنه ، وهو صحيح الاسناد كما في تحقيق

مشكاة المصابيح . [م]

(**) يكفى معاوية رضي الله عنه انه كان كاتب الوحي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجاء في كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٨ : ١٣٣) قال

الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه « ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب » يعنى معاوية .

وروى عن على بن أبى طالب قوله عنه بعد المصالحة التى جرت سنة ٤٠ هـ والتى أسفرت عن اعتراف على بحكمه فى الشام واعتراف معاوية بحكم على فى العراق : ايها الناس لا تكرهوا امارة معاوية ، فانكم لو فقدتموه رايتم الرؤوس تنذر عن كواهلها كأنها الحنظل .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : « ما رأيت رجلاً اخلص بالملك من معاوية . وقال الصحابي عمير بن سعد الأنصاري الأوسي ، وقد عزله عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن حمص وولى معاوية رضى الله عنه : لا تذكروا معاوية الا بخير ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « اللهم اهد به ... » وهذا من تمام انصاف عمر ورضى الله عنه .

وقال الصحابي الجليل ابو الدرداء لأهل الشام : « ما رأيت أحداً أشبهه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من معاوية .

وقد روى ابن قتيبة عن عتبة بن مسعود قال : انه لما مر بنا نعى معاوية قمنا فأتينا ابن عباس فوجدناه جالسا قد وضع له الخوان وعنده نفر ، فأخبرناه الخبر . فقال يا غلام ! ارفع الخوان وسكن ساعة ثم قال : جيل تززع ثم مال كلعله . أما والله ما كان كمن كان قبله ، ولكن لن يكون بعده مثله ، وإن ابنه خير أهله .

وقال الأعمش للذين ذكروا عنده عمر بن عبد العزيز وعدله ، « كيف لو أدركتم معاوية ! » قالوا فى حلمه ؟! قال : لا والله بل فى عدله ، وقد مر معنى ذلك .

وقال قبيصة لجماعته : ألا أخبركم من صحبت ؟! صحبت عمر بن الخطاب ، فما رأيت رجلاً أفقه فقهاً ولا أحسن مدارساً منه ثم صحبت طلحة فما رأيت رجلاً أعظم للجزيل من غير مسألة منه . ثم صحبت معاوية ، فما رأيت رجلاً أحب رفيقاً ولا أشبه سريرة بعلائية منه (هذه الأقوال منقولة عن تاريخ الطبرى وعن البداية والنهاية) .

وقال الامام ابن تيمية فى منهاج السنة (١٨٩/٣) وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سيرة الولاة . وقد كانت رعيته يحبونه . وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « خيار أئمتكم الذين تصبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم . وشرار أئمتكم الذين يبغيضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » .

هذه بعض شهادات الصحابة والتابعين فى معاوية رضى الله تعالى عنهم جميعاً وآراء بعض العلماء والمؤرخين . وقد رأينا ما قال بحقه النبى صلى الله

الحديث بالفقه (٣٩٩) ، وشهد بخلافته في حديث أم حرام أن ناساً من أمته

عليه وآله وسلم ، فمن أبغضه فقد انكر ما جاء في السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حقه وطعن في ثناء الصحابة والتابعين عليه .
روى الحافظ ابن عساكر عن الإمام أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل :
انى أبغض معاوية . فقال له : ولم ؟ قال : لأنه قاتل علياً . فقال له أبو زرعة
ويحك ! ان رب معاوية رحيم ، وخصم معاوية خصم كريم ، فايش دخولك أنت
بينهما رضى الله عنهما .

وقبل أن ننهي الكلام على شهادات الصحابة والتابعين وآراء العلماء في
معاوية ننقل رأياً طريفاً للمؤرخ العلامة ابن خلدون في اعتبار معاوية من الخلفاء
الراشدين فقد قال :

ان دولة معاوية وأخباره كان ينبغي أن تلحق بدول الخلفاء الراشدين
وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحة (تاريخ ابن خلدون ٢/٤٥٨)
نذكر جميع هذه الشهادات ، وقبلها الأحاديث النبوية في فضل معاوية ،
مع اعترافنا يشهد الله بفضل عليّ ، وأنه أفضل منه والحق غالبه معه ، وكل
كان مجتهداً . وقد جاء في الحديث الصحيح « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله
أجران واذا اخطأ فله أجر ! رواه البخارى ومسلم رحمهما الله .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بعث الى معاوية ليكتب له ، فقال : انه يأكل ، ثم بعث اليه ، فقال : انه يأكل ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« لا أشبع الله بطنه » رواه أبو داود وسنده صحيح .

قد يستغل بعض الفرق هذا الحديث ليتخذوا منه مطعناً في معاوية
رضي الله عنه ، وليس فيه ما يساعدهم على ذلك ، كيف وفيه أنه كان كاتب النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ؟! فالظاهر أن هذا الدعاء منه صلى الله عليه وآله وسلم
وسلم غير مقصود ، بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية
كقوله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض نسائه : تربت يمينك . ويمكن أن
يكون ذلك منه صلى الله عليه وآله وسلم بباطل البشرية التي أفصح عنها هو
نفسه صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث كثيرة متواترة منها حديث عائشة
رضي الله عنها : « ... أو ما علمت ما شارطت عليه ربي ؟ قلت اللهم انما
انا بشر ، فأى المسلمين لعنته أو سببته ، فاجعله له زكاة وأجراً » رواه مسلم
(راجع الأحاديث الصحيحة ١/٩٥) . [٢]

(٣٩٩) في كتاب مناقب الصحابة من صحيح البخارى (ك ٦٢ ب ٢٨ ج ٤
ص ٢١٩) حديث ابن أبي مليكة أن ابن عباس قيل له : « هل لك في أمير المؤمنين
معاوية ، فإنه ما أوتر إلا بواحدة . فقال : انه فقيه » . وفي كتاب المناقب من
جامع الترمذى (ك ٤٦ ب ٤٧) حديث عبد الرحمن بن أبي عميرة المزنى عن

يركبون ثبج البحر الأخضر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة ،
وكان ذلك في ولايته (٤٠٠) .

النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لمعاوية « اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به (**) » . ورواه الطبراني من طريق سعيد بن عبد العزيز التنوخي - وكان لأهل الشام كالامام مالك لأهل المدينة - عن ربيعة بن يزيد الايدى أحد الأئمة الأعلام عن عبد الرحمن بن أبي عميرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاوية « اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب » . وأخرجه الامام البخارى فى التاريخ قال : قال لى أبو مسهر (وذكره بالنعنة **)) . وتقدم حديث عزل عمير بن سعد الانصارى عن ولاية حمص فى خلافة عمر وتوليتة معاوية والشهادة له بأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم دعا له بأن يهدى الله به . ورواه الامام أحمد من حديث العرباض بن سارية السلمى . ورواه ابن جرير من حديث ابن مهدي . ورواه اسد بن موسى وبشر السرى وعبد الله ابن صالح عن معاوية بن صالح باسناداه . وزاد فى رواية بشر بن السرى « وأدخله الجنة » . ورواه ابن عدى وغيره عن ابن عباس . ورواه محمد بن سعد بسنده الى مسلمة بن مخلد أحد فاتحي مصر وولاتها . ورواة هذا الدعاء النبوى لمعاوية من الصحابة اكثر من أن يحصوا . (وانظر البداية والنهاية ٨ : ١٢٠ - ١٢١ . وانظر ترجمة معاوية فى حرف الميم من تاريخ دمشق لابن عساکر) . ومن لم يصدق هذا الحديث فهو منكر لكل ما ثبت فى السنة من شريعة الاسلام . وفى الشيعة المفضين لمعاوية اللاعنين له من يزعمون أنهم منتسبون الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهل تراهم يحقدون على جدهم صلى الله عليه وآله وسلم لرضاه عن معاوية واستعانتة به ودعائه له ؟ « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » [نح] .

(٤٠٠) ام حرام بنت ملحان صحابية من الانصار من اهل قباء ، كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذا ذهب الى قباء استراح عندها ، وهى خالة خادمه انس ابن مالك . روى البخارى فى كتاب الجهاد من صحيحه (ك ٥٦ ب ٣ ج ٣ ص ٢٠١) ومسلم فى كتاب الامارة (ك ٣٣ ح ١٦٠) عن انس أن النبى صلى الله

(*) حسنه الترمذى وسنده صحيح كما قال محقق المشكاة . [م]

(**) ومعنى ذلك عدم صحة هذا الحديث . [م]

توضيح :

ليس معنى ذلك عدم صحة الحديث على الإطلاق !! فالصحيحين فيهما من ذلك شيء كثير . . . وأين هذه القاعدة من كتب مصطلح الحديث !! فمعلوم أن عنعنة الثقة تحمل على الاتصال ما لم يكن مدلساً . [س]

ويحتمل أن تكون مراتب في الولاية : خلافة ثم ملك (٤١) . فتكون ولاية الخلافة للأربعة ، وتكون ولاية الملك لابتداء معاوية (٤٢) . وقد قال الله في

عليه وآله وسلم نام عندها القيلولة ثم استيقظ وهو يضحك لأنه رأى ناساً من أمته غزاة في سبيل الله يركبون ثبج البحر - أى وسطه ومعظمه - ملوكاً على الأسرة . ثم وضع رأسه فنام واستيقظ وقد رأى مثل الرؤيا الأولى . فقالت له أم حرام : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال لها « أنت من الأولين » . قال الحافظ ابن كثير (٨ : ٢٢٩) يعنى جيش معاوية حين غزا قبرص ففتحها سنة ٢٧ أيام عثمان بن عفان (بقيادة معاوية ، عقب انشائه الأسطول الاسلامى الأول في التاريخ) . وكانت معهم أم حرام في صحبة زوجها عبادة ابن الصامت . ومعهم من الصحابة أبو الدرداء وأبو ذر وغيرهما . وماتت أم حرام في سبيل الله وقبرها بقبرص الى اليوم . قال ابن كثير : ثم كان أمير الجيش الثانى يزيد (**) بن معاوية في غزوة القسطنطينية . قال : وهذا من أعظم دلائل النبوة .

(٤١) عن سعيد بن جهمان عن سفينة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء » وقد حسن هذا الحديث . محقق مشكاة المصابيح . [٢]

(٤٢) الخلافة والملك والامارة عناوين اصطلاحية تتكيف في التاريخ باعتبار مدلولهن العملى ، والعبرة دائماً بسيرة المرء وعمله . ومعاوية قد ولى الشام للخلافة الراشدة مدة عشرين سنة ، ثم اضطلع بمهمة الاسلام كلها عشرين سنة أخرى في الوطن الاسلامى الأكبر بعد بيعته الحسن بن على له ، فكان في الحاليتين قوئاً بالعدل ، محسناً الى الناس من كل الطبقات ، يكرم أهل المواهب ويساعدهم على تنمية مواهبهم ، ويسع بحلمه جهل الجاهلين فيعالج بذلك نقائصهم ، ويلتزم في الجميع احكام الشريعة المحمدية بحزم ورفق ومثابرة وإيمان . يؤمهم في صلواتهم ، ويوجههم في مجتمعهم ومرافقهم ، ويقودهم في حروبهم . وفي منهاج السنة (٣ : ١٨٥) قول الصحابى الجليل أبى الدرداء لأهل الشام « ما رأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من امامكم هذا » يعنى معاوية . وقد رأيت قول الأعمش للذين ذكروا عنده عمر بن عبد العزيز وعدله : « كيف لو أدركتهم معاوية ؟ » قالوا : في حلمه ؟ قال : « لا والله ، بل في عدله » . وقد بلغ من

(**) وقد جاء في الحديث الصحيح الذى رواه البخارى عن أم حرام بشارة ليزيد بالجنة والمفكرة : « أول جيش من أمتى يركبون البحر أوجبوا . وأول جيش من أمتى يفزون مدينة قيصر مغفور له » .

ولا أدري كيف يعقل ان يقبل الصحابي الجليل ابو ايوب الانصارى وغيره من كبار الصحابة قيادة يزيد بن معاوية عليهم ، وهو على ما وصفه أعداء الاسلام من سوء السيرة . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا ! [٢]

استقامته على جادة الاسلام أن قال فيه أمثال قتادة ومجاهد وأبى اسحاق السبى - وكلهم من الأئمة الأعلام - : كان معاوية هو المهدي والذي يتبع سيرة معاوية في حكمه يرى أن حكومته في الشام كانت حكومة مثالية في العدل والتراحم والتآسي ، لم يخير بين الطيب والأطيب الا اختار الأطيب على الطيب . فاذا كان هذا المسلك في أربعين سنة يؤهل الامير المسلم للخلافة على المسلمين وقد ارتضوه لذلك واغبطوا به فهو خليفة ، ومن سماه ملكا لا يستطيع أن يكابر في أنه من أرحم ملوك الاسلام وأصلحهم . كنا أيام طلب العلم في القسطنطينية في مجلس للطلبة يتناقشون في موضوع سيرة معاوية وخلافته ، وكان ذلك في أيام السلطان عبد الحميد . فوقف صديقي الشهيد السعيد عبد الكريم قاسم الخليل - وكان شيعياً - فقال : « أنتم تسمون سلطاننا خليفة ، وأنا أخوكم الشيعي أعلن أن يزيد بن معاوية كان بسيرته الطيبة احق بالخلافة وأصدق عملاً بالشرع المحمدي من خليفتنا ، فكيف بأبيه معاوية » . على أن معاوية كان يقول عن نفسه - فيما رواه خيشمة عن هارون بن معروف عن ضمرة عن ابن شوذب - : « أنا أول الملوك وآخر خليفة » . وتقدم حديث معمر عن الزهري « ان معاوية عمل سنتين عمل عمر ما يخرم فيه » . وقد اشرنا هناك الى اختلاف البيئة وتأثيرها في أنظمة الحكم ، بل أن معاوية نفسه ذكر ذلك لعمر لما قدم عمر الشام وتلقاه معاوية في موكب عظيم فاستنكر عمر ذلك ، واعتذر له معاوية بقوله : « انا بارض جواسيس العدو فيها كثيرة ، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للاسلام وأهله ونرهبهم به » . فقال عبد الرحمن بن عوف لعمر : « ما أحسن ما صدر عما أوردته فيه يا أمير المؤمنين » فقال عمر : من أجل ذلك جشمناه ما جشمناه « (البداية والنهاية ٨ : ١٢٤ - ١٢٥) . وسيرة عمر التي حاول معاوية أن يسير عليها سنين كانت المثل الأعلى في بيته ، وكان يزيد يحدث نفسه بالتزامها . روى ابن أبي الدنيا عن أبي كريب محمد بن العلاء الهمداني الحافظ عن رشدين المصري عن عمرو بن الحارث الانصارى المصري عن بكر بن الأشج المخزومي المدني ثم المصري أن معاوية قال ليزيد : كيف تراك فاعلان وليت ؟ قال : كنت والله يا أبا عبد الله عاملهم عمل عمر بن الخطاب . فقال معاوية : سبحان الله يا بني ، والله لقد جهدت على سيرة عثمان فما أطقها ، فكيف بك وسيرة عمر (ابن كثير ٨ : ٢٢٩) . والذين لا يعرفون سيرة معاوية يستفربون

داود - وهو خير من معاوية (٤٠٣) - : « وآتاه الله الملك والحكمة »
(البقرة : ٢٥١) فجعل النبوة ملكا . فلا تلتفتوا إلى أحاديث ضعف سندها
[ومعناها] (٤٠٤) . .

ولو اقتضت الحال النظر في الأمور لكان - والله أعلم - رأى آخر

إذا قلت لهم : انه كان من الزاهدين والصفوة الصالحين . روى الامام احمد
في كتاب الزهد (ص ١٧٢ طبع مكة) عن ابي شبل محمد بن هارون عن حسن
ابن واقع عن ضمرة بن ربيعة القرشي عن علي بن ابي حملة عن ابيه قال : رايت
معاوية على المنبر بدمشق يخطب الناس وعليه ثوب مرقوع . وأخرج ابن كثير
(٨ : ١٣٤) عن يونس بن ميسر الحميري الزاهد (وهو من شيوخ الامام
الأوزاعي) قال : رايت معاوية في سوق دمشق ، وهو مردف وراءه وصيفا
وعليه قميص مرقوع الحبيب ، يسير في أسواق دمشق . وكان قواد معاوية
وكبار اصحابه يستهدونه ملابسه للتبرك بها ، فكان اذا حضر أحدهم الى المدينة
وعليه هذه الملابس يعرفونها ويتغالون في اقتنائها . روى الدارقطني عن محمد
ابن يحيى بن غسان أن القائد الشهر الضحاك بن قيس الفهري قدم المدينة ،
فأبى المسجد فصلى بين القبر والمنبر ، وعليه برد مرقع قد ارتدى به من
كسوة معاوية ، فرآه أبو الحسن البراد فعرف انه برد معاوية فساومه عليه
وهو يظنه أعرابيا من عامة الناس ، حتى رضى أبو الحسن البراد أن يدفع
له به ثلاثمائة دينار . فانطلق به الضحاك بن قيس الى بيت حويطب بن عبد
العزى فلبس رداء آخر وأعطى أبا الحسن البراد ذلك البرد بلا ثمن وقال له
« قبيح بالرجل أن يبيع عطافه ، فخذ فالبسه » فأخذه أبو الحسن فباعه
فكان أول مال أصابه (ابن عساكر ٧ : ص ٦) وقد أوردنا هذه الأمثلة ليعلم
الناس أن الصورة الحقيقية لمعاوية تخالف الصورة الكاذبة التي كان أعداؤه
يصورونه بها ، فمن شاء بعد هذا أن يسمى معاوية خليفة وأميرا للمؤمنين ،
فان سليمان بن مهران الأعمش - وهو من الأئمة الاعلام الحفاظ ، وكان يسمى
« المصحف » لصدقه - كاد يفضل معاوية على عمر بن عبد العزيز حتى في
عدله . ومن لم يملأ معاوية عينه وأراد أن يرضن عليه بهذا اللقب ، فان معاوية
مضى الى الله عز وجل بعدله وحلمه وجهاده وصالح عمله ، وكان وهو في دنيانا
لا يبالى أن يلقب بالخليفة أو الملك ، وانه في آخرته لأكثر زهدا بما كان يزهد
به في دنياه . [خ]

(٤٠٣) ان داود في نبوته - كما يعرفها المسلمون في دينهم - تجعله خيرا
من معاوية . وأما داود اليهود - كما يعرفه الناس من توراتهم الموجودة الآن
في الأيدي - فان معاوية خير منه . ومن شقاء اليهود الا يعرفوا للقرآن والاسلام
فضلهما عليهم في تنزيه انبياء بنى اسرائيل عما وصموا به في كتبهم . [خ]

(٤٠٤) كتب الشيخ محب الدين : « منتها » بدل : (معناها) . [س]

للجمهور ، ولكن انعقدت البيعة لمعاوية بالصفة التي شاءها الله ، على الوجه الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مادحاً له ، راضياً عنه ، راجياً هدنة الحال فيه ، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » (٤٠٦) .

وقد تكلم العلماء في إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه ، فليست المسألة في الحد الذي تجعله فيه العامة ، وقد بينها في موضعها (٤٠٧) .

(٤٠٦) قال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

فلما اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الحسن بالاصلاح وترك القتال دل على ان الاصلاح بين تلك الطائفتين كان أحب الى الله تعالى من فعله . فدل على ان القتال لم يكن مأموراً به ، ولو كان معاوية كافراً لم تكن تولية كافر وتسليم الأمر اليه مما يحبه الله ورسوله ، بل دل الحديث على أن معاوية واصحابه كانوا مؤمنين ، كما كان الحسن واصحابه مؤمنين ، وان الذي فعله الحسن كان محموداً عند الله تعالى ، محبوباً مرضياً له ولرسوله .

وهذا كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال : « تمرق مارقة على حين فرقة من الناس ، فتقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وفي لفظ : « فتقتلهم أدناهما الى الحق » فهذا الحديث الصحيح دليل على أن كلا الطائفتين المقتلتين - على واصحابه ، ومعاوية واصحابه - على حق ، وأن علياً واصحابه كانوا اقرب الى الحق من معاوية واصحابه (الفتاوى ٤ / ٤٦٦ - ٤٦٧) . [م]

(٤٠٧) أى من مؤلفاته الأخرى . وهذه المسألة من مسائل الفقه الاسلامي المحمدي ، المبينة أحكامها على النصوص والسنن والاسس الشرعية التي قام الدين على مثلها في باب جلب المصالح ودرء المفسد وتقدير الضرورات بأقدارها . والقاضي أبو الحسن الماوردي لم يذكر في الأحكام السلطانية (ص ٥) مخالفاً في جواز امامة المفضول الا الجاحظ ، وماذا يضر أئمة الدين اذا خالفهم الجاحظ ، وهل العباسيون الذين عرف الجاحظ بالتقرب اليهم في حياتهم كانوا أفضل معاصريهم ؟ أما جمهور الفقهاء والمتكلمين فقالوا تجوز امامة المفضول وصحت بيعته ، ولا يكون وجود الأفضل مانعاً من امامة المفضول اذا لم يكن مقصراً عن شروط الامامة ، كما يجوز - في ولاية القضاء - تقليد المفضول مع وجود الأفضل ، لأن زيادة الفضل مبالغة في الاختيار ، وليست معتبرة في شروط الاستحقاق . ونحيل القارئ على كتاب « الامامة والمفاضلة » لأبي محمد بن حزم المدرج في الجزء الرابع من كتابه « الفصل » ولاسيما الفصل المعقود فيه لامامة المفضول (ص ١٦٣ - ١٦٧ من طبعة مصر سنة ١٣٢٠) . [خ]

فإن قيل : فقد قتل حجر بن عدي - وهو من الصحابة مشهور بالخير - صبراً أسيراً بقول زياد ، وبعثت إليه عائشة في أمره فوجدته قد فات بقتله . قلنا : [قد] علمنا قتل حجر كلنا ، واختلفنا : فقائل يقول قتله ظلماً ، وقائل يقول قتله حقاً (٤٠٨) .

فإن قيل : الأصل قتله ظلماً إلا إذا ثبت عليه ما يوجب قتله . قلنا : الأصل أن قتل الامام بالحق ، فمن ادعى أنه بالظلم فعليه الدليل . ولو كان ظلماً محضاً لما بقي بيت إلا لعن فيه معاوية . وهذه مدينة السلام دار خلافة بني العباس - وبينهم وبين بني أمية ما لا يخفى على الناس - مكتوب على أبواب مساجدها : « خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(٤٠٨) حجر بن عدي الكندي عده البخاري وآخرون من التابعين ، وعده البعض الآخر من الصحابة ، وكان من شيعة علي في الجمل وصفين . وروى ابن سيرين أن زياداً - وهو أمير الكوفة - خطب خطبة أطال فيها ، فنادى حجر ابن عدي « الصلاة ! » فمضى زياد في خطبته ، فحصبه حجر وحصبه آخرون معه . فكتب زياد الى معاوية يشكو بغي حجر على أميره في بيت الله ، وعد ذلك من الفساد في الأرض . فكتب معاوية الى زياد أن سرح به الى . . فلما جرى به الى معاوية أمر بقتله . فالذين يرون أن معاوية قتله بحق يقولون : ما من حكومة في الدنيا تعاقب بأقل من ذلك من يحصب أميره وهو قائم يخطب على المنبر في المسجد الجامع ، مندفعاً بعاطفة الحزبية والتشيع . والذين يعارضونهم يذكرون فضائل حجر ويقولون كان ينبغي لمعاوية أن لا يخرج عن سجيته من الحلم وسعة الصدر لمخالفه . ويجيبهم الآخرون بأن معاوية يملك الحلم وسعة الصدر عند البغي عليه في شخصه ، فأما البغي على الجماعة في شخص حاكمها وهو على منبر المسجد فهو ما لا يملك معاوية أن يتسامح فيه ، ولا سيما في مثل الكوفة التي أخرجت العدد الأكبر من أهل الفتنة الذين بغوا على عثمان بسبب مثل هذا التسامح ، فكبدوا الأمة من دماؤها وسمعتها وسلامة قلوبها ومواقف جهادها تضحيات غالية كانت في غنى عنها لو أن هيبة الدولة حفظت بتأديب عدد قليل من أهل الرعونة والطيش في الوقت المناسب . وكما كانت عائشة تود لو أن معاوية شمل حجراً بسعة صدره ، فإن عبد الله ابن عمر كان يتمنى مثل ذلك . والواقع أن معاوية كان فيه من حلم عثمان وسجاياه ، إلا أنه في مواقف الحكم كان يتبصر في عاقبة عثمان وما جر إليه تمادي الذين اجتروا عليه . [خ]

أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ثم معاوية خال المؤمنين رضى الله عنهم » (٤٠٩) .

ولكن حجراً - فيما يقال (رأى من زياد أموراً منكراً (٤١٠) ، فحصبه ، وخلعه ، وأراد أن يقيم الخلق للفتنة ، فجعله معاوية ممن سعى في الأرض فساداً .

وقد كلمته عائشة في أمره حين حج ، فقال لها : دعيني وحجراً حتى نلتقي عند الله . وأنتم معشر المسلمين أولى أن تدعوها حتى يقفا بين يدي الله مع صاحبهما العدل الأمين المصطفى المكين ، وأنتم (٤١١) ودخولكم حيث لا تشعرون ، فما لكم لا تسمعون (٤١٢) ؟

فإن قيل : قد دس على الحسن من سمه .

(٤٠٩) المؤلف أقام في بغداد زمن الدولة العباسية كما ذكرنا في ترجمته ، فهو يعرف مساجدها معرفة مشاهدة وعيان . ومعاوية خال المؤمنين لأنه أخو أم المؤمنين رمة بنت أبي سفيان المشتهرة بكينيتها (أم حبيبة) . [خ] (٤١٠) كان زياد في خلافة علي والياً من ولاته ، وكان حجر بن عدى من أولياء زياد وأنصاره . ولم يكن ينكر عليه شيئاً . فلما صار من ولاة معاوية صار ينكر عليه مدفوعاً بعاطفة الحزب والتشيع . وكان حجر يفعل مثل ذلك مع من تولى الكوفة لمعاوية قبل زياد ، فلمعاوية عذر إذا رأى أن حجراً ممن سعى في الأرض فساداً . [خ]

(٤١١) كذا في جميع النسخ واقتراح الشيخ ابن باديس أن يكون : وما أنتم . [س] (٤١٢) ومن الانتقادات التي يوجهونها إلى معاوية رضى الله عنه لعن على رضى الله عنه على المنابر .

قال المؤرخ عبد الوهاب النجار في كتابه « الخلفاء الراشدون » ص ٤٣٨ ولم يذكر المصدر وذلك بعدما علم على نتيجة التحكيم : « .. فكان إذا صلى صلاة الصبح يقنت فيقول : اللهم العن معاوية وعمرأ » .

وبإزاء هذا القنوت أقول : إن علياً رحمه الله قد سن لخصومه أن يقابلوه بمثل عمله ، ويتخذوا من لعنه نوعاً من العبادة في أعقاب الصلوات ، فكان معاوية إذا خطب سب علياً ... وصار ذلك سنة في بنى أمية إلى زمن عمر ابن عبد العزيز .

والعهدة في هذا الخبر على الراوى الذي لا علم لنا بمبلغ صحته ، ولا نظنه يصح والله أعلم . [م]

قلنا : هذا محال من وجهين : أحدهما أنه ما كان ليتقى من الحسن بأساً وقد سلم الأمر . الثاني أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله فكيف تحملونه - بغير بينة - على أحد من خلقه في زمان متناهد لم تثق فيه بنقل ناقل ، بين أيدي قوم ذوى أهواء ، وفي حال فتنة وعصية ، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي ، فلا يقبل منها إلا الصافي ، ولا يسمع فيها إلا من العدل النصيم (٤١٣) .

فإن قيل : فقد عهد إلى يزيد وليس بأهل (٤١٤) ، (٤١٥) . وجري بينه

(٤١٣) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢ : ٢٢٥) فيما تزعمه الشيعة من أن معاوية سم الحسن : « لم يثبت ذلك بينة شرعية ، ولا أقرار معتبر ، ولا نقل يجزم به . وهذا مما لا يمكن العلم به ، فالقول به قول بلا علم » . قال : « وقد رأينا في زماننا من يقال عنه سم ومات مسموماً من الأتراك وغيرهم . ويختلف الناس في ذلك حتى في نفس الموضع الذي مات فيه والقلعة التي مات فيها ، فتجد كلا منهم يحدث بالشئ بخلاف ما يحدث به الآخر » . وبعد أن ذكر ابن تيمية أن الحسن مات يحدث بالشئ بخلاف ما يحدث به الآخر . وبعد أن ذكر ابن تيمية أن الحسن مات بالمدينة وأن معاوية كان بالشام ، ذكر للخبر احتمالات - على فرض صحته - منها أن الحسن كان مطلقاً لا يدوم مع امرأة ... الخ . [خ]

(٤١٤) أن كان مقياس الأهلية لذلك أن يبلغ مبلغ أبي بكر وعمر في مجموع سجاياهما ، فهذا ما لم يبلغه في تاريخ الاسلام ، ولا عمر بن عبد العزيز . وإن طمعنا بالمستحيل وقدرنا امكان ظهور أبي بكر وعمر آخر فإذن تناح له بيئة كالبيئة التي أتاحها الله لأبي بكر وعمر . وإن كان مقياس الأهلية الاستقامة في السيرة ، والقيام بحرمة الشريعة ، والعمل بأحكامها ، والعدل في الناس ، والنظر في مصالحهم ، والجهاد في عدوهم ، وتوسيع الآفاق لدعوتهم ، والرفق بأفرادهم وجماعاتهم ، فإن يزيد يوم تمحص أخباره ، ويقف الناس على حقيقة حاله كما كان في حياته ، يتبين من ذلك أنه لم يكن دون كثيرين ممن تفنى التاريخ بمحامدهم ، وأجزل الثناء عليهم . [خ]

(٤١٥) تصدى في العصر الحديث للدفاع عن يزيد استاذ في جامعة القاهرة هو الدكتور ابراهيم العدوي خريج جامعة ليفربول ، فيقول في كتابه : (الأمويون والبنزنطيون) : (البحر المتوسط بحيرة اسلامية) ناقضاً بذلك الشائعات الكاذبة المتواترة التي سممت وتسمم العقول البريئة . « وبذل معاوية جهوداً عظيمة لاعداد القوات الاسلامية التي رغب في ارسالها (الى القسطنطينية) فجعل على رأس هذه الحملة ابنه وولى عهده يزيد » .

وبين عبد الله ابن عمر وابن الزبير والحسين ما نصه عن وهب (٤١٦) بن جرير ابن حازم عن أبيه وعن غيره : لما أجمع معاوية أن يبايع لابنه يزيد حج ، فقدم مكة في نحو ألف رجل . فلما دنا من المدينة خرج ابن عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر . فلما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه . ثم ذكر ابنه يزيد فقال : من أحق بهذا الأمر منه (٤١٧) . ثم ارتحل ،

واستهدف معاوية من وراء ذلك اعطاء ابنه فرصة يعلى فيها من ذكره واسمه في ميدان الجهاد ضد البيزنطيين ، وليرد بذلك على الأشخاص الذين أبدوا امتعاضهم من يزيد والمحاولات التي بذلها أبوه لاختد البيعة له بالخلافة من بعده ، إذ صورت الدعايات المعادية لبني أمية شخصية يزيد بحبها للمجون والخلاعة ، وعدم أهليتها لتصريف شؤون المسلمين . ومن ثم كان ميدان القسطنطينية خير مجال يدحض فيه يزيد افتراءات منافسيه وأعدائه ويعلن عن مواهبه الحربية وما اتصف به من شجاعة وإقدام . وعلى ضفاف البوسفور انضم يزيد الى القوات ، وعبر مياه هذا المضيق الى الشاطئ الأوربي وحقق لجنده سبقهم على أقرانهم من جند الاسلام في مشاهدة القسطنطينية ، والوقوف امامها ، يدقونها بالآلهم الحربية ويعملون على تخريبها أو احداث ثغرات فيها .

وأظهر يزيد في هذا الحصار من ضروب الشجاعة والبسالة ما أكسبه لقب : (فتى العرب) ودونت المراجع سيرته وأعماله في هذا النضال . وأشاد الدكتور ابراهيم بمعاوية رضى الله عنه فقال :

بإستيلاء المسلمين على الشام ومصر ، فتحت صفحة جديدة في تاريخ البحر المتوسط دون سطورها الاولى معاوية بن أبي سفيان بمداد الجهاد وملاً بأخبار عظمة الأول في رسم سياسة المسلمين ازاء البحر المتوسط منذ زمن مبكر ، وحل المشكلة البحرية التي اعترضتهم . [٢]

(٤١٦) وكتبها الشيخ محب الخطيب [ما قصه (المؤرخون) عن وهب] !! . [س] (٤١٧) شباب قریش المصارعون ليزيد - ممن يحدثون أنفسهم بولاية الأمر لبعض الاعتبارات التي يعرفونها لأنفسهم - كثيرون جداً ، حتى سعيد بن عثمان ابن عفان ومن هم دون سعيد كانوا يطمعون بولاية الأمر بعد معاوية . ومبدأ الشورى في انتخاب الخليفة أفضل بكثير من مبدأ ولاية العهد . لكن معاوية كان يعلم بينه وبين نفسه أن فتح باب الشورى في انتخاب من يخلفه سيحدث في الأمة الاسلامية مجزرة لا ترقأ فيها الدماء الا بفناء كل ذى أهلية في قریش لولاية شيء من أمور هذه الأمة . ومعاوية أحصى من أن يخفى عليه أن المزايا موزعة بين هؤلاء الشباب القرشيين ، فإذا امتاز أحدهم بشيء منها على أضرابه ولداته ، فإن فيهم من يمتاز عليه بشيء آخر منها . غير أن يزيد - مع مشاركته

فقدم مكة فقضى طوافه ، ودخل منزله ، فبعث إلى ابن عمر ، فتشهد وقال :
 أما بعد يا ابن عمر ، فقد كنت تحدثني انك لا تحب أن تبيت ليلة سوداء ليس
 عليك أمير . وإنني أحذرك أن تشق عصا المسلمين ، وأن تسعى في فساد ذات
 بينهم) . فلما سكنت تكلم ابن عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد
 فإنه قد كانت قبلك خلفاء لهم أبناء ليس ابنك بخير منهم ، فلم يروا في أبنائهم
 ما رأيت في ابنك ، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار ، وإنك
 تحذرني أن أشق عصا المسلمين ، ولم أكن لأفعل ، وإنما أنا رجل من
 المسلمين ، فإذا اجتمعوا على أمر فإنما أنا واحد منهم « فخرج ابن عمر (٤١٨) .
 وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، فتشهد ثم أخذ في الكلام ،

لبعضهم في بعض ما يمتازون به — يمتاز عليهم بأعظم ما تحتاج إليه الدولة ،
 أعني القوة العسكرية التي تؤيده في تولى الخلافة ، فتكون قوة للإسلام . كما
 يؤيده إذا وقع الشيطان الفتنة على هذا الكرسي بين المتزاحمين عليه ، فيكون
 ما لا يجب كل مسلم أن يكون . ولو لم يكن ليزيد إلا أخواله من قضاة وأحلافهم
 من قبائل اليمن ، لكان منهم ما لا يجوز لبعيد النظر أن يسقطه من قائمة
 الحساب عندما يفكر في هذه الأمور . أضف إلى هذا ما قرره ابن خلدون عند
 كلامه على مسير الحسين إلى العراق للخروج على يزيد حيث قال في فصل
 « ولاية العهد » من مقدمة تاريخه : « وأما الشوكة ، فقلط يرحمه الله فيها ،
 لأن عصبية مضر كانت في قريش ، وعصبية قريش في عبد مناف ، وعصبية
 عبد مناف إنما كانت في بني أمية ، تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا
 ينكرونه ، وإنما نسي ذلك أول الإسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق
 وأمر الوحي ... حتى إذا انقطع أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم
 بعض الشيء للعوائد ، فعادت العصبية كما كانت ولمن كانت ، وأصبحت مضر
 أطوع لبني أمية من سواهم (❖) » . [خ]

(٤١٨) هذا الخبر معارض بما في كتاب المفازي من صحيح البخاري
 (ك ٦٤ ب ٢٩ ج ٥ ص ٤٨) عن ابن عمر أن اخته أم المؤمنين حفصة نصحت
 له بأن يسرع بالذهاب للبيعة وقالت : « الحق ، فإنهم ينتظرونك ، وأخشى
 أن يكون في احتباسك عنهم فرقة » . [خ]
 وانظر ص ١٦٦ .

(❖) ان هذه الحجة لابن خلدون متهافة ، فإن الإسلام في عهد معاوية كان
 قوياً عزيزاً . ويظهر بطلانها استلام العباسيين الهاشمين للحكم أكثر من
 خمسة قرون ، بينما لم يستطع الأمويون الاحتفاظ به قرناً واحداً !! [م]

فقطعه عليه كلامه ، فقال : « إنك والله لوددت أنا وكلناك في أمر ابنك إلى الله . وإنا والله لا تفعل . والله لتردن هذا الأمر شورى في المسلمين أو لتفرنها عليك جذعة (٤١٩) » ثم وثب فقام . فقال معاوية : « اللهم اكفينيه (٤٢٠) بما شئت » . ثم قال : « على رسلك أيها الرجل ، لا تشرفن لأهل الشام ، فأني أخاف أن يسبقوني بنفسك ، حتى أخبر العشيّة نك قد بايعت ، ثم كن بعد ذلك على ما بدا لك من أمرك » .

ثم أرسل إلى ابن الزبير فقال : « يا ابن الزبير ، إنما أنت ثعلب رواغ كلما خرج من جحر دخل في آخر ، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين فتفخت في مناخرهما » . فقال ابن الزبير : « إن كنت قد مللت الامارة فاعتزلها ، وهلم ابنك فلنبايعه . أرأيت إذا [بايعت] ابنك معك لأيكما نسمع ، لأيكما نطيع ؟ لا تجتمع البيعة لكما أبداً (٤٢١) » ثم قام .

فخرج معاوية فصعد المنبر فقال : إنا وجدنا أحاديث الناس ذوات عوار . زعموا أن ابن عمر وابن الزبير وابن أبي بكر لم يبايعوا يزيد ، قد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له .

فقال أهل الشام : لا والله ، لا نرضى حتى يبايعوا على رؤوس الأشهاد ، وإلا ضربنا أعناقهم .

فقال : سبحان الله ، ما أسرع الناس إلى قریش بالشر لا أسمع هذه المقالة من أحد بعد اليوم ، ثم نزل .

فقال الناس : بايعوا . ويقولون هم : لم نبايع . ويقول الناس : قد بايعتم . وروى وهب من طريق أخرى قال : خطب معاوية فذكر ابن عمر فقال : « والله ليبايعن أو لأقتلنه » . فخرج عبد الله بن عبد الله بن عمر إلى أبيه

(٤١٩) أى لتكشفن عليك الفتنة في أشد حالاتها ، ويلاحظ أن الذين انحلوا هذه الأقوال في الاستطالة على معاوية لم يطعنوا في كفاءة يزيد وأهليته لأنها آخر ما يرتابون فيه .

(٤٢٠) ب ، ج ، د ، هـ : اكفنه . [س]

(٤٢١) ابن الزبير أذكى من أن نفوته أن البيعة ليزيد بعد معاوية ، وليست لهما معاً في حياة معاوية . والذين اخترعوا هذه الأخبار وأضافوها إلى وهب ابن جرير بن حازم يكذبون كذباً مفضوحاً .

وسار إلى مكة ثلاثاً وأخبره (٤٢٣) ، فبكى ابن عمر ، فبلغ الخبر إلى عبد الله ابن صفوان ، فدخل على ابن عمر فقال : أخطب هذا بكذا ؟ قال : نعم . قال : فما تريد ، أتريد قتاله ؟ قال : يا ابن صفوان ، الصبر خير من ذلك . فقال ابن صفوان : والله [لئن] أراد ذلك لأقاتلنه (٤٢٣) . فقدم معاوية مكة فنزل ذا طوى ، وخرج إليه عبد الله بن صفوان فقال : أنت تزعم أنك تقتل ابن عمر إن لم يبايع لابنك ؟ قال : أنا أقتل ابن عمر ؟ إني والله لا أقتله .

وروى وهب من طريق ثالث (٤٢٤) قال : إن معاوية لما راح عن بطن مرّ قاصداً إلى مكة قال لصاحب حرسه : لا تدع أحداً يسير معي إلا من حملته . فخرج يسير وحده ، حتى إذا كان وسط الأراك لقيه الحسين بن علي ، فوقف وقال : مرحباً وأهلاً بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد شباب المسلمين . دابة لأبي عبد الله يركبها . فأتى بيرذون ، فتحول عليه . ثم طلع عبد الرحمن بن أبي بكر (٤٢٥) ، فقال مرحباً بابن شيخ قريش وسيدهم

(٤٢٢) هذا الخبر عن وهب بن جرير بن حازم يشمر بأن معاوية خطب هذه الخطبة وهو في المدينة قادماً إليها من دمشق قبل أن يصل إلى مكة ، وإن ابن عمر كان يومئذ في مكة فركب إليه ابنه حتى لقيه بمكة وأخبره بهذه الخطبة . وفي الخبر الذي قبل هذا - وهو مروى عن وهب بن جرير بن حازم أيضاً - التصريح بأن ابن عمر كان بالمدينة عند وصول معاوية إليها من دمشق ، وأنه كان مع الأعيان الذين خرجوا لاستقباله . فالخبران متناقضان يكذب أحدهما الآخر مع أنهما عن راو واحد . ولا أدري من أين جاء بهما المؤلف ، ولم ينقلهما الطبري مع أنه يعتنى بأخبار وهب بن جرير لأنه ثقة ، وهب مات سنة ٢٠٦ وأبوه مات سنة ١٧٠ بعد أن اختلط ، فبينهما وبين هذه الحوادث رواية آخرون ، وبينهما وبين الطبري وغيره من المؤرخين رواية كثيرون . واعتقد أن هذه الأخبار غير صحيحة لتناقضها ، ولو عرفنا روايتها إلى وهب وبعد وهب لعرفنا من أين جاء الكذب . [خ]

(٤٢٣) عبد الله بن صفوان حفيد أمية بن خلف الجمحي . قتل مع ابن الزبير سنة ٧٣ .

(٤٢٤) وهذا الخبر أيضاً ليس عند الطبري ، واطنه مصنوعاً في المصنع الذي خرج منه الخبران السابقان .

(٤٢٥) نحن نعلم من الخبر الأول عن وهب نفسه أن عبد الرحمن بن أبي بكر كان في المدينة ، وكان في الذين استقبلوا معاوية عند وصوله إليها من دمشق ، فما الذي طار به إلى مكة حتى صار في مستقبل معاوية عند وصوله إليها ؟ حقاً أن الذين يكذبون على معاوية أغبياء لا يجيدون ولا صناعة الكذب .

وابن صديق هذه الأمة . دابة لأبى محمد يركبها . فأنى يبرذون فركبه . ثم طلع ابن عمر فقال : مرحباً وأهلاً بصاحب رسول الله وابن الفاروق وسيد المسلمين ، ودعا له بدابة فركبها . ثم طلع ابن الزبير فقال : مرحباً وأهلاً بابن حواري رسول الله وابن الصديق وابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ودعا له بدابة فركبها . ثم أقبل يسير بينهم لا يسايره غيرهم حتى دخل مكة ، ثم كانوا أول داخل وآخر خارج ليس في الأرض صباح إلا لهم فيه جباء وكرامة ، ولا يعرض لهم بذكر شيء مما هو فيه حتى قضى نسكه وترحلت أنثاله وقرب مسيره إلى الشام وأنيخت رواحله ، فأقبل بعض القوم على بعض فقالوا : أيها القوم لا تخذعوا ، إنه والله ما صنع هذا لحبكم ولا لكرامتكم ولا صنعه إلا لما يريد ، فأعدوا له جواباً . وأقبلوا على الحسين فقالوا : أنت يا أبا عبد الله . قال : وفيكم شيخ قريش وسيدها ؟ [وهو] أحق بالكلام . فقالوا : أنت يا أبا محمد — لعبد الرحمن بن أبي بكر — فقال : لست هناك ، وفيكم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن سيد المسلمين — يعنى ابن على — فقالوا لابن عمر : أنت ! فقال : لست بصاحبكم ، ولكن ولوا (٤٢٦) الكلام ابن الزبير يكفكم . قالوا : أنت يا ابن الزبير . قال : نعم ، إن أعطيتموني عهدكم ومواثيقكم أن لا تخالفوني كفيتمكم الرجل . فقالوا فلك ذلك . فخرج الاذن ، فأذن لهم . فدخلوا .

فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لقد علمتم سيرتى فيكم ، وصلتي لأرحامكم ، وصفحى عنكم ، وحملنى لما يكون منكم ، ويزيد ابن أمير المؤمنين أخوكم وابن عمكم وأحسن الناس لكم رأياً . وإنما أردت أن تقدّموه باسم الخلافة وتكونوا أنتم الذين تنزعون وتؤمرون وتجبون وتقسون لا يدخل عليكم في شيء من ذلك .

فسكت القوم . فقال : ألا تجيبونى ؟ فسكت القوم . فقال : ألا تجيبونى . فسكتوا . فأقبل على ابن الزبير فقال : هات يا ابن الزبير ، فانك لعمرى صاحب خطبة القوم . فقال : نعم يا أمير المؤمنين أخيرك بين ثلاث خصال أيها أخذت فهي لك رغبة . قال : لله أبوك ، اعرضهن . قال : إن شئت صنعت

(٤٢٦) . وكتبها الشيخ محب الخطيب : أولوا . [س]

ما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن شئت صنعت ما صنع أبو بكر فهو خير هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن شئت صنعت ما صنع عمر فهو خير هذه الأمة بعد أبي بكر . قال : الله أبوك ، ما صنعوا ؟ قال : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يستخلف أحداً ، فارتضى المسلمون أبا بكر . فإن شئت أن تدع أمر هذه الأمة حتى يقضى الله فيه قضاء فيختار المسلمون لأنفسهم . فقال : إليه ، ليس فيكم اليوم مثل أبي بكر ، وإني لا آمن عليكم الاختلاف . قال : فاصنع كما صنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصبة قریش ليس من بنى أبيه فاستخلفه . قال : الله أبوك . الثالثة ؟ قال : تصنع ما صنع عمر ، جعل الأمر شورى في ستة نفر من قریش ليس أحد منهم من ولد أبيه . قال : [هل] عندك غير هذا ؟ قال : لا . قال : فأتتم ؟ قالوا : ونحن أيضاً . قال : أما لا ، فإني أحببت أن أتقدم إليكم ، إنه قد أعذر من أنذر ، وإنه قد كان يقوم القائم منكم إلى فيكنبنى على رؤوس الناس فأحتمل له ذلك . وإني قائم بمقالة ، فإن صدقت فلى صدقي وإن كذبت فعلى كذبي . وإني أقسم بالله لكم لئن رد على إنسان منكم لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إلى رأسه . ثم دعا بصاحب حرسه فقال : أقم على كل رجل من هؤلاء رجلين من حرسك ، فإن ذهب رجل يرد على كلمة بصدق أو كذب فليضرباه بسيفيهما (٤٢٧) .

ثم خرج وخرجوا معه ، حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا يستبد بأمر دونهم ، ولا يقضى أمراً إلا عن مشورتهم . وانهم قد ارتضوا وبايعوا ليزيد ابن أمير المؤمنين من بعده ، فبايعوا باسم الله . فضربوا على يده ، ثم جلس على راحلته وانصرف . فلقبهم الناس فقالوا : زعمتم وزعمتم ، فلما أرضيتم وحييتم فعلتم . قالوا : إنا والله ما فعلنا . قال : فما منكم أن ترددوا على الرجل إذ كذب ؟ ثم بايع أهل المدينة والناس : ثم خرج إلى الشام .

(٤٢٧) . اورد المؤلف هذه الاخبار المفضوح كذبها ليعارضها في الصفحات التالية ان شاء الله بحديث البخارى عن الموقف السليم لابن عمر في هذا الحادث حتى يعلم الناس ان الحق في واد وهؤلاء الرواة الكاذبين في واد غيره .

قال القاضي أبو بكر (رضي الله عنه) : لسنا ننكر ، ولا [تبلغ] بنا
الجهالة ، ولا لنا في الحق حمية جاهلية ، ولا تنطوي على غل لأحد من أصحاب
محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، بل نقول « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف
رحيم » إلا أنا نقول : إن معاوية ترك الأفضل في أن يجعلها شوري ، وألا
يخص بها أحداً من قرابته فكيف ولدأ (٤٢٨) ، وإن يقتدى بما أشار به
عبد الله بن الزبير في الترك أو الفعل (٤٢٩) ، فعدل إلى ولاية ابنه وعقد له

(٤٢٨) قال الامام ابن خلدون :

... والذي دعا معاوية رضي الله تعالى عنه لا يثار ابنه يزيد بالعهد دون
سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل
والعقد عليه حينئذ من بنى أمية ، اذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم ، وهم
عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل القلب منهم . فآثره بذلك دون غيره
ممن يظن أنه أولى بها .

وعدل عن الفاضل الى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الاهواء
الذي شأنه اهم عند الشارع ، وإن كان لا يظن بمعاوية غير هذا لعدالته .
وصحبته مانعة من سوى ذلك وحضور اكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه
دليل على انتفاء الريب فيه ، فليسوا مما يأخذهم في الحق هوادة .

وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق ، فانهم كلهم أجل ممن
ذلك . وعدالتهم مانعة منه .

ثم قال : ابن خلدون بعد كلام طويل :

أفلا ترى الى المأمون لما عهد الى علي بن موسى بن جعفر الصادق ، وسماه
الرضا ، كيف انكرت العباسية ذلك ، وتقضوا بيعته وبايعوا عمه ابراهيم
ابن المهدي ، وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار
والخوارج ما كاد يسطلم الأمر حتى بادر المأمون من خراسان الى بغداد ورد
أمرهم لمعاهدة .. (المقدمة : مبحث ولاية العهد باختصار) . [٢]

(٤٢٩) كان معاوية اعرف بابن الزبير من ابن الزبير بنفسه ، روى البلاذري
في انساب الاشراف (٤ « ٢ » : ٥٣ - ٥٤) عن المدائني عن مسلمة بن علقمة
عن خالد عن أبي قلابة أن معاوية قال لابن الزبير : « ان الشح والحرص لن
يدعاك حتى يدخلاك مدخلا ضيقاً ، فوددت اني حينئذ عندك فاستنقذك » .
فلما حضر ابن الزبير قال : « هذا ما قال لي معاوية ، وددت انه كان حياً » . [خ]

البيعة وبايعه الناس ، وتخلف عنها من تخلف (٤٢٠) ، فانهقدت البيعة شرعا ،
لأنها نعتقد بواحد وقيل باثنين .

فإن قيل : لمن فيه شروط الامامة . قلنا : ليس السن [في] شروطها ،
ولم يثبت أنه يقصر يزيد عنها .

(فإن) قيل : كان منها العدالة والعلم ، ولم يكن يزيد عدلا ولا علما .
قلنا : وبأى شيء نعلم عدم علمه أو عدم عدالته (٤٢١) ؟ ولو كان سلوكيهما لذكر
ذلك الثلاثة الفضلاء الذين أشاروا عليه [بأن] لا يفعل ، وإنما رموا إلى
الامر بعيب التحكم ، وأرادوا أن تكون شورى .

فإن قيل : كان هنالك من هو أحق منه عدالة وعلما ، منهم مائة وربما
ألف . قلنا : إمامة المفضل — كما قدمنا — مسألة خلاف بين العلماء ،
[على] ذكر العلماء في موضعه .

وقد حسم البخارى الباب ، ونهج جادة الصواب ، فروى في صحيحه
ما ييطل جميع هذا المتقدم ، وهو أن معاوية خطب وابن عمر حاضر في خطبته ،
فيما رواه البخارى عن عكرمة بن خالد أن ابن عمر قال : دخلت على
حفصة ونوساتها تنطف (٤٢٤) . قلت : قد كان من الأمر ما ترين ، فلم يجعل

(٤٣٠) عدل عن الوجه الأفضل لما كان يتوجس من الفتن والمجازر اذا جعلها
شورى ، وقد رأى القوة والطاعة والنظام والاستقرار في الجانب الذى فيه
ابنه . [خ]

(٤٣١) أما عن العدالة فقد شهد له محمد بن على بن أبى طالب في مناقشته
لابن مطيع عند قيام الثورة على يزيد في المدينة فقال عن يزيد : « ما رأيت منه
ما تذكرون . وقد حضرته وأقيمت عنده فرأيتته مواظبا على الصلاة ، متحريرا
للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازما للسنة » (ابن كثير ٨ : ٢٣٣) . وأما عن
العلم فما يلزم منه لثله في مثل مركزه كان فيه موضع الرضا وفوق الرضا .
روى المدائنى أن ابن عباس وفد الى معاوية بعد وفاة الحسن بن على ، فدخل
يزيد على ابن عباس وجلس منه مجلس المعزى ، فلما نهض يزيد من عنده قال
ابن عباس : اذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس (ابن كثير ٨ : ٢٢٨) . [خ]
(٤٣٤) أى وذوائبها تنظر ماء ، سمي الذوائب « نوسات » لأنها تنوس ،
أى تتحرك . [خ]

لى من الأمر شيء . فقالت : « الحق ، فإنهم ينتظرونك ، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة » . فلم تدعه حتى ذهب . فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه ، فلنحن أحق به منه ومن أبيه . قال حبيب بن مسلمة (٤٣٥) : فهلا أجبتنه ؟ قال عبد الله : فحللت جبوتي ، وهممت أن أقول : أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام ، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم وتحمل عني غير ذلك ، فذكرت ما أعاد الله في الجنان . فقال حبيب : حفظت وعصمت .

وروى البخارى (٤٣٦) أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده وقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة » وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله (٤٣٧) ، وإني لا أعلم غدرأ أعظم من أن نبايع رجلا على

(٤٣٥) حبيب بن مسلمة الفهرى مكي كان عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم صبياً ، ثم التحق بالشام للجهاد ، فاشتهرت بطولته ، وبعداً فاتح أرمينية ، ويقال انه كان قائد النجدة التي خرجت من الشام لانتقاد عثمان من أيدى البغاة عليه ، فجاءها الخبر بشهادته وهى في الطريق فعادت . [خ]

(٤٣٦) في كتاب الفتن من صحيحه (ك ٩٢ ب ٢١ ج ٨ ص ٩٩) [خ]

(٤٣٧) وهذا الخبر المنير الذى يرويه البخارى في صحيحه يفضح الذين زوروا على وهب بن جرير تلك الاخبار المتناقضة بأن ابن عمر وغيره لم يبايعوا ليزيد ، وأن معاوية أقام على رؤوسهم من يقطعها اذا كذبوه فيما افتراه عليهم من أنهم بايعوا لابنه . فتبين الآن انه لم يفتروا عليهم ، وهذا ابن عمر يعلن في اخرج المواقف - اى في ثورة اهل المدينة على يزيد بتحريض ابن الزبير وداعيته ابن مطيع - ان في عنقه كما في اعناقهم بيعة شرعية لامامهم على بيع الله ورسوله ، وأن من أعظم الغدر أن تبايع الأمة امامها ثم تنصب له القتال . ولم يكتف ابن عمر بذلك في تلك الثورة على يزيد بل روى مسلم في كتاب الامارة من صحيحه (ك ٣٣ ح ٥٨ ج ٦ ص ٢٢) أن ابن عمر جاء الى ابن مطيع داعية ابن الزبير ومثير هذه الثورة فقال ابن مطيع : اطرحوا لأبى عبد الرحمن وسادة . فقال ابن عمر : انى لم آتلك لأجلس ، أتيتك لأحدثك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من خلع يدا من طاعة ، لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » (*) وكان

(*) رواه مسلم رحمه الله .

بيع الله ورسوله ثم نصب له القتال . وإنى لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كنت الفصيل بيني وبينه .

فانظروا معشر المسلمين إلى ما روى البخارى في الصحيح ، وإلى ما سبق ذكرنا له [من] رواية بعضهم أن عبد الله بن عمر لم يبايع ، وأن معاوية كذب وقال قد بايع ، وتقدم إلى حرسه يأمره بضرب عنقه إن كذبه . وهو قد قال في رواية البخارى : « قد بايعناه على بيع الله ورسوله » وما بينهما من التعارض ، وخذوا لأنفسكم بالأرجح في طلب السلامة ، والخلاص بين الصحابة والتابعين . فلا تكونوا ولم تشاهدوهم - وقد عصمكم الله من فتنتهم - ممن دخل بلسانه في دمائهم ، فيلغ فيها ولوغ الكلب بقية الدم على الأرض بعد رفع الفريسة بلحمها ، ولم يلحق الكلب منها إلا بقية دم سقط على الأرض .

وروى الثبت العدل عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن محمد ابن المنكدر قال : قال ابن عمر حين بويع يزيد « إن كان خيراً رضيانا ، وإن كان شراً صبرنا » .

وثبت عن حميد بن عبد الرحمن قال : دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين استخلف يزيد بن معاوية فقال : تقولون أن يزيد ابن معاوية ليس بحير أمة محمد ، لا أفقهها [فيها] فقهاً ، ولا أعظمها فيها شرفاً . وأنا أقول ذلك . ولكن والله لأن تجتمع أمة محمد أحب إلى من أن تفرق . رأيتم باباً دخل فيه أمة محمد ووسمهم ، أكان يعجز عن رجل واحد لو كان دخل فيه ؟ قلنا : لا . قال : رأيتم لو أن أمة محمد قال كل رجل منهم لا أريق دم أخى ولا آخذ ماله ، أكان هذا يسعهم ؟ قلنا : نعم . قال : فذلك ما أقول لكم . ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يأتيك من الحياء إلا خير » (٤٣٨) .

لمحمد بن علي بن أبي طالب (المعروف بابن الحنفية) مثل هذا الموقف من داعية الثورة ابن مطيع سيرة القارىء في مكان آخر عند الكلام على سيرة يزيد . [خ] (٤٣٨) أورده البخارى ومسلم بلفظ : « الحياء لا يأتى إلا بخير » وفي رواية « الحياء خير كله » . [م]

فهذه الأخبار الصحاح كلها تعطيك أن ابن عمر كان مسلماً في [أمره] يزيد ، وأنه بايع وعقد له والتزم ما التزم الناس ، ودخل فيما دخل فيه المسلمون ، وحرّم على نفسه ومن إليه بعد ذلك أن يخرج على هذا أو ينقضه .
 وظهر لك أن [قول] من قال : إن معاوية كذب في قوله « بايع ابن عمر » ولم يبايع ، وأن ابن عمر وأصحابه سئلوا فقالوا « لم يبايع » فقد كذب .
 وقد صدق البخاري في روايته قول معاوية على المنبر « ان ابن عمر قد بايع » بإقرار ابن عمر بذلك وتسليمه له وتماديه عليه .

فأى الفريقين أحق بالصدق إن كنتم تعلمون ؟ الفريق الذي فيه البخاري ، أم الذي فيه غيره ؟ .

فخذوا لأنفسكم بالأحزم والأصح ، أو اسكتوا عن الكل ، والله يتولى توفيقكم وحفظكم .

و « صاحب » الذي كنى عنه حميد بن عبد الرحمن هو ابن عمر ، والله أعلم . وإن كان غيره فقد أجمع رجالان عظيمان على هذه المقالة وهي تعضد ما أصلناه لكم من أن ولاية المفضول نافذة وإن كان هنالك من هو أفضل منه إذا عقدت له . ولما في حلها - أو طلب الأفضل - من استباحة ما لا يباح ، وتشتيت الكلمة ، وتفريق أمر الأمة .

فإن قيل : كان يزيد خماراً . قلنا : لا يحل (٤٤٠) إلا بشاهدين ، فمن شهد بذلك عليه (٤٤١) ؟ بل شهد العدول بعدالته : فروى يحيى بن بكير عن الليث

(٤٤٠) وفي نسخة « حد » . [س]

(٤٤١) أن معاوية - مع شديده حبه ليزيد ، لالمعته واكتمال مواهبه - أثر أن أن ينشأ بعيداً عنه في أحضان الفطرة ، وخشونة البداوة وشهامتها ، ليستكمل الصفات اللائقة بالمهمة التي تنتظر أمثاله ، فبعث به إلى أخبية البادية عند أخواله من قضاة ، ليكون على مذهب أمة ميسون بنت بحدل يوم قالت :

لبيت تخفق الأرواح فيه أحب إلى من عصر منيف
 وفي ذلك الوسط أمضى يزيد زمن صباه وصدر شبابه ، وما لبث أن انتقل أبوه إلى رحمة الله حتى تولى المركز الذي أراده الله له . فلما خلا الجـ
 لابن الزبير بموت معاوية صار دعائه يذيمون في الحجاز الأكاذيب على يزيد

ابن سعد، قال الليث : « توفي أمير المؤمنين (*) يزيد في تاريخ كذا » فسماه

وينسبون اليه ما لا يحل (*) لهم . نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٨ : ٢٣٣) ان عبد الله بن مطيع (داعية ابن الزبير) منى في المدينة هو وأصحابه الى محمد بن علي بن أبي طالب (المعروف بابن الحنفية) فأرادوه على خلع يزيد ، فأبى عليهم ، فقال ابن مطيع : ان يزيد يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ، ويتعدى حكم الكتاب . فقال لهم : ما رأيت منه ما تذكرون ، وقد حضرته ، وأقمت عنده ، فرأيتته مواظباً على الصلاة ، متحرياً للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازماً للسنة . قالوا : فان ذلك كان منه تصنعاً لك . فقال : وما الذي خاف منى أو رجا حتى يظهر الى الخشوع ؟ أفاظلكم على ما تذكرون من شرب الخمر ؟ فلو كان أظلكم على ذلك انكم لشركاؤه ، وان لم يكن أظلكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا . قالوا : انه عندنا لحق وان لم تكن رأيناه . فقال لهم : أبى الله ذلك على أهل الشهادة فقال : « الا من شهد بالحق وهم يعلمون » (الزخرف : ٨٦) ، ولست من أمركم في شيء . قالوا : فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك ، فنحن نوليك أمرنا . قال : ما أستحل القتال على ما تريدوننى عليه تابعاً ولا متبوعاً . قالوا : فقد قاتلت مع أبيك . قال : جيئوني بمثل أبى اقاتل على مثل ما قاتل عليه . فقالوا : فمر ابنك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا . قال : لو أمرتهما قاتلت . قالوا : فقم معنا مقاماً تحض الناس فيه على القتال . قال : سبحان الله ، أمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه ؟ اذن ما نصحت لله في عباده . قالوا : اذن تكرهك . قال : اذن أمر الناس بتقوى الله ، والأل يرضوا المخلوق بسخط الخالق (وخرج الى مكة) .

(*) ان الذين نسبوا ليزيد ما لا يحل هم - الرافضة للتوصل الى التشكيك بالقرآن من وراء الطعن بمعاوية ومن عم الخلفاء الذين ولوه وأقروه على الحكم ، وهم نقلة القرآن وحفظته .

(*) لقد كان يزيد غائباً عن الشام حينما مات أبوه فلما وصل دمشق جددت له البيعة ، ثم جمع الناس في الجامع وخطب فيهم مما يدل على تقواه قائلاً بعد حمد الله والثناء عليه :

أيها الناس ! ان معاوية كان عبداً من عبيد الله ، أنعم عليه ، ثم قبضه اليه ، وهو خير من بعده ودون من قبله !

ولا أزيكه على الله عز وجل ، فانه أعلم به . ان عفا عنه فبرحمته ، وان عاقبه فبذنبه . وقد وليت الأمر من بعده ، ولست آسى على طلب ، ولا أعتذر من تفريط . واذا أراد الله شيئاً كان .

ان معاوية كان يغزيكم البحر ، وانى لست حاملاً أحداً من المسلمين (لعل مراده الا باذنه واختياره بدليل العبارة التى بعد هذه العبارة) فى البحر .

الليث « أمير المؤمنين » بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم ، ولولا كونه عنده كذلك ما قال إلا « توفي يزيد » .

=
وان معاوية كان يشتيكم بأرض الروم ، ولست مشتياً أحداً بأرض الروم . وان معاوية كان يخرج لكم العطاء اثلاثاً ، وأنا أجمعه لكم كله .
قال الراوى فافترق الناس عنه وهم لا يفضلون عليه أحداً (البسدية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣) .

ومن خطب يزيد الدالة على حصافة عقله وحسن بصيرته وتقواه :
الحمد لله احمده واستعينه وأومن به وأتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله اصطفاة لوحيه واختاره لرسالته بكتاب فصله وفضله وأعزه وأكرمه ، ونصره وحفظه ، ضرب فيه الأمثال وحل فيه الحلال وحرم الحرام ، وشرع فيه الدين اعداراً وانذاراً . لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل ، ويكون بلاغاً لقوم عابدين .
وأصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذى ابتدا الامور بعلمه ، واليه يصير معادها ، وانقطاع موتها وتصرم دارها . واحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل واينمت بالفانى ، وتحببت بالعاجل . لا يدوم نعيمها ولا يؤمن فجيئها ، اكالة غوالة غرارة ، ولا تبقى على حال ، ولا يبقى لها حال ، لن تعد الدنيا اذا تناهت الى امنية أهل الرغبة فيها والرضا بها وأن تكون كما قال الله عز وجل : (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) الى قوله مقتدرأ نسال الله ربنا والهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا واياكم من فزع يومئذ آمنين . ان احسن الحديث وابلغ الموعظة كتاب الله . يقول الله : « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة (العقد الفريد ٢ / ٣٧٨) .

ومما روى عن معاوية انه لما مات الحسن رضى الله عنه وكان عبد الله ابن عباس رضى الله عنه فى دمشق ، أمر ابنه أن يذهب فيمزيه به فذهب وجلس بين يديه . وأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه فأبى وقال : انما اجلس مجلس المعزى لا المهنى ، ثم ذكر الحسن فقال : « رحم الله ابا محمد أوسع الرحمة وانفسحها ، وأعظم الله اجره واحسن عزاك وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عقبى فلم يسع ابن عباس بعد أن غادره يزيد الا أن قال لجلسائه :

إذا ذهب بنو حرب ، ذهب علماء الناس ثم انشد :

مفاضى عن العوراء لا ينطقونها واصل ورائات الطوم الاوائل

فإن قيل : ولو لم يكن ليزيد إلا قتله للحسين بن علي قلنا : يا أسفاً على المصائب مرة ، ويا أسفاً على مصيبة الحسين ألف مرة . بوله يجري على صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ودمه يراق على البوغاء ولا يحقن (٤٤٢) يا لله ويا للمسلمين . وإن أمثل ما روى فيه أن يزيد كتب إلى الوليد بن عتبة ينعي له معاوية ويأمره أن يأخذ له البيعة على أهل المدينة - وقد كانت تقدمت فدعا مروان فأخبره فقال له : أرسل إلى الحسين بن علي وابن الزبير ، فإن بايعوا وإلا فاضرب أعناقهم . قال : سبحان الله ، تقتل الحسين بن علي وابن الزبير ؟ قال : [هو] ما أقول لك . فأرسل إليهما ، فأتاه ابن الزبير ، فنعى إليه معاوية وسأله البيعة ، فقال : ومثلي يبائع هنا ؟ أرق المنبر ، وأنا (أبايعك) (٤٤٣) مع الناس علانية . فوثب مروان وقال : اضرب عنقه ، فإنه صاحب فتنة وشر فقال (ابن الزبير) : فإنك لهنا لك يا ابن الزرقاء ؟ واستبكا فقال الوليد : أخرجهما (٤٤٤) عنى ، وأرسل إلى الحسين ولم يكلمه بكلمة في شيء ، وخرجا من عنده . وجعل الوليد عليهما الرصد . فلما دنا الصبح خرجا مسرعين إلى مكة فالتقيا بها . فقال له ابن الزبير : ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك ؟ فوالله لو أن لى مثلهم لذهبت إليهم . فهذا ما صح (٤٤٥) .

(٤٤٢) البوغاء : التراب الناعم . [ح]

(٤٤٣) كتبها الشيخ محب [وأنا أبائع مع الناس] ولا مبرر لذلك . [س]

(٤٤٤) في ب ، د ، ز : أخرجاهما . وكتب الشيخ محب أخرجاً . [س]

(٤٤٥) أننا وان كنا نلوم ابن الزبير رضى الله عنه على ثورته ، وهو لا شك

مجتهد لكننا نبرئه من خدعة الحسين بحضه على الخروج الى العراق ليخلو له الجو في الحجاز . وقد روى الطبرى روايات أخرى تنفى هذه الخدعة عن هذا الصحابي . نذكر بعضها بإيجاز :

ذكر الطبرى أن ابن الزبير قال للحسين حينما قال له من رغبه في الخروج الى العراق :

أما الملك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ههنا ما خولف عليك أن شاء الله (ج ٤ ص ٢٨٨) وفي أحدهما أن عبد الله بن مسلم والمذرى بن المشتمل سمعا ابن الزبير يسار الحسين بين الحجر والباب ، فيقول له : ان شئت ان (٢٨٩) .

تقيم أقمت فوليت هذا الأمر ، فأزرناك وساعدناك ونصحننا لك فبايعناك ... وقد روى ابن كثير رواية جاء فيها أن الحسين قال لابن الزبير اتنى بيعة أربعين ألفاً يحلفون بالطلاق والعناق . فقال له أخرج الى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك ؟ ! البداية والنهاية ج ٨ ص ١٦١ . =

وذكر المؤرخون أن كتب أهل الكوفة وردت على الحسين (٤٤٦) ، وأنه

= وما يؤيد براءة ابن الزبير من تغريب الحسين ليجلو له الجو في الحجاز ما رواه الامام ابن كثير أن عبد الله بن مطيع - داعية ابن الزبير - لقيه في مكة ، فقال له : (فداؤك أمي وأبي . امتعنا بك ولا تسر الى العراق ، ولئن قتلك هؤلاء يتخذونا عبيداً وخولا !) . البداية والنهاية ص ١٦١ - ١٦٣ . [٢]

(٤٤٦) أول من كتب اليه من شيوخ شيعته - على ما رواه مؤرخهم لوط ابن يحيى - : سلمان بن سرد والمسيب بن نجبه ورفاعة بن شداد وحبيب ابن مظاهر ، وارسلوا كتابهم مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وال ، فبلغا حسينا بمكة في عاشر رمضان سنة ٦٠ ، وبعد يومين سرحوا اليه قيس ابن مسهر الصيداوى وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبي وعمارة السلولى بثلاث وخمسين صحيفة ، وبعد يومين آخرين سرحوا اليه ابن هانيء السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفى (وفى الطبرى ٦ : ١٩٧ نصوص بعض رسائلهم وأسماء بعض أصحابها) وهى تدور على أنهم لا يجتمعون مع أميرهم النعمان بن بشير فى جمعة ، ويدعون الحسين اليهم حتى اذا أقبل طردوا أميرهم والحقوه بالشام ، ويقولون فى بعضها : « أينعت الثمار ، فاذا شئت فاقدم على جند لك مجند » . فأرسل الحسين اليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب ليرى ان كانوا مستوثقين مجتمعين ليقدم هو عليهم بعد ذلك . وضل مسلم بن عقيل فى الطريق ومات من معه من العطش فكتب الى الحسين يستعفيه من هذه المهمة ، فأجابه : خشيت ألا يكون حملك على الاستعفاء إلا الجبن . فمضى مسلم حتى بلغ الكوفة ، وأعطاه البيعة للحسين اثنا عشر ألفاً منهم ، وشعر أمير الكوفة النعمان بن بشير بحركاتهم فخطب فيهم ينهاهم عن الفتنة والفرقة ، وقال لهم : انى لا أقاتل إلا من قاتلنى ، ولا آخذ بالظنة والتهمة ، فان أبديتم لى صفحتكم ونكتكم يبعثكم لأضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدي . وعلم يزيد أن النعمان بن بشير حلیم ناسك لا يصلح فى مقاومة مثل هذه الحركة ، فكتب الى عبيد الله بن زياد عامله على البصرة أنه قد ضم اليه الكوفة ايضا ، وأمره أن يأتى الكوفة وأن يطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى يشقه فيوثقه فيقتله أو ينفيه . فاستخلف عبيد الله أخاه على البصرة وأقبل الى الكوفة فاتصل برؤسائها وقبض على أزمة الحال ، فما لبث مسلم ابن عقيل أن رأى مبايعيه الاثنى عشر ألفاً كالهباء ، ورأى نفسه وحيداً طريداً ، ثم قبض عليه وقتل . وكان الحسين قد جاءته قبل ذلك رسائل مسلم بن عقيل بأن اثنى عشر ألفاً بايعوه على الموت فخرج عقب موسم الحج بريد الكوفة ، ولم يشجعه على الخروج إلا ابن الزبير (❖) لأنه عرف أن أهل الحجاز لا يتابعونه

(❖) هذه تهمة ذكرنا بطلانها فيما سبق ! ولو انها مذكورة فى تاريخ الطبرى . فان فى هذا التاريخ ما يناقضا ، وقد كنا ذكرنا طريقة الطبرى فى التأليف . والعبرة فى التحقيق العلمى الحديثى ! .

أرسل مسلم بن عقيل - ابن عمه - إليهم ليأخذ عليهم البيعة وينظر هو في اتباعه ، فنهاه ابن عباس وأعلمه أنهم خذلوا أباه وأخاه ، وأشار عليه ابن الزبير بالخروج فخرج ، فلم يبلغ الكوفة إلا ومسلم بن عقيل قد قتل وأسلمه من كان استدعاه . ويكفيك بهذا عظة لمن اتعظ . فتمادى واستمر غضباً للدين وقياماً بالحق . ولكنه - رضى الله عنه - لم يقبل نصيحة أعلم أهل

مادام الحسين معهم فصار الحسين أثقل خلق الله على ابن الزبير (الطبرى ٦ : ١٩٦ - ١٩٧ وانظر ٦ : ٢١٦ و ٢١٧) . وأما المشفقون على الحسين من هذا الخروج المشئوم فهم جميع أجياله وذوى قرابته والناصحين له والمتحرين سنة الاسلام في مثل هذا الموقف ، كل هؤلاء نهوه عن مسيرته وحذروه من عواقبه ، وفي طلعتهم أخوه محمد بن الحنفية (الطبرى ٦ : ١٩٠ - ١٩١) وابن عم أبيه جبر الأمة عبد الله بن العباس (الطبرى ٦ : ٢١٦ - ٢١٧) وابن عمه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (٢ : ٢١٩) ، وقد بلغ الأمر ببعد الله ابن جعفر أن حمل والى يزيد على مكة وهو عمرو بن سعيد بن العاص على أن يكتب للحسين كتاب الأمان ويمنيه فيه البر والصلة ويسأله الرجوع ، فأجابه والى مكة الى كل ما طلب وقال له اكتب ما تشاء وأنا أختم على الكتاب ، فكتبه وختمه الوالى ، وبعث به الى الحسين مع أخيه يحيى بن سعيد بن العاص ، وذهب عبد الله ابن جعفر مع يحيى ، وجهدا بالحسين أن يثنيه عن السفر فأبى (وصورة كتاب الوالى في تاريخ الطبرى ٦ : ٢١٩ - ٢٢٠) ، وليس فوق هؤلاء الناصحين أحد في عقلهم وعلمهم ومكانتهم واخلاصهم ، بل ان عبد الله ابن مطيع داعية ابن الزبير كان من ناصحيه (**) بعقل واخلاص (الطبرى ٦ : ١٩٦) وعمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى كان على هذا الراى (الطبرى ٦ : ٢١٥ - ٢١٦) والحارث بن خالد بن العاص بن هشام لم ياله نصحاً (٦ : ٢١٦) وحتى الفرزدق الشاعر قال له : قلوب الناس منك وسيوفهم مع بنى أمية (الطبرى ٦ : ٢١٨) فلم يقد شيء من هذه الجهود في تحويل الحسين عن هذا السفر الذى كان مشئوماً عليه ، وعلى الاسلام ، وعلى الأمة الاسلامية الى هذا اليوم والى قيام الساعة ، وكل هذا بجناية شيعته الذين حرضوه بجهل وغرور ورغبة فى الفتنة والفرقة والشر ، ثم خذلوه بجنون ونذالة وخيانة وغدر . ولم يكتف ورثتهم بما فعل أسلافهم فعكفوا على تشويه التاريخ وتحريف الحقائق ورد الأمور على أذارها . [خ]

(**) كيف يتفق قول الأستاذ الخطيب رحمه الله فيما مضى ان ابن الزبير كان يشجع الحسين رضى الله عنه - على الخروج الى العراق ، ثم يروح يقول هنا بأن داعيته ابن مطيع نصحه بعدم الخروج !!

زمانه ابن عباس ، وعدل عن رأى شيخ الصحابة ابن عمر (٤٧) ، (٤٨)

(٤٧) فى اثاره العافية ، وحرصه على وحدة المسلمين وتفرغهم لنشر الدعوة والفتوح .

(٤٨) نذكر فيما يلى ضراعات كبار الصحابة والمفكرين للحسين بلزوم رجوعه :

لقد روى الطبرى ان الحسين لما خرج من مكة اعترضه رسل الوالى عمر ابن سعيد بقيادة اخيه يحيى ، فقالوا له : أين تذهب وطلبوا منه الانصراف فأبى فتدافع الفريقان وتضاربا بالسياط وامتنع الحسين منهم ، ثم مضى فناداه يحيى :

يا حسين ؟ اتق الله ولا تخرج من الجماعة وتفرق هذه الامة !!
فأجابه بالآية : (لى عملى ولكم عملكم ، انتم بريئون مما اعمل وانا بربىء مما تعملون) ثم مضى .

وقد روى الطبرى كذلك ان عبد الله بن جعفر لما علم بخروج الحسين من مكة أرسل اليه كتابا مع ابنه عون ومحمد يقول فيه :
انى اسألك الله لما انصرفت حين تنظر فى كتابى فانى مشفق عليك من الوجه الذى توجه اليه ان يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك . ان هلكت اليوم طهىء نور الارض ، فانك علم المهتدين ورجل المؤمنين ، فلا تعجل بالسير فانى فى اثر الكتاب .

ولقد روى ابن كثير (ص ٢٩١ - ٢٩٢) ان عبد الله بن عمر لما سمع بخروج الحسين الى العراق ، وكان هو فى مكة لحق به على مسيرة ثلاث ليال ، فقال له : أين تريد ؟

قال العراق . وهذه كتبهم وبيعتهم . فقال له ابن عمر :
انى محدثك حديثا : ان جبريل أتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فخيره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا . وانك بضعة من رسول الله وما نالها احد منكم أبدا ! وما صرفها الله عنكم الا للذى هو خير لكم .
فأبى ان يرجع ، فاعتنقه وقال له :

استودعك الله من قتيل !
كذلك روى أن ابا سعيد الخدرى جاء الى الحسين وقال له :
انى لك ناصح ، وانى عليك مشفق . وقد بلغنى انه قد كاتبك قوم مسن شيعتكم بالكوفة يدعونك الى الخروج اليهم ، فلا تخرج ! فانى سمعت اباك يقول بالكوفة :

والله لقد مللتهم وابغضتهم وملونى وابغضونى وما يكون منهم وفاء قط .
ومن فاز منهم فاز بالسهم الاخيى . والله ما لهم نيات ولا عزم على امر ولا صبر على السيف . (البداية والنهاية ج / ص ١٦٠) .

وقال الامام ابن كثير وكتب يزيد بن معاوية الى عبد الله بن عباس يطلب منه ان يكف الحسين وقال له : « أحسبه قد جاءه رجال من الشرق فمناه بالخلافة ، وعندك منهم خبر وتجربة ، فان كان قد فعل ، فقد قطع راسيخ القرابة ، وانت كبير اهل بيتك ، والمنظور اليه ، فامنعه عن الفرقة » .

ودخل ابن عباس على الحسين فكلمه طويلا وقال :
انشدك الله ان تهلك غدا بحال مضيعة ، لا تأت العراق ، وان كنت لا بد فاعلا ، فاقم حتى ينتفضي الموسم وتلقى الناس وتعلم ما يصدرن ثم تـرى رابك . فابى ! (البداية والنهاية ص ١٦١ - ١٦٣) .

وروى الطبري ايضا ان أحد بنى عكرمة لقيه وهو نازل في بطن القصبه ، فسأله اين تريد فحدثه فقال له : انى بنشدك الله ما انصرفت : فوالله لا تقـدم الا على الاسنة وحد السيوف ، فلو كان الذين بعثوا اليك كفوك مؤونة القتال ووطؤا لك الأشياء ، فقدمت عليهم كان ذلك رأيا فقال - أى الحسين - له : يا عبد الله انه ليس يخفى على ما رأيت ! ولكن الله لا يقلب على أمره . ثم ارتحل ثم ان الحسين استمر في سيره بعد أن وصله خبر مقتل مسلم وتفرق الناس عنه ايضا .

وروى الطبري ان مسلم بن عقيل بعد ان اثخنته الحجارة التى رشق به فاستسلم فأخذوا سيفه ، فقال : هذا أول الفدر . وبكى ، وكان بقربه عمرو ابن عبيد الله بن عباس فقال له : من يطلب مثل الذى تطلب اذا نزل به الذى نزل بك لا يبكى !

فقال له : والله ما لنفسي ابكى ! ولا لها من القتل ارثى . ولكن ابكى لاهلى المقبلين ، ابكى الحسين وآل الحسين !! ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال له : يا عبد الله ! والله ستمجز عن أمانى ، فهل عندك خبر تستطيع أن تبعث من عندك رجلا على لسانى يبلغ حسينا ، فانى لا اراه قد خرج اليكم هو وأهل بيته ، فيقول له ان مسلما اسير ولا يمسى حتى يقتل ، فارجع باهلك وبيتك ، ولا يفرك اهل الكوفة ، فانهم أصحاب ابيك ! الذى كان يتمنى فراقهم بالموت او القتل ، وقد كذبونى وكذبوك ، وليس للكذاب رأى ! فوعده أن يفعل .

ثم ارسل شخصا يخبره خبر مسلم ورسالته ، فلقى الحسين وأخبره فقال له :

كل ما حم نازل وعند الله نحتسب انفسنا وفساد امتنا ثم استمر في رحلته وكان في امكانه ان يعود (ج ٤ ص ٢٧٨ - ٢٨١) .

وقد روى الطبري (ج ٤ ص ٢٩٢ - ٢٩٤) ان الحسين لما تيقن من مقتل مسلم وتيقن من خذلان اهل العراق له ، قال لمن معه من غير أسرته ، ولئن انضم

يروى المسعودي ان ابن زياد قال لقاتل الحسين : انه كان خير الناس امّا و أباً ، وخير عباد الله ، فلم قتلته ؟ ثم أمر بضرب عنقه (مروج الذهب ج ٣ / ١٤١) وذكر الطبري انه لما دخل على ابن زياد عشاء آل الحسين ، أمر لهم بمنزل وأجرى عليهم رزقا وأمر لهم بنفقة وكسوة ثم سيرهم الى يزيد . قال الأستاذ دروزه (٢٨٤ / ٨) هذا - يجعل الروايات الواردة في حسن معاملة عبيد الله بن زياد ، ثم يزيد لابن الحسين الصغير وبناته ونسائه واستيائه يزيد لقتله ، وبكائه عليه ومشاركة أهله نساء ورجالا في ذلك ، أصح من تلك التي تذكر قسوتها وجفاءها ازاءهم ، ولا سيما أنه لم يكن هناك قتال شديد يثير نقمة وانفعالا يمتد اثرهما الى النساء والأطفال . وكان ما وقع على غير ارادتهم بل وعلى مضض منهم .

ولعل من الدلائل على ذلك ما رواه الطبري وابن قتيبة معا من استمرار الصلات الحسنة ، والمكاتبات بين يزيد وعلى بن الحسين ، وما كان من موقف هذا ابان ثورة المدينة حيث رووا انه لا على ولا أقاربه اشتركوا في هذه الحركة . وان يزيد وصى قائد جيشه وأمره بان يدني مجلسه وان يبلغه أنه وصل اليه كتابه ، وان هؤلاء الخبثاء شغلوه عنه ، وان القائد رحب به وأجلسه على السرير وبلغه رسالة يزيد . (تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٧٩ والامامة والسياسة ج ١ ص ٢٠٠) .

فأين هذه المعاملة الحسنة من افتراء المفترين بسبى اهل البيت وحملهم على الجمال بلا اقتاب بعد استشهاد الحسين ؟! فهذا من الكذب الواضح ، ما استحلت أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم سبى هاشمية ، وانما قاتلوا الحسين خوفاً منه ومن أن يزيل عنهم الملك . فلما استشهاد فرغ الأمر وبعث بآله الى المدينة . ولكن جهل الرافضة اليه المنتهى . ولا ريب ان قتل الحسين من أعظم الذنوب ، وفاعله والراضي به مستحق للعذاب لكن ليس قتله بأعظم من قتل أبيه ، ولا قتل زوج اخته عمر ، وقتل زوج خالته عثمان . والغريب ان هؤلاء المنافقين والمفرضين من اهل الكوفة الذين دعوا الحسين لتوليته هم الذين خذلوه وتخلوا عن نصرته ، وتسببوا بقتله ثم خرجوا ليكون عليه .

طعن آل البيت بالشيعة :

قال مؤلف التحفة الاثني عشرية : نقل علامة الشيعة في هذا العصر الشيخ هبة الدين الشهرستاني ما رواه الجاحظ عن خزيمة الاسدي قال : دخلت الكوفة فصادفت منصرف على بن الحسين بالذرية عن كربلاء الى عبيد الله ابن زياد ، ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياماً يندبن متهتكات الجيوب ، وسمعت على بن الحسين ، وهو يقول بصوت ضئيل :

« يا اهل الكوفة ! انكم تكون علينا ، فمن قتلنا غيركم ؟! »

ورأيت زينب بنت علي رضي الله عنها فلم أر - والله - خضرة انطسق
منها بياناً قالت :

يا أهل الكوفة ، يا أهل الخثر والخذل فلا رفأت القبرة ، ولا هدأت الرقة
انما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً ، تتخذون ايمانكم دخلاً
بينكم .

الا هل فيكم الا الصلف والشنف ، وخلق الدماء وغمز الاعداء .
وهل انتم الا كمرعى على دمنة ، أو كفضة على ملحودة ؟
الا ساء ما قدمت انفسكم . ان سخط الله عليكم ، وفي العذاب انتم
خالدون . ان تكون ؟! اي والله فابكوا . وانكم والله احرىء بالبكاء ، فابكوا كثيراً
واضحكوا قليلاً فقد فزتم بمعارها وشنارها ، ولن ترحضوها بغسل بصددها
أبدأ !!

هل يزيد مسؤول عن مقتل الحسين ؟

وقال المؤرخ دروزه أيضاً : مما سبق ندرك « انه ليس هناك ما يبرر نسبة
قتل الحسين الى يزيد ، فهو لم يأمر بقتاله ، فضلاً عن قتله ، وكل ما امر به
أن يحاط به ولا يقاتل الا اذا قاتل ، ومثل هذا القول يصح بالنسبة لعبيد الله
ابن زياد ، فكل ما امر به ان يحاط به ولا يقاتل الا اذا قاتل ، وان يؤتى به
اليه ليضع يده في يده ، أو يبائع يزيد صاحب البيعة الشرعية بل ان هذا
ليصح قوله بالنسبة لامراء القوات التي جرى بينها وبين الحسين وجماعته
قتال ، فانهم ظلوا ملتزمين ما امروا به ، بل كانوا يرغبون أشد الرغبة في أن
يعاقبهم الله من الابتلاء بقتاله ، فضلاً عن قتله ، ويبدلون جهدهم في اقناعه
بالنزول على حكم ابن زياد ومبايعة يزيد ، فاذا كان الحسين أبى ان يستسلم
ليدخل فيما دخل فيه المسلمون وقاوم بالقوة ، فمقابلته و قتاله صار من الوجهة
الشرعية والوجهة السياسية سائفاً (الاستاذ دروزه ج ٨ / ٣٨٣ - ٣٨٤) قد
يقول قائل : ألم يكن من الواجب على يزيد وبالتالي على ابن زياد ان يقبل من
الحسين قبول أحد شروطه الثلاثة المادلة التي عرضها عليه وهي ان يترك
ليعود من حيث أتى ، أو يذهب الى يزيد ، أو يرسل الى الثغور . يذكر
بعضهم ان هذه الشروط والمطالب من الحسين رضي الله عنه ليس لها أساس
من الصحة . فقد روى الطبري رواية عن سمعان : قال : اني صحبت الحسين
رضي الله عنه فخرجت معه من المدينة الى مكة ، ومن مكة الى العراق ، ولم
أفارقه حتى قتل وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في
الطريق ، ولا في العراق ولا في عسكر الى يوم مقتله الا وقد سمعتها . الا والله
ما أعطاهم ما يتذاكر الناس ، وما يزعمون من أن يضع يده بيد يزيد بن معاوية
ولا أن يسير الى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنه قال :

دعوني فلاذهب في الارض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس
(المسعودي ص ٣١٣) .

وهذا الطلب من الحسين لا يمكن قبوله لمن أوتي أقل نصيب من السياسة
والتفكير خيفة أن يقوم الحسين بتحريض شيعته في الأمصار فتندلع الثورات
والفتن .

ونرى لو أن عبيد الله بن زياد وصحبه حاصروا الحسين رضى الله عنه
وجماعته وأحاطوهم بصنوف العناية والرعاية ، وقدموا لهم ما يشتهون ،
وتركوا أمر الصلح للأيام ريثما تهدأ نائرة الحسين لكان خيرا .
وكل ذلك كان ممكناً ما داموا قلة لا يزيدون على مئة ، فلا يقاتلونهم ،
ولو قاتلوا على أن تنزع منهم أسلحتهم بمختلف الأساليب ولكن أمر الله كان
قدراً مقدوراً . وأنا لله وأنا إليه راجعون .

نسأل الله سبحانه أن يهدي هؤلاء الدين يجددون ذكرى هذه الكارثة من
عام الى آخر وما يهلكون الا انفسهم في الدنيا قبل الآخرة وهم لا يشعرون ،
وخاصة وان الامويين قد زالوا . ولكن قبح الله اليهودية والشعبوية فانهما
لا تزالان تعيشان فساداً في النفوس لتحارب الاسلام والمسلمين باسم نصره
آل البيت كذباً وزوراً .

وختاماً لهذا الموضوع الخطير نقول كما قال المؤرخ المحقق عزرة دروزة
(٣٨٦ / ٨) بعدما نقل بعض ما ذكرناه في هذا البحث :

ونشهد الله على أننا لم نكتب ما كتبناه عن هوى أو بغض للحسين رضى الله
تعالى عنه وآل بيته وعلى أننا نكن لهم أشد الاحترام والمحبة لصلتهم الشريفة
برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكننا كمؤرخين لا يسعنا أن نكتب غير
ذلك ، اذا أردنا ان نلتزم المنطق والانصاف والحق ، لأن الروايات التي تلمظ
بها النفس لا تسمح بغيره .

ولم ننفر بهذه النتائج التي استنتجناها من الروايات . فهناك كثيرون
غيرنا يشاركوننا فيها ، بل وأنه ليشاركنا فيها كل منصف متجرد من الهوى
من المسلمين على اختلاف طوائفهم .

ونورد هنا قولين في ذلك أحدهما للامام المصلح العظيم ابن تيمية ، والثاني
للمؤرخ المحقق الشيخ محمد الخضرى رحمهما الله .

وقد أورد الامام ابن تيمية خبر ما تلقاه الحسين من نصائح كثيرة بعدم
الخروج والتحذير من العواقب ثم قال :

انه لم يكن في الخروج مصلحة لا في دين ولا في دنيا . وكان في خروجه وقته
من الفساد ما لم يحصل لو قعد في بلده . فان ما قصده من تحصيل الخير
ودفع الشر لم يحصل منه شيء بل زاد الشر بخروجه وقته ، ونقص الخير

وطلب الابتداء في الانتهاء ، والاستقامة [من أهل] (٤٤٩) الاعوجاج ، ونضارة الشيبة في هشيم المشيخة . ليس حوله مثله ، ولا له من الأنصار من يرعى حقه ، ولا من ييذل نفسه دونه ، فأردنا أن نظهر الأرض من خمر يزيد (٤٥٠) فأرقنا دم الحسين ، فجاءتنا مصيبة لا يجبرها سرور الدهر (٤٥١) .

وما خرج إليه أحد إلا بتأويل ، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهين على الرسل ، المخبر بفساد الحال ، المحذر [عن] الدخول في الفتن . وأقواله في ذلك كثيرة : منها [ما روى مسلم عن زياد بن علاقة عن عرفة بن شريح]

بذلك ، وصار سبباً لشر عظيم ، وإن قتل الحسين مما أوجب الفتن (انظر المنتقى من منهاج السنة ص ٢٨٧ - ٢٨٨) .

أما الشيخ الخضري فإنه عقب على حادث قتل الحسين قائلا : وعلى الجملة ان الحسين أخطأ خطأ عظيماً في خروجه هذا الذي جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد الفتها الى يومنا هذا . وقد أكثر الناس من الكتابة في هذه الحادثة لا يريدون بذلك الا أن تشتعل النيران في القلوب ، فيشتد تباعدها . وغاية ما في الامر أن الرجل طلب امراً لم يتهيأ له ، ولم يعد له عدته ، فحبل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه . وقبل ذلك قتل أبوه فلم يجد من أقلام الكاتبين من يبشع أمر قتله ، ويزيدون نار العداوة تأجيحاً .

والحسين قد خالف يزيد ، وقد بايعه الناس ، ولم يظهر عنه ذلك الجور ولا العسف عند اظهار الخلاف حتى يكون في الخروج مصلحة للأمة (محاضرات الخضري تاريخ الأمم الاسلامية ٢ / ٢٣٥) . [م]

(٤٤٩) وكتبها الشيخ محب « الاستقامة في الاعوجاج » [س]

(٤٥٠) يزعم مشرى الفتنة الذين يشهدون بغير ما علموا .

(٤٥١) لا أدري سبباً معقولاً لتضخيم هذه المصيبة على الرغم من فداحتها بعد زوال الأمويين وملكهم ؟ ! فهي مهما كان من أمرها لا تعد شيئاً مذكوراً بجانب المصيبة باستشهاد الخلفاء عمر وعثمان وعلى رضي الله تعالى عنهم فلماذا لا يقيمون عليهم - إذا كانوا مخلصين للإسلام - كل عام ماتماً وعويلاً . بعرفهم في تجديد المصيبة واحياء ذكراها ؟ !

ولا أدري أيضاً كيف يصح إقامة مثل هذه المآثم ، وقد جاء النهي في احاديث كثيرة عن الصياح وشق الجيوب ولطم الخدود وغير ذلك من العادات الجاهلية ! ولكن لعن الله السياسة المتهافنة كيف تفضل أصحابها وتسبب لهم العذاب في الدنيا قبل الآخرة قال تعالى : (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا !!) .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم (٤٥٣) « إنه ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان (٤٥٣) » . فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله . ولو أن عظيمها وابن عظيمها وشريفها وابن شريفها الحسين يسعه بيته أو ضيعته أو إبله — ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق وفي جملتهم ابن عباس وابن عمر لم يلتفت إليهم — وحضره ما أنذر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما قال في أخيه (٤٥٤) ، ورأى أنها [قد] خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار الخلق يطلبونه ، فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة ، وكبار الصحابة ينهونه وينأون عنه ؟ [و] ما أدري في هذا إلا التسليم لقضاء الله ، والحزن على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقية الدهر . ولولا معرفة أشياخ [الصحابة] وأعيان الأمة بأنه أمر صرفه الله عن أهل البيت ، وحال من الفتنة لا ينبغي لأحد أن يدخلها ، ما أسلموه أبدا .

و هذا أحمد بن حنبل — على تقشفه وعظيم منزلته في الدين وورعه — قد أدخل عن يزيد بن معاوية في (كتاب الزهد) أنه كان يقول في خطبته : « إذا مرض أحدكم مرضاً فأشفي ثم تماثل ، فلينظر إلى أفضل عمل عنده فليزمه ، ولينظر إلى أسوأ عمل عنده فليدعه » وهذا يدل على عظيم منزلته عنده حتى يدخله في جملة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم

(٤٥٢) من حديث عرفة في كتاب الامارة من صحيح مسلم : باب حكم من فرق امر المسلمين وهو مجتمع (ك ٣٣ ح ٥٩ ج ٦ ص ٢٢) .

(٤٥٣) الحسين رضى الله تعالى عنه كان مجتهداً فان أصاب فله أجران ، وان أخطأ فله أجر وكان يجدر ببنى أمية أن يحترموا سلامة نيته ونباله قصده ويحيطوه بأنواع الرعاية والعناية على الرغم من محاربته لهم ، فانه لا خطر منه مادامت جماعته قلة ، وذلك ريثما يتم الاتفاق وينتهى معه الى سلم . ولكن تسرعهم سبب لهم وللعالَم الاسلامى النكبات . فانا لله وانا اليه راجعون . والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة كما جاء في حديث رواه البخارى ٠ [٢]

(٢٥٤) « ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » ٠ [خ]

ويرعوى من وعظهم . ونعم ، ما أدخله إلا في جملة الصحابة (٤٥٥) ، قبل أن يخرج إلى ذكر التابعين (٤٥٦) . فأين هذا من ذكر المؤرخين له في الخمر وأنواع الفجور ، ألا تستحيون ؟! وإذا سلبهم الله المروءة والحياء ، ألا ترعون أنتم وتزدجرون ، وتقتدون بالأخبار والرهبان من فضلاء الأمة ، وترفضون الملحدة والمجان من المنتمين إلى الملة « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » والحمد لله رب العالمين .

واقظروا إلى ابن الزبير بعد ذلك وما دخل فيه من البيعة له بمكة ، والأرض كلها عليه . واقظروا إلى ابن عباس وعقله وإقباله على أمر نفسه .

(٤٥٥) يزيد بن معاوية ليس بصحابي وقد ولد عام ٥٢ هـ كما جاء في (الاعلام) .

وجاء فيه أيضاً : « في زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة ابن نافع وفتح مسلم بن زياد بخارى وخوارزم . . واليه ينسب « نهر يزيد » في دمشق . وكان نهراً صغيراً ، فوسعه فنسب إليه . وقال مكحول : كان يزيد مهندساً » . [٢]

(٤٥٦) وخلاصة القول في يزيد بن معاوية اختلف الناس فيه — كما قال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (ثلاث فرق) : طرفان ووسط . (فاحد الطرفين) قالوا : انه كان كافراً منافقاً . .

وهذا القول سهل على الرافضة الذين يكفرون أبا بكر ، وعمر ، وعثمان . فتكفير يزيد أسهل !!

(والطرف الثاني) يظنون انه كان رجلاً صالحاً وامام عدل . وأنه كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وحمله على يديه وبرك عليه .

وهذا قول بعض الضلال . .

(والقول الثالث) أنه كان ملكاً من ملوك المسلمين ، له حسنات وسيئات ، ولم يولد الا في خلافة عثمان ، ولم يكن كافراً ، ولكن جرى بسببه ما جرى . وهذا قول اهل العقل والعلم والسنة والجماعة .

ثم افترقوا (ثلاث فرق) ، فرقة لعنته ، وفرقة أحبته ، وفرقة لا تسبه ولا تحبه ! وهذا المنصوص عن الامام احمد ، وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم .

وقد استدلل القائلون بالمفخرة له بحديث ثبت في صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أول جيش يفزو القسطنطينية مغفور له » وأول جيش غزاها كان أميره يزيد (الفتاوى ٤ / ٨١ — ٨٣ باختصار) . [٢]

وانظروا إلى ابن عمر وسنه وتسليمه للدنيا ونبذه لها . ولو كان للقيام وجه
لكان أولى بذلك ابن عباس ، فإنه ولدى أخيه عبيد الله قد ذكر أنهما قتلا
ظلماً (٤٥٧) . ولكن رأى بعقله أن دم عثمان لم يخلص إليه ، فكيف بدم ولدى
عبيد الله ! وإن الأمر راهق (٤٥٨) ، قد خرجا عنه حفظاً للأصل وهو اجتماع
أمر الأمة وحقن دمائها وائتلاف كلمتها ، ودع الأمر يتولاه أسود مجدع
حسبما أمر به صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه (٤٥٩) . وكل منهم عظيم
القدر مجتهد ، وفيما دخل فيه مصيب مأجور ، والله [فيهم] حكم
[في الدنيا] قد أفضده ، وحكم في الآخرة قد أحكمه وفرغ منه . فاقدرُوا
هذه الأمور مقاديرها ، وانظروا بما قابلها ابن عباس وابن عمر فقابلوها ، ولا
تكونوا من السفهاء الذين يرسلون ألسنتهم وأقلامهم بما لا فائدة لهم فيه ،
ولا يغنى من الله ولا من دنياهم شيئاً عنهم .

وانظروا إلى الأئمة الأخيار وفقهاء الأمصار ، هل أقبلوا على هذه
الخرافات وتكلموا في مثل هذه الحماقات ؟ بل علموا أنها عصبية جاهلية ،
وحمية باطلة ، لا تقيد إلا قطع الحبل بين الخلق وتشيت الشمل واختلاف
الأهواء — وقد كان ما كان ، وقال الأخباريون ما قالوا — فاما سكوت ،
وإما اقتداء بأهل العلم ، وطرح لسخافات المؤرخين والأدباء . والله يكمل علينا
وعليكم النعماء برحمته .



(٤٥٧) كان ذلك سنة ٤٠ في اليمن آخر ولاية عبيد الله بن عباس عليها
لعلى ، فأرسل معاوية إلى الحجاز واليمن بسر بن أبي أرطاة فأخذ له البيعة
على أهل الحجاز ، ثم توجه بسر إلى اليمن فلما علم عبيد الله بمجيئه هرب
إلى الكوفة وترك ابنه في اليمن فقتلها بسر فيما يقال . [خ]

(٤٥٨) أى تدخل حقه في باطله . [خ]

(٤٥٩) في كتاب الامارة من صحيح مسلم من حديث أبي ذر (ك ٣٣ ح ٣٦

ج ٦ ص ١٤) . [خ]

نكتة

وعجبا [لاستكثار] الناس ولاية بنى أمية ، وأول من عقد لهم الولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه ولي يوم الفتح عتاب بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية مكة - حرم الله وخير بلاده - وهو فتي السن قد أبقل أو لم يبقل . واستكتب معاوية بن أبي سفيان أمينا على وجهه . ثم ولي أبو بكر يزيد بن أبي سفيان - أخاه - الشام . وما زالوا بعد ذلك يتوغلون في سبيل المجد ، ويترقون في درج العز ، حتى أنهتهم الأيام ، إلى منازل الكرام .

وقد روى الناس أحاديث فيهم لا أصل لها ، منها حديث رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنى أمية ينزون على منبره كالقردة ، فعز ذلك عليه ، فأعطى ليلة القدر خير من ألف شهر يملكها بنو أمية [بعده] . ولو كان هذا صحيحا ما استفتح الحال بولايتهم ، ولامكن لهم في الأرض بأفضل نقاعها وهي مكة . وهذا أصل يجب أن تشده عليه اليد .

فإن قيل : أحدث معاوية في الإسلام الحكم بالباطل ، والقضاء بما لا يحل من استلحاق زياد . قلنا : قد بينا في غير موضع أن استلحاق زياد إنما كان لأشياء صحيحة ، وعمل مستقيم نبينه بعد ذكر [أمثل] ما ادعى فيه المدعون من الانحراف عن الاستقامة ، إذ لا سبيل إلى تحصيل باطلهم ، لأن خرق الباطل لا يرفع ، ولسانه أعظم منه فكيف به لا يقطع ؟ !

قالوا : كان زياد ينتسب إلى عبيد الثقفي من سمية جارية الحارث ابن كلدة (٤٦٠) ، واشترى (زياد) عبيدا أباه بألف درهم فأعتقه (٤٦١) .

(٤٦٠) روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة زياد من تاريخ دمشق (٥ : ٤٠٩) عن عوانة بن الحكم الكلبي (أكبر شيوخ المدائني) أن سمية أم زياد كانت لدهقان من دهاقين الفرس ، فاشتكى وجع البطن وخاف أن يكون أصيب بداء الاستسقاء ، فدعا الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب - وقد كان قدم على كسرى - فعالج الدهقان فبرا ، فوهب له سمية ، فولدت

قال أبو عثمان النهدي : فكنا نقيطه . واستعمله عمر على بعض صدقات البصرة ، وقيل بل كتب لأبي موسى (٤٦٢) ، فلما لم يقطع الشهادة مع اليهود على المغيرة جلداهم وعزله وقال له : ما عزلتك لخزية ، ولكني كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك . ورووا أن عمر أرسله إلى اليمن في إصلاح فساد فرجع وخطب خطبة لم يسمع مثلها ، فقال عمرو بن العاص : « أما والله لو كان هذا الغلام قرشياً لساق الناس بمصاه » ، فقال أبو سفيان : والله إني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه ، فقال له علي : ومن ؟ قال : أنا . قال : مهلا يا أبا سفيان . فقال أبو سفيان آياتاً من الشعر :

أما والله لولا خوف شخص (٤٦٣) يراني يا علي من الأعادي

==
له أبا بكرة واسمه مسروح أو نفيح فلم يقر به . ثم ولدت نافعاً فلم يقر به ، فلما نزل أبو بكرة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الحارث بن كلدة لنافع : ان أخاك مسروحاً عبد وانت ابني . فأقر به يومئذ . وزوجها الحارث غلاماً له يقال له عبيد فولدت زيادا على فراشه ، وكان أبو سفيان سار إلى الطائف فنزل على رجل يقال له أبو مريم السلولي (قال : فاتاه أبو مريم بسمية فوقع بها فولدت زيادا) . [خ]

(٤٦١) في ترجمة زياد من تاريخ ابن عساكر (٥ : ٤٠٦ - ٤٠٧) خبر يرويه زهرة بن معبد ومحمد بن عمرو عن وفادة زياد وهو فتى على أمير المؤمنين عمر من قبل أبي موسى الأشعري في يوم جلواء قالا : فلما نظر إليه عمر رأى له هيئة حسنة وعليه ثياب بيض من كتان قال له : ما هذه الثياب ؟ فأخبره . فقال : كم ائمانها ؟ فأخبره بشيء يسير ، وصدقه . فقال له : كم عطاؤك ؟ فقال : الفان . فقال ما صنعت في أول عطاء خرج ؟ فقال : اشتريت به والدتي فأعتقتها ، واشتريت بالثاني ربيبي عبيداً فأعتقته ، فقال عمر : وفقت . وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن فوجده عالماً بالقرآن وإحكامه وفرائضه . فرد ، إلى أبي موسى ، وأمر أمراء البصرة أن يتبعوا رأيه . [خ]

(٤٦٢) نقل الحافظ ابن عساكر عن الحافظ أبي نعيم أن زيادا كتب لأبي موسى الأشعري ، ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ، ثم للمغيرة بن شعبة ، ثم لعبد الله بن عباس كتب لهؤلاء كلهم على البصرة . وكان أمير المؤمنين على إرادته أن يولي البصرة فأشار زياد عليه أن يوليها عبد الله بن عباس ووعده بأن يشير عليه ويعينه . [خ]

(٤٦٣) يعني عمر . [خ]

لأظهر أمره صخر بن حرب ولم تكن المقالة عن زياد
وقد طالت مخالتي ثقيفاً وتركى فيهم ثمر القوَاد
فذلك الذي حمل معاوية .

واستعمله على فارس ، وحى ، وجبى ، وفتح ، وأصلح .

وكانه معاوية يروم إفساده ، فوجه (زياد) بكتابه إلى على بشعر ،
فكتب إليه على : « إني وليتك : ما وليتك وأنت أهل لذلك عندي . ولن يدرك
ما تريد بما أنت فيه إلا بالصبر والبقين . وإنما كانت من أبى سفيان فلتة
[ومن] عمر ، لا تستحق بها نسبا ولا ميراثا . وإن معاوية يأتى المؤمن من
بين يديه ومن خلفه » . فلما قرأ زياد الكتاب قال : « شهد لى أبو حسن ورب
الكعبة » . فذلك الذى جرأ زياداً ومعاوية بما صنعا . ثم ادعاه معاوية سنة
أربع وأربعين ، وزوج معاوية ابنته من ابنه محمد . وبلغ الخبر أبا بكره -
أخاه لأمه - فألى يميناً ألا يكلمه أبداً ، وقال « هذا زنى أمه ، وانتفى من
أبيه . والله ما رأت سمية أبا سفيان قط ، وكف ، وكيف يفعل
بأم حبيبة (٤٦٤) : أيراها فيهلك حمة رسول الله ، وإن حبيبته فضحته » .
فقال زياد : جزى الله أبا بكره خيراً ، فإنه لم يدع النصيحة في حال . وتكلم
فيه الشعراء ، ورووا عن سعيد بن المسيب أنه قال : أول قضاء كان في الاسلام
بالباطل استلحاق زياد .

قال القاضى أبو بكر (رضى الله عنه) : قد بينا في غير موضع هذا الخبر ،
وتكلمنا عليه بما يغنى عن إعادته ، ولكن لابد في هذه الحالة من بيان
المقصود منه فنقول :

كل ما ذكرتم لا تنفيه ولا تثبته لأنه لا يحتاج إليه . والذى ندره حقاً
ونقطع عليه علماً أن زياداً من الصحابة بالمولد والرؤية (٤٦٥) ، لا بالتفقه

(٤٦٤) هى أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان وأخت معاوية . [خ]
(٤٦٥) ترجم له الحافظ ابن حجر في (الاصابة) والحافظ أبو عمر
ابن عبد البر في (الاستيعاب) ونقل في مولده أنه ولد عام الفتح ، وقيل عام
الهجرة ، وقيل يوم بدر . قال ابن حجر : وجزم ابن عساكر بأنه أدرك النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره . [خ]

والمعرفة . وأما أبوه فما علمنا له أباً قبل دعوى معاوية على التحقيق (٤٦٦) ، وإنما هي أقوال غائرة من المؤرخين . وأما شراؤه له فمراعاة للحضانة ، فإنه حضنه عند [أمه] إذ دخل عليه (فيه شبهة) ، بالحضانة إليه إن كان ذلك .

وأما قولهم إن أبا عثمان (النهدي) غبطه بذلك ، فهو بعيد على أبي عثمان ، فإنه ليس في أن يتناع أحد حاضنه أو أباه فيعتقه من المزية بحيث يغطه عليه أبو عثمان وأمثاله ، لأن هذه مرتبة يدركها الغنى والفقير والشريف والوضيع ، ولو بذل من المال ما يعظم قدره ، فيدرى به قدر مروءته في إهانة الكثير العظيم ، في صلة الولي الحميم . وإنما ساقوا هذه الحكاية ليجعلوا له أباً ، ويكون بمنزلة من اتقى من أبيه .

وأما استعمال عمر له فصحيح ، وناهيك بذلك تزكية وشرفاً وديناً .

وأما قولهم إن عمر عزله لأنه لم يشهد بباطل [فباطل] ، بل روى أنه لما شهد أصحابه الثلاثة (٤٦٧) وعمر يقول للمغيرة : ذهب ربك ، ذهب نصفك ، ذهب ثلاثة أرباعك ، فلما جاء زياد قال له : إني أراك صبيح الوجه ، وإني لأرجو أن لا يفضح الله على يديك رجلاً من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وأما خطبته التي ذكروا أنه عجب منها عمرو ، فما كان عنده فضل علم ولا فصاحة يفوق بها عمراً فمن فوقه أو دونه . وقد أدخل له الشيخ المفترى (٤٦٨) خطباً ليست في الحد المذكور .

وأما قولهم إن أبا سفيان اعترف به ، وقال شعراً فيه ، فلا يرتاب ذو تحصيل في أن أبا سفيان لو اعترف به في حياة عمر لم يخف شيئاً ، لأن الحال

(٤٦٦) من الثابت أن الحارث بن كلدة اعترف بابوته لنافع أخى زياد لأمه فصار يقال له نافع بن الحارث بن كلدة . ولا يعرف التاريخ أن عبيداً الثقفى أو الحارث بن كلدة اعترفا بزياد . [خ]

(٤٦٧) أصحابه الثلاثة في الشهادة على المغيرة أخواه لأمه : نافع ، ونافع الذى ينسب الى الحارث بن كلدة ، والثالث شبل بن معبد .

(٤٦٨) لعله يريد الجاحظ ، وأعظم خطبه التي أوردها له في (البيان والتبيين) خطبته التي تسمى (البتراء) وهى في أوائل الجزء الثانى .

لم يكن تظلو من أحد قسمن : إما أن يرى عمر الإلته به (٤٦٩) كما روى عنه في غيره فيصى ذلك ، أو يرد ذلك فلا يلزم أبا سفيان شيء باقتراف ما كان في الجاهلية . فذكرهم هذه الحكاية المخترعة الباردة المتهافة الخارجة عن حد الدين والتحصيل لا معنى لها (٤٧٠) .

وأما تولية على له فتزكية .

وأما بعث معاوية إليه ليكون معه فصحيح في الجملة . وأما تفصيل ما كتب معاوية ، أو كتب زياد به إلى على ، أو جاب به على زياداً ، فهذا كله مصنوع .

وأما قول على « إنما كانت من أبى سفيان فلتة (زمن عمر) لا تستحق بها نسبا » فلو صح لكان ذلك شهادة ، كما روى عن زياد ، ولم يكن ذلك بمبطل لما فعل معاوية ، لأنها مسألة اجتهد بين العلماء : فرأى على شيئاً ، ورأى معاوية وغيره ، غيره .

وأما (نكتة الكلام) وهو القول في استلحاق معاوية زياداً وأخذ الناس عليه في ذلك ، فأى أخذ عليه فيه إن كان سمع ذلك من أبيه ؟ وأى عار على أبى سفيان في أن يليط بنفسه ولد زنا كان في الجاهلية . فمعلوم أن سمية لم تكن لأبى سفيان ، كما لم تكن وليدة زمعة لعتبة ، ولكن كان لعتبة منازع تعين القضاء له ، ولم يكن لمعاوية منازع في زياد .

اللهم إن هاهنا نكتة اختلف العلماء فيها ، وهى أن الأخ إذا استلحق أخاً يقول هو ابن أبى ولم يكن له منازع بل كان وحده ، فقال مالك : يرث ولا يثبت النسب . وقال الشافعى — في آخرين — يثبت النسب ويأخذ المال ، هذا إذا كان المقر به غير معروف النسب . واحتج الشافعى بقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم « هو لك يا عبد بن زمعة ، الولد للفراش وللماهر الحجر (٤٧١) » فقضى بكونه للفراش وبإثبات النسب . قلنا هذا جهل عظيم ،

(٤٦٩) أى الحاقه والصاقه .

(٤٧٠) كذا في جميع النسخ ، وكتبها الشيخ مهيب الدين [له] (س)

(٤٧١) رواه البخارى ومسلم .

ودلك أن قوله ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قضى بكونه للفراش صحيح ، وأما قوله بثبوت النسب فباطل ، لأن عبداً ادعى سبيين : أحدهما الأخوة ، والثاني ولادة الفراش . فلو قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : هو أخوك ، الولد للفراش . لكان إثباتاً للحكم وذكراً للعلة . بيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدل عن الأخوة ولم يتعرض لها ، وأعرض عن النسب ولم يصرح به ، وإنما [هو] في الصحيح في لفظ « هو أخوك » وفي آخر « هو لك » ، معناه فأنت أعلم به . وقد مهدنا ذلك في مسائل الخلاف (٤٧٢) .

فالحارث بن كلدة لم يدع زياداً ولا كان إليه منسوباً ، وإنما كان ابن أمته ولد على فراشه — أى في داره — فكل من ادعاه فهو له ، إلا أن يعارضه من هو أولى به منه، فلم يكن على معاوية في ذلك مغز ، بل فعل فيه الحق على مذهب مالك .

فإن قيل : فلم أنكر عليه الصحابة ؟

قلنا : لأنها مسألة اجتهاد ، فمن رأى ان النسب لا يلحق بالوارث الواحد أنكر ذلك وعظمه .

فإن قيل : ولم لعنوه ، وكانوا يحتجون بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ملعون من اتسب لغير أبيه ، أو اتنى إلى غير مواليه » ؟ (٤٧٣) .

قلنا : إنما لعنه من لعنه لوجهين : أحدهما لأنه أثبت نسبه من هذا الطريق ، ومن لم ير لعنه لهذا لعنه لغيره . وكان زياد أهلاً أن يلعن — عندهم — لما أحدث بعد استلحاق معاوية (٤٧٤) .

فإن قيل : جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم للزنا حرمة ، ورتب عليها

(٤٧٢) روى نحوه البخارى ومسلم وغيره .

(٤٧٣) وأهم ذلك — عندهم — تسببه في قتل حجر بن عدى ، وقد مضى الكلام عليه .

(٤٧٤) مؤلف من مؤلفاته يقع في عشرين مجلداً يعتبر في حكم المفقود . [س]

حكما حين قال « احتجبي منه يا سودة (٤٧٥) » ، وهذا يدل على أن الزنا يتعلق به من حرمة الوطء ما يتعلق بالنكاح الصحيح . هكذا قال الكوفيون . ومالك في رواية ابن القاسم يساعدهم على المسألة ولا يساعدهم على دليها من هذا الوجه ، وقد بينها في كتاب النكاح . وقال الشافعي : العذر في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسودة بالاحتجاب مع ثبوت نسبه من زمعة وصحة أخوته لها بدعوى عبد أن ذلك تعظيم لحرمة أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنهن لم يكن كأحد من النساء في شرفهن وفضلهن .

قلنا : لو كان أخاها بنسب ثابت صحيح كما قلتم ، ويكون قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « الولد للفراش » تحقيقا للنسب ، لما منع النبي صلى الله عليه وسلم سودة منه ، كما لم يمنع عائشة من الرجل الذي قالت : هو أخي من الرضاعة ، وإنما قال « انظرن من اخوانكن » .

وأما ما روى عن سعيد بن المسيب ، فأخبر عن مذهبه في أن هذا الاستلحاق ليس بصحيح ، وكذلك رأى غيره من الصحابة والتابعين . وقد صارت المسألة إلى الخلاف بين الأمة وفقهاء الأمصار ، فخرجت من حد الانتقاد إلى حد الاعتقاد . وقد صرح مالك في كتاب الإسلام وهو (الموطأ) بنسبه فقال في دولة بني العباس « زياد بن أبي سفيان » ، ولم يقل كما يقول المخاذل « زياد بن أبيه » ، هذا على أنه لا يرى النسب يثبت بقول واحد . ولكن في ذلك فقه بديع لم يتفطن له أحد ، وهو أنها لما كانت مسألة خلاف ،

(٤٧٥) في كتاب الأقيسة من (موطأ مالك) ب ٢١ ص ٧٤٠ عن ابن شهاب عن عروة ابن الزبير عن عائشة قالت : كان عتبة بن أبي وقاص عهد إلى أخيه سعد بن أبي وقاص أن ابن وليدة زمعة مني (جاريته) ، فاقبضه إليك . قالت فلما كان عام الفتح أخذه سعد وقال : ابن أخي ، قد كان عهد إلى فيه . فقام إليه عبد بن زمعة فقال : أخي ، وابن وليدة أبي ، ولد على فراشه . فتساوفا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال سعد : يا رسول الله ، ابن أخي ، قد كان عهد إلى فيه . وقال عبد بن زمعة : أخي ، وابن وليدة أبي ، ولد على فراشه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « وهو لك يا عبد بن زمعة » . ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم « الولد للفراش ، وللماهر الحجر » . ثم قال لسودة بنت زمعة « احتجبي منه » لما رأى من شبهه بعتبة بن أبي وقاص ، قالت : فما رأها حتى لقي الله عز وجل . وأخرجه البخاري (ك ٣٤ ب ٣) ومسلم (ك ١٧ ب ١٠ ح ٣٦) . [خ]

ونفذ الحكم فيها بأحد الوجهين ، لم يكن لها رجوع فإن حكم القاضي في مسائل الخلاف بأحد القولين يمضيها ويرفع الخلاف فيها ، والله أعلم .

وأما روايتهم أن عمر قال « كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس » فهذه زيادة ليس لها أصل ، من ناقص عقل . وأى عقل كان لزيد به على الناس في أيام عمر (٤٧٦) ، و [غلام] كل واحد من الصحابة كان أعقل من زياد وأعلم منه ، ولهذا كل من كمل عقله أكثر من الآخر فهو أولى أن يختلط مع الناس . ويقولون : [إنه] كان داهية ، وهى كلمة واهية . الدهاء والأرب هو المعرفة بالمعاني ، والاستدلال على العواقب بالمبادئ . وكل أحد من الصحابة والتابعين فوق زياد . وتلك الروايات التى يروى المؤرخون — من كذبهم — في حيل الحرب والفتك بالناس ، كل أحد اليوم يقدر على مثلها وأكثر منها ، والحيلة إنما تكون بديعة وتنشى وتروى إذا وافقت الدين ، وأما كل حكاية تخالف الدين فليس في روايتها [ولا في روايتها] خير ولا عقل . وكل الناس كما قدمنا — وخذ من ولاة بنى أمية خاصة — أعقل من زياد وأفصح منه . فلا تلتفتوا إلى ما روى من الأباطيل .



نكتة

[والولايات] والعزلات لها معان وحقائق لا يعلمها كثير من الناس . لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات عن زهاء اثنى عشر ألفاً من الصحابة معلومين . منهم ألفان أو نحوهما مشاهير في الجلالة ، ولى منهم أبو بكر سعداً وأبا عبيدة ويزيد وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل ونفراً غيرهم فوقهم ، وولى أنس بن مالك ابن عشرين سنة على البحرين اقتداء بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم في عتاب (٤٧٧) . ومتى كان استوفى

(٤٧٦) لأنه كان لما دخل على عمر في السابعة عشرة من عمره على ما نقله البخارى في تاريخه الاوسط عن يونس بن حبيب عن آل زياد . [خ]
(٤٧٧) عتياب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية (انظر ص ١٨١) . [ح]

المشيخة حتى يأخذ الشبان . وولى عمر أيضاً كذلك ، وبادر بعزل خالد .
وذلك كله لفقه عظيم ومعارف بديعة بيّانها في موضعها من كتب الإمامة
والسياسة من الأصول ، فخذوا في فن غير هذا ، فليس هذا الباب ، مما تلوكة
أشدّاق أهل الآداب .

وأما ما روى عن معاوية أنه استدعى شهوداً فشهد السلولى وسواه (٤٧٨)
فسل من الحق ، ما روى عن السلولى ، فإنه لم يكن قط . وأسعد باسقاط
ما روى في القصة سعيد أو سعد . وأما كلام أبى بكره - أخيه لأمه - فيه
فغير ضائر له ، لأن ذلك رأى أبى بكره واجتهاد . وأما قولهم فيها عن
أبى بكره أنه زنى أمه ، فلو كان ذلك صحيحاً لم يضر أمه ما جرى في
الجاهلية في الدين ، فإن الله عفا عن [أمر] الجاهلية كلها بالإسلام ، وأسقط
الاثم والعار منه ، فلا يذكره إلا جاهل به .

قال القاضي أبو بكر (رضى الله عنه) : والناس إذا لم يجدوا عيباً لأحد
وغلّبهم الحسد عليه وعداوتهم له أحدثوا له عيوباً . فاقبلوا الوصية ،
ولا تلتفتوا إلا إلى ما صح من الأخبار ، واجتنبوا - كما ذكرت لكم - أهل
التواريخ ، فإنهم ذكروا عن السلف أخباراً صحيحة يسيرة ليتوسلوا بذلك
إلى رواية الأباطيل ، فيقذفوا - كما قدمنا - في قلوب الناس ما لا يرضاه
الله تعالى ، وليحتقروا السلف ويهونوا الدين ، وهو أعز من ذلك ، وهم أكرم
منا ، فرضى الله عن جميعهم .

ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الهتوك التي يختلقها
أهل التواريخ فيدسونها في قلوب الضعفاء ، وهذا زياد لما أحسن المنية

(٤٧٨) السلولى مالك بن ربيعة أبو مريم ، وكان ذلك سنة ٤٤ ، وكان
معه في الشهادة زياد بن أسماء الحرمازى والمنذر بن الزبير - فيما ذكر المدائنى
بأسانيد - وجويرية بنت أبى سفيان والمسور بن قدامة الباهلى وابن أبى
نصر الثقفى وزيد بن نفيل الأزدي وشعبة بن العلقم المازنى ورجل من بنى عمرو
ابن شيبان ورجل من بنى المصطلق ، شهدوا كلهم على أبى سفيان أن زياداً ابنه ،
إلا المنذر فشهد أنه سمع علياً يقول : أشهد أن أباً سفيان قال ذلك . فخطب
معاوية فاستلحق زياداً ، وتكلم زياد فقال : ان كان ما شهد به الشهود حقاً
فالحمد لله ، وان كان باطلاً فقد جعلتهم بينى وبين الله . [خ]

استخلف سمرة بن جندب من كبار الصحابة فقبل خلافته ، وكيف يظن به — على منزلته — أنه يقبل ولاية ظالم لغير رشدة ، وهو على ما هو عليه من الصحة ، وذلك من غير إكراه ولا تقية ؟ إن هذا هو الدليل المبين . فمع من تحبون أن تكونوا : مع سمرة بن جندب ، أو مع المسعودي والمبرد وابن قتيبة ونظرائهم (٤٧٩) ؟ وهذا غاية في البيان .



قاسمة

كانت الجاهلية مبنية على العصبية ، متعاملة بينها بالحمية . فلما جاء الإسلام بالحق ، وأظهر الله منته على الخلق ، قال الله سبحانه « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتكم بنعمته إخوانا » (آل عمران : ١٠٣) . وقال لنبه « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم » (الأنفال : ٦٣) فكانت بركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تجمعهم ، وتجمع شملهم ، وتصلح قلوبهم ، وتمحو ضغائنهم .

واستأثر الله برسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونفرت النفوس ، وتماسكت الظواهر منجرة ، مادام الميزان قائماً . فلما رفع الميزان — كما تقدم ذكره في الحديث — أخذ الله القلوب عن الألفة ، ونشر جناحاً من التقاطع ، حتى سوى جناحين بقتل عثمان ، فطار في الآفاق ، واتصل الهرج إلى يوم المساق . وصارت الخلائق عزيزين (٤٨١) ، وفي واد من العصبية يهيمون :

(٤٧٩) حكم القاضي أبو بكر على ابن قتيبة هذا الحكم القاسي وهو يظن أن كتاب (الامامة والسياسة) من تأليفه كما سيأتي . وكتاب الامامة والسياسة فيه أمور وقعت بعد موت ابن قتيبة ، فدل ذلك على أنه ممدسوس عليه من خبيث صاحب هوى . ولو عرف المؤلف هذه الحقيقة لوضع الجاحظ في موضع ابن قتيبة . [خ]

(٤٨١) جمع عزة : العصبية من الناس .

فمنهم بكرية ، وعمرية ، وعثمانية ، وعلوية ، وعباسية — كل تزعم أن الحق معها وفي صاحبها ، والباقي ظلوم غشوم مقتر من الخير عديم . وليس ذلك بمذهب ، ولا فيه مقالة ، وإنما هي حماقات وجهالات ، أو سائس للضلالات ، حتى تضمحل الشريعة ، وتهزأ الملحدة من الملة ، ويلهو بهم الشيطان ويلعب ، وقد سار بهم في غير مسير ولا مذهب .

قالت البكرية ، أبو بكر نص عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة ، ورضيته الأمة للدنيا ، وكان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتلك المنزلة العليا ، والمحبة الخالصة . وولى فعديل ، واختار فأجاد . إلا أنه أوهم في عمر فإنه أمره غليظ ، وفظاظته غلبت . وذكروا معائب . وأما عثمان فلم يخف ما عمل وكذلك علي . وأما العباس فغير مذكور .

وقالت العمرية : أما أبو بكر ففاضل ضعيف ، وعمر إمام عدل قوى بمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم له في حديث الرؤيا والدلو والعبري كما تقدم . وأما عثمان فخرج عن الطريق : ما اختار وأيا ، ولا في أحداً حقاً ، ولا كف أقاربه ؛ ولا اتبع سنن من كان قبله . وأما عليٌّ فجريء على الدماء . لقد سمعت في مجالس أن ابن جريج^(٤٨٣) كان يقدم عمر على أبي بكر وسمعت الطرطوشي يقول : لو قال أحد بتقديم عمر لتبعته .

وقالت العثمانية : عثمان له السوابق المتقدمة ، والفضائل والفواضل في الذات والمال ، وقتل مظلوماً .

وقالت العلوية : علي ابن عمه وصهره وأبو سبطي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه حضانة .

وقالت العباسية : هو أبو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأولاهم بالتقديم بعده . وطولوا في ذلك من الكلام ما لا معنى لذكره لدناءته^(٤٨٥) . ورووا أحاديث لا يحل لنا أن نذكرها لعظيم الافتراء فيها ودناءة رواتها .

(٤٩٣) عبد الملك بن عبد العزيز المكي أحد الأعلام توفي سنة ١٥٠ . [خ]

(٤٨٥) وأكثر ذلك كان في زمن دولتهم . [خ]

وأكثر الملحدة على التعلق بأهل البيت (٤٨٦) ، وتقدمة على جميع الخلق ، حتى إن الرافضة انقسمت إلى عشرين فرقة أعظمهم بأساً من يقول إن علياً هو الله . والغرابية يقولون إنه رسول الله لكن جبريل عدل بالرسالة عنه إلى محمد حمية منه معه .. في كفر بارد لا تسخنه إلا حرارة السيف ، فأما دفع المناظرة فلا يؤثر فيه .



(٤٨٦) يتخذونهم ذريعة ، ويطعنون في كثير من أفاضلهم ، ويمرضسون بمثل الإمام زيد . ثم انهم يخالفون صريح شريعة جد أهل البيت بدعوى العصمة والتأليه الفعلى لبغض أفرادهم . [خ]

عاصمة

إنما ذكرت لهم هذا لتحترزوا من الخلق ، وخاصة من المفسرين ،
والمؤرخين ، وأهل الآداب ، فإنهم أهل جهالة (٤٨٧) بحرمت الدين ، أو على
بدعه مصرّين ، فلا تبالوا بما رويوا ، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث ،
ولا تسمعوا لمؤرخ كلاماً إلا للطبري (٤٨٨) ، (٤٨٩) ، وغير ذلك هو الموت
الأحمر ، والداء الأكبر ، فإنهم ينشئون أحاديث استحقار الصحابة
والسلف (٤٩٠) ، والاستخفاف بهم ، واختراع الاسترسال في الأقوال والأفعال

(٤٨٧) يقصد بذلك المفسرين الجاهلين بعلم الحديث ، مادام أن الرسول
يشرح القرآن . وخير التفاسير : تفسير الامام ابن كثير . [٢]
(٤٨٨) نعل القاضي ابن العربي قصد من كلامه أن تاريخ الطبري ذكر حوادثه
مسندة الى رجالها ، وفيهم الصادق وفيهم الكاذب . ويستطيع المؤرخ العالم
بالرجال تمييز الحق من الباطل . أما غير العالم بعلم الأسانيد ، فيضل ضلالاً
بعيداً بقراءته لتاريخ الطبري ، فيكون مثله مثل حاطب ليل يحمل الأفعى وهو
لا يدري وفي ذلك هلاكه وضلاله .

وقد ناقشنا بعض أساتذة التاريخ في بعض الجامعات العربية وذكرت لهم
خطأ ما كتبوا ، فكان يؤيدون كلامهم بأنهم إنما كان مصدرهم تاريخ الطبري . [٣]
(٤٨٩) ومع ذلك فالطبري ذكر مصادر أخباره وسمى روايات لتكون من
أمرهم على بينة ، وقال في آخر مقدمة كتابه : فما يكن في كتابي هذا من خبر
يستنكره قارئه من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة فليعلم أنه لم يؤت
في ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا . [خ]
(٤٩٠) ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :
يقول الله تعالى (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) .
قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده
لو انفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » مخرج من
الصحيحين .

ففي هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضاً بعد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وسبهم وافترى عليهم وعابهم وكفرهم واجترا عليهم .
وفي الحديث : « حب الانتصار من الإيمان وبفضهم من النفاق » .

عنهم ، وخروج مقاصدهم عن الدين إلى الدنيا ، وعن الحق إلى الهوى . فإذا قاطعتم أهل الباطل واقتصرتم على رواية المدول ، سلمتم من هذه الحبال ، ولم تطووا كشحا على هذه الفوائل . ومن أشد شيء على الناس جاهل عاقل (٤٩١) ، أو مبتدع محتال . فأما الجاهل فهو ابن قتيبة ، فلم يبق ولم يذر للصحابة رسماً في كتاب (الامامة والسياسة) إن صح عنه جميع ما فيه (٤٩٢) وكالمبرد في كتابه الأدبي (٤٩٣) . وأين عقله من عقل ثعلب الامام

ولولا هم ما وصل الينا من الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً . ولا علمنا من الاحاديث والاخبار شيئاً . فمن طعن فيهم أو سبهم ، فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين ، لأن الطعن لا يكون الا عن اعتقاد مساوئهم واضمار الحقد عليهم وانكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم . وما ذكره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ، ولأنهم أَرْضَى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول والطعن في الوسائط طعن في الأصل والازدراء بالنقل ازدراء بالمنقول . وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والاحاد في عقيدته .

وقد نص النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث العرياض بن سارية حيث قال : عليكم سنن وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور (الحديث) . وقال تعالى : (ثانی اثنین اذ هما فی الفار) الآية . الا خلاف أيضاً ان ذلك في أبي بكر رضي الله عنه شهدت له الربوبية بالصحة وبشره بالسكينة وخلاه بثاني اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما) وقال تعالى : (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) قال جعفر الصادق : لا خلاف ان الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه وأي منقبة أبلغ من ذلك فيهم رضي الله عنهم جميعاً . [٢]

(٤٩١) هكذا في الأصل ، ولعل الصحيح : « غافل » . ومثل المسعودي في الدس على الدس على التاريخ مدفوعاً بالتشيع المقنوت الاصفهاني في كتابه الأغاني فانه ينسب الى يزيد شرب الخمر وعشق النهود وانه مات بين العاشقات فعلى الاصفهاني ما يستحق علي افتراءه وكذبه . [٣]

(٤٩٢) لم يصح عنه شيء مما فيه . ولو صحت نسبة هذا الكتاب للامام الحجة الثبت أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة لكان كما قال عنه ابن العربي ، لأن كتاب الامامة والسياسة مشحون بالجهل والغباوة والركة

المتقدم في أماليه ، فإنه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة
وأما المبتدع المحتال فالمسعودي ، فإنه بها يأتي منه متاخمة الالحاد فيما روى
من ذلك ، وأما البدعة فلا شك فيه (٤٩٤) . فإذا صنتم أسماعكم وأبصاركم
عن مطالعة الباطل ، ولم تسمعوا في خليفة ممن ينسب إليه ما لا يليق ويذكر
(عنه) ما لا يجوز نقله ، كنتم على منهج السلف سائرين ، وعن سبيل الباطل
ناكبين .

والكذب والتزوير . ولما نشرت لابن قتيبة كتاب (الميسر والقдах) قبل أكثر
من ربع قرن ، وصدرته بترجمة حافلة له ، وسميت مؤلفاته ، ذكرت (في
ص ٢٦ - ٢٧) مأخذ العلماء على كتاب الامامة والسياسة ، وبراهينهم على
انه ليس لابن قتيبة . وأزيد الآن على ما ذكرته في (الميسر والقдах) أن مؤلف
الامامة والسياسة يروى كثيرا عن اثنين من كبار علماء مصر وابن قتيبة لم يدخل
مصر رلا أخذ عن هذين الصالحين ، فدل ذلك كله على أن الكتاب مدسوس
عليه . [خ]

(٤٩٣) المبرد ينزع الى شيء من رأى الخوارج ، وله فيهم هوى . وان
امامته في اللغة والادب لا تغطي على ضعفه في علم الرواية والاسناد . وإذا كان
ابو حامد الغزالي على جلالته في العلوم الشرعية والعقلية .

(٤٩٤) على بن الحسين المسعودي يعده الشيعة من شيوخهم وكبارهم ،
ويذكر له المامقاني في تنقيح المقال (٢ : ٢٨٢ - ٢٨٣) مؤلفات في الوصاية
وعصمة الامام وغير ذلك مما يكشف عن عصبية والتزامه غير سبيل أهل
السنة المحمدية . ومن طبيعة التشيع والتحزب والتعصب البعد بصاحبه عن
الاعتدال والانصاف . [خ]

(*) لم يتجاوز له العلماء عن ضعفه في علوم الاسناد فأخرى الا يتجاوزوا
عن مثل ذلك للمبرد . وعلى كل حال فكل خبر مما مضى أو سيأتي - في أمتنا
أو في أية أمة غيرها - يحتمل الصدق والكذب حتى يثبت صدقه أو كذبه على
محك الاختبار وبالبحث العلمي . [م]

(**) ليس هذا الكلام على اطلاقه ، فان للغزالي عشرات رهبة في كثير
مما ذهب اليه في العقلية وغيرها ومن أراد التحقيق فليراجع كتاب « تلبيس
ابليس » للامام ابن الجوزي وفتاوى شيخ الاسلام الامام ابن تيمية رحمهما
الله . [م]

فهذا مالك رضى الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان في موطنه ، وأبرزه في جملة قواعد الشريعة (٤٩٥) .

وقال في روايته : « عن زياد بن أبي سفيان » ، فنسبه إليه وقد علم قصته ، ولو كان عنده ما يقول العوام حقاً لما رضى أن ينسبه ولا ذكره في كتابه الذي أسسه للإسلام (٤٩٦) ، وقد جمع ذلك كله في أيام بني الصباس والدولة لهم والحكم بأيديهم فما غيروا عليه ولا أنكروا ذلك عنه لفصل علومهم ومعرفتهم بأن مسألة زياد مسألة قد اختلف الناس فيها فمنهم من جوزها ومنهم من منعها ، فلم يكن لا اعتراضهم إليها سبيل .

وكذلك أعجبهم — حين قرأ الخليفة على مالك الموطأ — ذكر عبد الملك ابن مروان فيه وإذكاره بقضائه ، لأنه إذا احتج العلماء بقضائه فسيحتج بقضائه أيضاً مثله ، وإذا طعن فيه طعن فيه بمثله (٤٩٧) .

(٤٩٥) من ذلك ما جاء في (باب المستكرهة من النساء) بكتاب الافضية من الموطأ (ص ٧٣٤) : حدثني مالك عن ابن شهاب أن عبد الملك بن مروان قضى في امرأة أصيبت مستكرهة بصدافها على من فعل ذلك بها . وفي كتاب المكاتب من الموطأ (ص ٧٨٨) قضاء آخر لعبد الملك . وفي كتاب العقول من الموطأ (ص ٨٧٢) قضاء له أيضاً . أما أبوه مروان بن الحكم فاقضيته وفتاواه كثيرة في الموطأ . وغيره من كتب السنة المتداولة في أيدي أئمة المسلمين يعملون بها . وانظر لورع مروان وابنه عبد الملك حديث مالك عن ابن أبي عتبة في كتاب النكاح من الموطأ (ص ٥٤٠) . [خ]

(٤٩٦) وعامر بن شراحيل الشعبي كان من أئمة المسلمين كذلك ، بل أن مالكا كان يراه اماماً له . وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة زياد من تاريخ دمشق (٥ : ٤٠٦) أن الشعبي قال : أتت زياداً قضية في رجل مات وترك عمه وخالة فقال : « لأقضي بينكم بقضاء سمعته من عمر بن الخطاب » وذلك أنه جعل العمه بمنزلة الأخ والخالة بمنزلة الأخت . [خ]

(٤٩٧) وممن روى عن عبد الملك بن مروان البخاري في كتابه (الادب المفرد) روى عن عبد الملك الامام الزهري وعروة بن الزبير ، وخالد بن معدان من فقهاء التابعين وعبيداهم ، ورجاء بن حيوة أحد الاعلام . قال نافع مولى ابن عمر : لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفقه ولا أقراً لكتاب الله من عبد الملك بن مروان . وروى الأعمش عن أبي الزناد أن فقهاء المدينة كانوا أربعة : سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب

وأخرج البخارى (٤٩٨) عن عبد الله بن دينار قال : شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان كتب : إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ، ما استطعت . وإن بنى قد أقروا بمثل ذلك .

وهذا المأمون كان يقول بخلق القرآن ، وكذلك الواثق ، وأظهروا بدعتهم ، وصارت مسألة معلومة إذا ابتدع القاضى أو الإمام هل تصح ولايته وتنفذ أحكامه أم هي مردودة ؟ وهي مسألة معروفة . وهذا أشد من برودات ذكرها أصحاب التواريخ من أن فلاناً الخليفة شرب الخمر أو غنى أو فسق أو زنى ، فإن هذا القول فى القرآن بدعة أو كفر - على اختلاف العلماء فيه - قد اشتهروا به ، وهذه المعاصى لم يتظاهروا بها إن كانوا فعلوها فكيف ثبت ذلك عليهم بأقوال المغنين والبراد من المؤرخين (الذين) قصدوا بذكر ذلك عنهم تسهيل المعاصى على الناس وليقولوا إذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا فما يستبعد ذلك منا . وساعدهم الرؤساء على إشاعة هذه الكتب وقراءتها لرغبتهم فى مثل أفعالهم حتى صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، وحتى سمحوا للجاحظ (٤٩٩) أن تقرأ كتبه فى المساجد وفيها من الباطل والكذب

وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل الإمارة . وقال الشعبى : ما جالست أحداً الا وجدت لى الفضل عليه ، الا عبد الملك بن مروان فانى ما ذاكرته حديثاً الا زادنى منه ، ولا شعرا الا زادنى فيه (البداية والنهاية ٩ : ٦٢ - ٦٣) . (خ) (٤٩٨) فى كتاب الأحكام من صحيحه (ك ٩٣ ب ٤٣ ج ٨ ص ١٢٢) . وانظر السنن الكبرى للبيهقى ٨ : ١٤٧ . (خ)

(٤٩٩) قال ابن قتيبة يصف الجاحظ وتلاعبه ونفاقه : تجده يحتج مرة للعثمانية على ابرافضة ، ومرة للزيدية على العثمانية وأهل السنة .

ومرة يفضل علياً رضى الله عنه ، ومرة يؤخره ، ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويتبعه قال : الجمار ، وقال اسماعيل بن غزوان : كذا وكذا من الفواحش .

ويجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أن يذكر فى كتاب ذكرنا فيه فكيف فى ورقة ، أو بعد سطر وسطرين ! ويعمل كتاباً ، يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين . فاذا صار الى الرد

والمناكير ونسبة الأنبياء إلى أنهم ولدوا لغير رشدة كما قال في إسحاق صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب الضلال والتضليل ، وكمامكنوا من قراءة كتب الفلاسفة (٥٠٠) في إنكار الصانع وإبطال الشرائع لما لوزرائهم وخواصهم في

عليهم ، تجوز في الحجة ، كأنه إنما أراد تنبيههم على ما لا يعرفون ، وتشكيك الضعفة من المسلمين .

وتجده يقصد في كتبه للمضاحيك والعبث ، يريد بذلك استمالة الاحداث ، وشراب النبيذ .

ويستهزئ من الحديث ، استهزاء ، لا يخفى على أهل العلم . كذكره كبد الحوت ، وقرن الشيطان ، وذكر الحجر الأسود وأنه كان أبيض ، فسوده المشركون ، وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا . ويذكر الصحيفة التي كان فيها المنزل في الرضاع ، تحت سرير عائشة ، فأكلتها الشاة ..

وهو — مع هذا — من أكذب الأمة وأوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل .. (تأويل مختلف الحديث ص ٥٩ - ٦٠) . [خ]

(٥٠٠) ان قصة المسلمين مع الفلسفة اليونانية قصة مليئة بالفواجع والنكبات . والغريب — والغريب جداً — أنه لا يزال الكثير من مثقفينا يعتقد أن سبب نهضة المسلمين يعود الى هذه الفلسفة ، مع انها كانت من أعظم أسباب نزاعهم وبعدهم عن دينهم وضياع مجدهم ، وقد تحقق فيهم خبر أحد الاخبار : وتفصيل ذلك — كما رواه العلامة الشيخ محمد السفاريني — « قال العلماء ان المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى — أظنه صاحب جزيرة قبرص — طلب منه خزانة كتب اليونان ، وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد ، فجمع الملك خواصه من ذوى الراى واستشارهم في ذلك ، فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها اليه الا واحد ، فانه قال : جهزها اليهم ! فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية الا أفسدتها وأوقعت بين علمائها !! » لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الاثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ج ١ ص ٩ .

ومن الجدير بالذكر أن أولئك النصارى قد طمروا هذه الفلسفة تحت الأرض تخلصاً من شرها لما لمسوه من فسادها وهدمها للدين والفضيلة ! أجل قد تحقق في المسلمين تنبؤ الخبر ، فما كاد علماء المسلمين — بعد ان بلغ مجد الاسلام ذروته في القوة والفتح والعلم — يشتغلون بفلسفة اليونان ، حتى راحوا يؤولون نصوص الشريعة الاسلامية حتى تتفق مع هذه الفلسفة فمسخوا الاسلام وأخذوا يزعمون ان للاسلام ظاهراً وباطناً ، ظاهره للعامة ،

ذلك من الأغراض الفاسدة والمقاصد الباطلة ، فإن زل فقيه أو أساء العبارة
عالم :

وباطنه للعلماء والحكماء ، وأخذوا يشتغلون بعلم الكلام يسمونه ظلماً وعدواناً
بعلم التوحيد ، ولا يكاد يكون فيه من التوحيد إلا الاسم ، أما محتواه ، فهو
الفلسفة - نفسها وقد حرم دراسته كبار علماء السلف وأئمة المذاهب أمثال
مالك والشافعي وابن حنبل رضي الله تعالى عنهم .

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - « ما أظن الله يفضل
عن المأمون ، ولا بد أن يعاقبه على ما أدخله على هذه الأمة ! » .

وقد انبرى هذا الإمام العظيم للفلاسفة المنحرفين المتصفين بالمسلمين الذين
نهلوا من حمأة الفلسفة اليونانية وأثبت زيفهم وضلالهم وانحرافهم في كثير من
كتبه التي دخل فيها التاريخ ، وحقق لكليات الفلسفة في البلدان العربية
والإسلامية دراسة آرائه وردوده على الفلسفة اليونانية وعلى الذين اعتنقوها
من المسلمين .

ولم ينج من هذا الضلال والانحراف إلا السلفيون المستمسكون بهدى
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذين عصمهم الله سبحانه لتسمكهم
بنصوص الشريعة الثابتة ، فكانوا في وجه تيار الفلسفة الجارف وعاصفته
الهُجاء كالجبل الأشم ، وكالصخرة الصلدة .

وكان يزيد ما مر الليالي جدة وتقادم الأيام حسن شباب ! فكانوا بمسكون
بكتاب الله وسنة نبيه دون تأويل ولا تعطيل في أسماء الله وصفاته .
ومن قال أن الشهب أكبرها السنا

بغير دليل كذبه الدلائل !

وقد تحدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الاختلاف الذي سيقع
بين المسلمين وعن طريقة النجاة منه فقال :

(ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة
في الجنة !! وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي !) - رواه
أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة بسند صحيح - .
إن أهل القرآن والحديث رحم الله موتاهم وبارك في أحيائهم وأمدهم بقوته
وتوفيقه ، هم مصابيح الهدى والدعاة إلى الرشاد والتقوى ، من عاداهم هلك ،
ومن تركهم ضل ، وهم المنصورون على خصومهم ، بشرهم بذلك النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فقال :

« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي
أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس ! » - رواه البخاري ومسلم - ، وقد ذكر
الإمام أحمد بن حنبل وابن المبارك وسفيان الثوري وغيرهم من كبار العلماء بأن

يكن ما أساء النار في رأس كبكبا (٥٠١)

هذه الطائفة هم أهل الحديث الذين يتعاهدون مذهب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويلبسون عنه الظلم ، لولا هم لأهلك الناس المعتزلة وأهل الرأي . حسبهم شرفاً وفخراً أنهم جعلوا السنة نبزاً لهم فكانوا هداة مهديين وغدوا مصابيح الهدى .

نقلا عن مجلة التمدن الاسلامي مجلد ٣٣ (٩ - ١٢) ص ١٩١ - ١٩٢ .
قال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

وقد كانوا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة ، قال مالك رحمه الله : « السنة مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك » وهذا حق ، فان سفينة نوح انما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم ، وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين . واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله ، فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح في السفينة باطناً وظاهراً والمتخلف عن اتباع الرسالة بمنزلة المتخلف عن اتباع نوح عليه السلام وركوب السفينة معه .

وهكذا اذا تدبر المؤمن العالم سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الامم التي فيها ضلال وكفر ، وجد القرآن والسنة كاشفين لآحوالهم ، مبينين لحقهم ، مميزين بين حق ذلك وباطله . والصحابة كانوا اعلم الخلق بذلك ، كما كانوا اقوم الخلق بجهاد الكفار والمنافقين ، كما قال فيهم عبد الله بن مسعود ، « من كان منكم مستنئاً فليستن بمن قد مات - يقصد الصحابة - فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا ابراً هذه الأمة قلوباً ، واعمقها علماً ، واقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، واقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بدينهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم . (فتاوى ابن تيمية ٤ / ١٣٧ - ١٣٨) .

فأخبر عنهم بكمال بر القلوب ، وكمال عمق العلم ، وهذا قليل في المتأخرين . .

وما أحسن ما قاله الامام احمد : « اصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم (المصدر السابق ص ١٥٥) » .
نعود بعد هذا الاستطراد الى المأمون فنقول :

ومع كل الطامات له وقد ذكرنا بعضها فيما سبق ، يعتقد بعضهم ان عصره كان عصرأ ذهبياً في تاريخ المسلمين ، وكم كنا نود أن نتحدث عن محاربته لأهل السنة وتعليبه لهم وعلى رأسهم الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ورضي عنه ، واكمراه لأصحاب الاعتزال والزنادقة ، غير ان المقام لا يتسع لذلك . [م]

(٥٠١) كبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها . والشمر للأعشى ، وتمامه :

ومن يفترب عن قومه لا يزل يرى
وتدفن منه الصالحات ، ان يسىء
مصارع مظلوم مجرراً ومسحبا
يكن ما أساء النار في رأس كوكبا[خ]

وبالوقوف على هذه الفصول (٥٠٢) تحسن نياتكم ، وتسلم [من] التغير
قلوبكم على من سبق .

وقد بينت لكم أنكم لا تقبلون على أنفسكم في دينار ، بل في درهم ،
إلا عدلاً بريئاً من التهم ، سليماً من الشهوة . فكيف تقبلون في أحوال
السلف (٥٠٣) وما جرى بين الأوائل ممن ليس له مرتبة في الدين ، فكيف في
العدالة !

(٥٠٢) لاشك أن هذا الكتاب القيم سيحدث انقلاباً عظيماً في نفوس
قرائه ، وسيزيل من أفكارهم ما علق فيها من الدسائس التي ثبت لهم كذبها .
وقد تلقوها في كتب التاريخ التي لا يزال أبناؤنا — ويا للأسف — يتدارسونها ،
فسممتهم ، وهى من وضع خصوم الاسلام .

كل ما عزاه أعداء الصحابة .. رضوان الله عليهم أورده القاضى ابو بكر
ابن العربى وسماه (قواصم) وأجاب عن كل قاصمة بعاصمة من الحق عن
أصدق المصادر ، وأصحها بعد كتاب الله . ومن ذلك تألف كتاب « العواصم
من القواصم » الذى علقنا عليه بما لم يترك مقالاً لقاتل ، فارجع اليه لتطهير قلبك
من الفل على الذين آمنوا من تلاميذ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وخاصة
أحبابه . فان أعداءهم شنعوا الكتب بالأكاذيب التي انتشرت وأفسدت قلوب
بعض المسلمين على سلفهم الأول ، الى أن أظهر الله — سبحانه — الحق بكتاب :
« العواصم من القواصم » فانتفع به الكثيرون والله الحمد والمنة .

وستعجب — أيها القارئ — بعد الاطلاع على الحقائق التاريخية هناك كيف
ان الأمة الاسلامية ذهبت ضحية لشرذمة من الطغام الخارجين على العدل
عصور الاسلام وأسعدها منذ كذبوا ، ثم كذبوا ، حتى انخدع الناس بأكاذيبهم ،
فظنوا سحرها حقيقة ، ولكن ما لبثت الوقائع أن تبينت كما هى ، فجاء
الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقاً . (محب الدين الخطيب المنتقى
ص ٣٧٤) م .

(٥٠٣) جاء في المفيدة الطحاوية وشرحها .
وعلماء السلف من السابقين ، ومن بعدهم من التابعين — أهل الخير والأثر ،
وأهل الفقه والنظر — لا يذكرون الا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير
السبيل .

قال تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير
سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » (النساء : ١١٥) .
فيجب على كل مسلم بعد موالة الله ورسوله موالة المؤمنين كما نطق به
القرآن ، خصوصاً الذين هم ورثة الانبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم —
فيما اذا بلغونا عن الرسول — يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر . وقد أجمع

رحم الله عمر بن العزيز حيث قال : وقد تكلموا في الذي جرى بين الصحابة : « تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبت ، ولا تسألون عما كانوا يعملون » (٤٠٤) (البقرة : ١٣٤) .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المسلمون على هدايتهم ودرايتهم اذ كل أمة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم علماءؤها شرارها ، الا المسلمين ، فان علماءهم خيارهم . فانهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أمته . والمحيون لما مات من سنته . فبهم قام الكتاب ، وبه قاموا . وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا . وكلهم متفقون اتفاقاً يقيناً على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . ولكن اذا وجد لواحد منهم قول جاء حديث صحيح بخلافه ، فلا بد له في تركه من عذر ، وجماع الاعذار ثلاثة أصناف (١) ، أحدها : عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله . والثاني : عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول . والثالث : اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ فلهم الفضل علينا ، والمنة بالسبق ، وتبليغ ما أرسل به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلينا ، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا ، فرضى الله عنهم ، وأرضاهم . (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا انك رؤوف رحيم) الحشر : ١٠ . [٢]

(٥٠٤) وسئل الامام ابن تيمية رحمه الله عما شجر بين الصحابة : على ، ومعاوية ، وطلحة ، وعائشة هل يطالبون به أم لا ؟ فأجاب : قد ثبت بالنصوص الصحيحة أن عثمان وعلياً وطلحة والزبير وعائشة من أهل الجنة . بل قد ثبت في الصحيح : أنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة .

وأبو موسى الأشعري ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، هم من الصحابة ، ولهم فضائل ومحاسن . وما يحكى عنهم كثير منه كذب . والصدق منه كانوا فيسه مجتهدين . فالمجتهد اذا اصاب فله اجران ، وان أخطأ فله اجر ، وخطؤه يفر له . وان قدر أن لهم ذنباً ، فالذنوب لا توجب دخول النار مطلقاً ، الا اذا انتفت الأسباب المانعة من ذلك وهي عشرة . منها : التوبة ، ومنها الاستغفار ، ومنها الحسنات الماحية ، ومنها المصائب المكفرة ، ومنها شفاعة النبي صلى الله

(١) ومن أراد الوقوف على مزيد من المعرفة فليقرأ الكتاب الفد « رقم الملام عن الأئمة الاعلام » لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله [س] .

عليه وآله وسلم ، ومنها شفاعته غيره ، ومنها دعاء المؤمنين ، ومنها ما يهدي للميت من الثواب والصدقة والعق ، ومنها فتنة القبر ، ومنها أهوال القيامة .

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « خير القرون القرن الذي بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .
وحينئذ فمن جزم في واحد من هؤلاء بأن له ذنباً يدخل به النار قطعاً ، فهو كاذب مفتر ، فانه لو قال : لا علم له به ، لكان معطلاً ، فكيف اذا قال : ما دلت الدلائل الكثيرة على نقيضه ؟ فمن تكلم فيما شجر بينهم - وقد نهى الله عنه : من ذمهم أو التعصب لبعضهم بالباطل ، فهو ظالم معتد .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين ، تصلهم أولى الطائفتين بالحق »
وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال عن الحسن : « ان ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

وفي الصحيحين عن عمار : أنه قال : تقتله الفئة الباغية . وقد قال تعالى : (وان طائفتان من المؤمنين اقاتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفىء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل ، واقسطوا ان الله يحب المقسطين) .

فشئت بالكتاب والسنة واجماع السلف على أنهم مؤمنون مسلمون ، وان على بن ابي طالب والذين معه كانوا أولى بالحق من الطائفة المقابلة له ، والله أعلم . (الفتاوى ٤ / ٤٣٢ - ٤٣٣) .

وما أحسن ما قاله الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : « .. انى لست من حربهم في شيء : يعنى ان ما تنازع فيه على واخوانه لا ادخل بينهم فيه ، لما بينهم من الاجتهاد والتاويل الذى هم أعلم به منى . وليس ذلك من مسائل العلم التى تعنينى حتى أعرف حقيقة حال كل واحد منهم . وأنا مأمور بالاستغفار لهم ، وان يكون قلبى لهم سليماً ، ومأمور بمحبتهم وموالاتهم ، ولهم من السوابق والفضائل ما لا يهدر » . [م]

ملاحق (*)

أضفنا الى مباحث هذا الكتاب الملاحق التالية زيادة في الايضاح واتماما
للفائدة :

- ١ -

قد اطلق جلال الدين السيوطى فى كتابه : « تاريخ الخلفاء » اسم الدولة
الخبیثة على الفاطميين ، فقال : ولم أورد أحداً من الخلفاء المبيدين ، لأن
امامتهم غير صحيحة لأمور :

منها : أنهم غير قرشيين ، وإنما سمّتهم بالفاطميين جهلة العوام ، والا
فجدهم مجوسى . قال القاضى عبد الجبار البصرى : اسم جد الخلفاء المصريين
سعيد ، وكان أبوه يهودياً حداداً نشابة . وقال القاضى أبو بكر الباقلانى :
القذاح جد عبيد الله الذى يسمى بالمهدى كان مجوسياً ، ودخل عبيد الله
المغرب ، وادعى أنه ينسب الى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، ولم
يعرفه أحد من علماء النسب ! وسمّاهم جهلة الناس الفاطميين . وقال
ابن خلكان : أكثر أهل العلم لا يصحّون نسب المهدى عبيد الله جد خلفاء
مصر ، حتى أن العزيز بالله ابن المعز فى أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة ،
فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات :

انا سمعنا نسباً منكراً	يتلى على المنبر الجامع
ان كنت فيما تدعى صادقاً	فاذكر ابا بعد الأب السابع
وان ترد تحقيق ما قلتـه	فانـسب لنا نفسك كالطائع
او لا دع الأنساب مستورة	وادخل بنا فى النسب الواسع
وان أنساب بنى هاشم	يفصر عنها طمع الطامع !

وكتب العزيز الى الأموى صاحب الأندلس كتاباً سبه فيه ، وهجاه ، فكتب
اليه الأموى : « أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجناك » - يعنى
أنه دعى لا نعرف قبيلته ، وما أحسن ما قال حفيده المعز صاحب القاهرة :
وقد سأله ابن طباطبا عن نسبهم ، فجذب نصف سيفه من الفمـد وقال : هذا
نسبى ، ونثر على الأمراء والحاضرين الذهب وقال : هذا حسبى .

(*) أضافها الأستاذ محمود مهدى الاستانبولى - حفظه الله .

ومنها : ان اكثرهم زنادقة خارجون عن الاسلام ، ومنهم من اظهر سبب
الانبياء ، ومنهم من اباح الخمر ، ومنهم من امر بالسجود له ! والخير منهم
رافض خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة رضى الله تعالى عنهم . ومثل هؤلاء
لا تنفع لهم بيعة ، ولا تصح لهم امامة .

قال القاضي ابو بكر الباقلاني : كان المهدي عبيد الله باطنياً خبيثاً حريصاً
على ازالة ملة الاسلام ، اعدم العلماء والفقهاء ليتمكن من اغواء الخلق ، وجاء
اولاده على اسلوبه : اباحوا الخمر والفروج ، واشاعوا الرفض .

وقال الذهبي : كان القائم بن المهدي شراً من ابيه زنديقاً ملعوناً اظهر
سبب الانبياء ، وقال : وكان العبيديون شراً من التتار على ملة الاسلام !
وقال ابو الحسن القاسبي : ان الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء
والعباد اربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضي عن الصحابة ، فاختاروا
الموت .

قال القاضي عياض : سئل ابو محمد القيرواني الكيزاني من علماء المالكية
عن اكرهه بنو عبيد - يعنى مصر - على الدخول في دعوتهم او يقتل ؟
قال : يختار القتل ! ولا يعذر أحد في هذا الأمر ، .. لأن المقام في موضع
يطلب من اهله تعطيل الشرائع وهو لا يجوز .

وقال ابن خلكان : وقد كانوا يدعون علم المقيبات ، واخبارهم في ذلك
مشهورة ، حتى ان العزيز صعد يوماً المنبر ، فرأى ورقة فيها مكتوب :

ان كنت اعطيت علم غيب بين لنا كاتب البطاقة !!
بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحماسة

وكتبت اليه امراة قصة فيها : بالذي اعز اليهود بميشا ، والنصارى
بابن نسطور ، واذل المسلمين بك ، الا نظرت في امرى . وكان ميشا اليهودي
عاملاً بالشام ، وابن نسطور النصراني بدمشق .
ومنها : ان مبايعتهم صدرت والامام العباسي قائم موجود سابق البيعة ،
فلا تصح ، اذ لا تصح البيعة لامامين في وقت واحد ، والصحيح المتقدم
(تاويخ الخلفاء ص ٤ - ٦ باختصار) .

وقد بنى العبيديون الجامع الأزهر لينشروا فيه ما يسمى بمذهب الرفض ،
وكانوا يجبرون المسلمين على اعتناقه ولما قضى السلطان صلاح الدين رحمه الله
تعالى ورضي عنه على ملكهم ابطال ذلك وقرز بدلا منه المذهب الشافعي .

لما كان غرضنا من نشر كتابه « العواصم من القواصم » الدفاع عن الصحابة
رضوان الله عليهم وتبرئتهم مما نسب اليه المفسدون والمضللون ، رأينا أن نقل
موجز البحث التالي للاستاذ محب الدين الخطيب وهو بعنوان : « حملة رسالة

الاسلام الأولون ، وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق والخير ، وكيف شوهه المفرضون جمال سيرتهم » وكل ذلك اتماماً لبحث هذا الكتاب :
... قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدأ الاسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء » رواه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه وقد سئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الغرباء فقال : الذين يحيون ما مات الناس من سنتي .

ومن غربة الاسلام بعد البطون الثلاثة الأولى ، وهي القرون التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية في قوله : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » قال عمران بن حصين : فلا أدري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثاً .

وتحديد ذلك الى نهاية الدولة الاموية ، وقد يلتحق به زمن الخلفاء الاولين من بني العباس .

اجل ومن غربة الاسلام ، ظهور مؤلفين شوهوا التاريخ تقريباً للشيطان او الحكام ، فزعموا أن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكونوا اخواناً في الله ، ولم يكونوا رحماء بينهم ، وانما كانوا اعداء يلعن بعضهم بعضاً ، ويمكر بعضهم ببعض ، وينافق بعضهم لبعض ، ويتآمر بعضهم على بعض ، بغياً وعدواناً .

لقد كذبوا (ﷺ) ، وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلى اسمى من ذلك وأنبل . وكانت بنو هاشم وبنو امية اوفى من ذلك لاسلامهما ورحمهما وقرباهما ، واثق صلة واعظم تعاوناً على الحق والخير .

حدثني بعض الذين لقيتهم في ثغر البصرة لما كنت معتقلاً في سجن الانكليز سنة ١٣٣٢ هـ أن رجلاً من العرب يعرفونه ، كان ينتقل بين بعض قرى ايران فقتله القرويون لما علموا أن اسمه (عمر) قلت : واى باس يروونه باسم (عمر) ؟ قالوا حباً بأمر المؤمنين على : قلت : وكيف يكونون من شيعة على ، وهم يجهلون أن علياً سمي ابتداءً — بعد الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية — باسماء اصدقائه واخوانه في الله (أبي بكر) و (عمر) و (عثمان) رضوان الله تعالى عليهم جميعاً . وأم كلثوم الكبرى بنت علي بن أبي طالب كانت زوجة لعمر ابن الخطاب ، ولدت له زيدا ورقية . . وعبد الله بن جعفر ذي الجناحين ابن أبي طالب سمي أحد بنيه باسم (أبي بكر) وسمى أبناً آخر له باسم (معاوية) ، ومعاوية هذا — اى ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب سمي أحد

(ﷺ) من اعظم الأدلة على كذبهم ثناء الله سبحانه في القرآن على الصحابة في آيات كثيرة — ذكر بعضها في اول هذا الكتاب — وقد قال تعالى في وصفهم : « أشدء على الكفار رحماء بينهم » (الفتح : ٢٩) ، (كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمران : ١١٠ .

بنيه باسم : (يزيد) . وعمر بن علي بن أبي طالب كان من نسله عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب سمي أحد بنيه (أبا بكر) وآخر باسم (عمر) وثالثاً باسم (طلحة) . وزين العابدين علي بن الحسين سمي أحد أولاده باسم أمير المؤمنين (عمر) تيمناً وتبركاً ..

فهل يعقل أن هؤلاء الأقارب المتلاحمين الذين يتخرون مثل هذه الامهات لأنسألهم ، ومثل هذه الاسماء لفلذات اكبادهم ، كانوا على غير ما اراده الله - تعالى - لهم من الأخوة في الاسلام والمحبة في الله ، والتعاون على البر والتقوى (❖) !!

لقد تواتر عن أمير المؤمنين على رضي الله عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة : « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر » روى المحدثون والمؤرخون هذا عنه من أكثر من ثمانين وجهاً . ورواه البخاري وغيره . وكان على رضي الله عنه يقول : « لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر الا ضربته حد المفترى .. » ولهذا كان الشيعة المتقدمون متفقين على تفضيل أبي بكر وعمر . نقسـل عبد الجبار الهمداني في كتاب : (تثبيت النوبة) أن أبا القاسم نصر بن الصباح البلخي قال في (كتاب النقض على ابن الرواندي) : سأل شريك بن عبد الله فقال له : أيهما أفضل : أبو بكر أو علي ؟ فقال له : أبو بكر . فقال السائل : تقول هذا وانت شيعي ؟! فقال له : « نعم : من لم يقل هذا فليس شيعياً !! والله لقد رقى هذه الأعواد على فقال : « ألا ان خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، فكيف نرد قوله ، وكيف نكذبه ؟ والله ما كان كذاباً » ..

وان خطبة أمير المؤمنين على بن أبي طالب في نعت صديقه وامامه خليفة رسول الله أبا بكر يوم وفاته ، من بيغ ما كان يستطهره الناس في الأجيال الماضية . وفي خلافة عمر دخل على في بيعته ايضاً ، وكان من اعظم أعوانه على الحق . وكان يذكره بالخير ويثنى عليه في كل مناسبة ، وقد علمت انه بعد اخيه وصهره عمر سمي ولدين من أولاده باسميهما ، ثم سمي ثالثاً باسم عثمان لعظيم مكانته عنده ، ولأنه كان امامه ما عاش . ا . هـ . باختصار .

- ٣ -

ان كتاب « نهج البلاغة » هو من الكتب المعتمدة عند الشيعة ، وينسبونه الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والحقيقة أن بعضه له ، والاكثر من وضع الرضى والمرضى الشيعيين ، وفيه من الدس والافتراء الشيء الكثير . وقد

(❖) من الرافضة من ينكر كل ذلك ، ومنهم من لا يستطيع انكارها ، لان التاريخ يلقيه حجراً بل حجارة ، فيروح ويزعم ان آل البيت أمثال علي والحسن وزين العابدين انما فعلوا ذلك تقية . وهم بذلك يطعنون بشجاعتهم وبطولتهم واخلاصهم ، كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذباً ! .

راينا أن ننقل عن هذا الكتاب بعض شهادات على في الثناء على أبى بكر وعمر وغيرهم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، كما راينا أن ننقل ايضا عن بعض كتب الشيعة المعتبرة لديهم شهادات أخرى لبعض آل البيت المتقدمين في الصالحين ، مع بعض التعليقات من كتاب التحفة الاثنى عشرية للشهيد عبد العزيز الدهلوى مما يلزم أعداء الصحابة حجراً ويخرسهم الى الابد !

١ - جاء في نهج البلاغة : ان عمر بن الخطاب لما استشار عليا رضى الله تعالى عنهما عند انطلاقه لقتال فارس ، وقد جمعوا للقتال فرفض على ذهاب الخليفة عمر نفسه للاشتراك في هذا القتال خوفاً على حياته وقال له : « ان هذا الأمر لم يكن نصرد ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، وهو دين الله تعالى الذى أظهره ، وجنده الذى أعدده وأمدده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيثما طلع ، ونحن على وعد من الله تعالى حيث قال عز اسمه ، (وعد الله الذين آمنوا) وتلا الآية ، والله تعالى منجز وعده وناصر جنده . ومكان القيم بالأمر في الاسلام ، مكان النظام من الخرز ، فان انقطع النظام تفرق الخرز ، ورب متفرق لم يجتمع . والعرب اليوم ، وإن كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسلام عزيزون بالاجتماع ، فكن قطباً واستدر الرحى بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب ، فانك ان شخصت من هذه الارض انتفضت عليك العرب من اطرافها وأقطارها . ان المعجم ان ينظروا اليك غداً يقولوا : هذا اصل العرب ، فاذا قطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك . ا . ه . باختصار فتدبر - ايها القارئ - منصفاً فقد ارتفع الأشكال واتضح الحال ، والحمد لله رب العالمين .

٢ - وجاء في نهج البلاغة أيضاً عن على بن أبى طالب رضى الله عنه : « لله بلاد أبى بكر لقد قوم الأود ، وداوى العلل ، وأقام السنة ، وخلف البدعة ، وذهب نقى الثوب ، قليل العيب ، أصاب خيرها واتقى شرها ، أدى لله طاعة واتقاه بحقه » . .

جاء في كتاب التحفة الاثنى عشرية : وقد حذف الشريف الرضى صاحب « نهج البلاغة » حفظاً لمذهبه . لفظ « أبى بكر » وأثبت بدله : « فلان » وتأبى الأوصاف الا أبى بكر . ولهذا الإيهام اختلف الشراح ، فقال البعض هو أبو بكر ، وبعض هو عمر ، ورجح الأكثر الأول ، وهو الأظهر . . .

٣ - ان أمير المؤمنين على رضى الله عنه قد مدح الشيخين - أبى بكر وعمر - ودعا لهما حسبما ثبت عند الفريقين . وقد نقل شراح نهج البلاغة كتاب الأمير الى معاوية . وقد قال فيه بعد ما ذكر أبى بكر وعمر : « لعمرى ان مكانهما لعظيم ، وان المصاب بهما لجرح في الاسلام شديد رحمهما الله تعالى وجزاهما بأحسن ما عملا » .

قال صاحب التحفة الاثنى عشرية تعليقاً على هذا الكلام : فكيف يتصور صدور مثل ذلك عن المعصوم - بنظر الشيعة - لو كانا غاصبين ظالمين ؟! مماذ

الله من ذلك ، ونسأله سبحانه العصمة عما يعتقد أولئك .

٤ - وأورد المرتضى في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين على من كتابه الذي كتبه الى معاوية وهو : أما بعد فإن بيعتي - يا معاوية - لزمك ، وأنت بالشام ، فانه بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، على ما بايعوهم عليه . فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للنائب أن يرد . وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه اماماً كان ذلك لله رضا !! فان خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردوه الى ما خرج منه ، فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ..

٥ - وجاء في الصحيفة الكاملة للسجاد من الدعاء للصحابة ومدح متابعتهم ، ولا احتمال للتقية في الخلوات ، وبين يدي رب البريات ونصه : « اللهم وأوصل الى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون : (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) خير جزائك ، الذين قصدوا سمتهم ، وتحرروا وجهتهم ، ومضوا في قفو أثرهم ، والائتمام بهداية منارهم ، يديتون بدينهم على شاكلهم ، ولم يتهم ريب في قصدهم ، ولم يختلج شك في صدورهم » الى آخر ما قال .

٦ - وأورد الكليني في « الكافي » وهو من كتب الشيعة كالبخارى عند السنيين في باب السبق الى الايمان بروايات أبي عمرو الزبيرى عن أبي عبد الله انه قال : قلت له ان للايمان درجات ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند الله . قال نعم . قلت صفه لى رحمك الله حتى أفهمه . قال : ان الله سبق بين المؤمنين كما يستبق الخيل يوم الرهان ، ثم فضلهم على درجاتهم في السبق اليه ، فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه ، لا ينقصه فيها من حقه ، ولا يتقدم مسبوق ، ولا مفضول فاضلا ، تتفاضل بذلك أوائل الأمة وأواخرها .

هذه بعض الأدلة على سمو ايمان الصحابة وفضلهم بصورة عامة وفضل أبي بكر وعمر بصورة خاصة نقلناها من مصادر شيعية موثوقة لديهم ، غير أن بعض علمائهم - ويا للأسف - يؤولونها بتأويلات تبعث على التقزير والتقبيح مما لا يقول به عاقل فضلا عن عالم ، ليزيدوا اتباعهم ضلالا فوق ضلالهم فنعوذ بالله من الكفر والعناد !

- ٤ -

كما ذكرنا فيما سبق صفحة ١٦٣ صحة حديث الحواب بإيجاز ونظراً لأهمية الموضوع نزيده ايضاحاً فيما يلي نقلا عن كتاب الأحاديث الصحيحة لشيخنا محدث الديار الشامية ناصر الدين الألبانى (٤٧٤/٥) بشئ من الاختصار ، وهو فى كلامه يرد على الاستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى :

... ونحن وان كنا نوافقه على انكار ثبوت تلك الشهادة (يريد ما زعمته

الرافضة من دعوى شهادة الزور وطلحة أنه ليس هذا ماء الحوالب ، وخمسون رجلا اليهم ، وكانت أول شهادة زور دارت في الاسلام) فانه مما صان الله تبارك وتعالى أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم منها لاسيما من كان منهم من العشرة المبشرين بالجنة . . فاننا لننكر عليه قوله : « ولا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الحديث » كيف وهو قد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم بالسند الصحيح في عدة مصادر من كتب السنة المعروفة عند أهل العلم !!

ثم قال الشيخ ، بعدما ذكر خطأ تضعيف الحديث المذكور :

بيد أن هذا مع بعده عن الصواب ، والانحراف عن التحقيق العلمى الصحيح فانه حين بجانب قول صديقنا الاستاذ (سعيد الأفغانى) في تعليقه على قول الحافظ الذهبى المتقدم في « سير النبلاء : وهذا حديث صحيح الاسناد » :

« في النفس من صحة هذا الحديث شيء ، ولأمر ما أهمله أصحاب الصحاح . وفي « معجم البلدان » مادة (حوالب) أن صاحبة الخطاب سلمى بنت مالك الفزارية ، وكانت سبية وهبت لعائشة ، وهى المقصودة بخطاب الرسول الذى زعموه . . . ومن العجيب أن يصرف بعض الناس هذه القصة الى السيدة عائشة ارضاء لبعض الأهواء العصبية » .

وفي هذا الكلام مؤاخذات :

الأولى : يظن الاستاذ الصديق ان اهمال أصحاب (الصحاح) لحديث ما انما هو لعله فيه . وهذا خطأ يبين عند كل من قرأ شيئاً من علم المصطلح ، وتراجع أصحاب (الصحاح) ، فانهم لم يتعمدوا جمع كل ما صح عندهم ، في « صحاحهم » . . .

الثانية : هذا ان كان يعنى « الصحاح » الكتب الستة ، لكن هذا الاطلاق (غير صحيح) لأن السنن الأربعة من الكتب الستة ليست من (الصحاح) لا استصلاًحاً ، ولا واقفاً ، فان فيها احاديث كثيرة ضعيفة ، والترمذى ينبه الى ضعفها في غالب الأحيان .

وان كان يعنى ما هو أعم من ذلك ، فليس بصحيح ، فقد عرفت من تخريجنا المتقدم أن ابن حبان أخرجه في « صحيحه » والحاكم في « المستدرک على الصحيحين » .

الثالثة : وثوقه بما جاء في « معجم البلدان » بدون اسناد ، ومؤلفه ليس من أهل العلم بالحديث ، وعدم وثوقه بمسند الامام أحمد ، وقد ساق الحديث بالسند الصحيح ، ولا بتصحيح الحافظ النقاد الذهبى !!

الرابع : جزمه أن صاحبة الخطاب سلمى بنت مالك بدون حجة ولا برهان سوى الثقة العمياء بمؤلف « معجم البلدان » . .

الخامسة : ان الخبر الذى ذكره ووثق به لا يصح من قبل اسناده بل واه جداً (ولم يقبل به الخطيب نفسه رحمه الله) .

السادسة : قوله : « ارضاء لبعض الأهواء » .

وكانه يشير بذلك الى الشيعة الذين يفيضون السيدة عائشة رضى الله عنها ويفسقونها . . بسبب خروجها يوم الجمل . ولكن من هم الذين أشار اليهم بقوله : « بعض الناس » أهو الامام أحمد . . والذهبي ، أم يحيى بن سعيد القطان شيخ الامام أحمد وهو من الثقات الاثبات ، أم اسماعيل بن أبى خالد وهو مثله كما عرفت ، أم شيخه قيس بن أبى حازم وهو مثله في الثقة والضبط . . .

وللحديث شاهد يزداد به قوة ، وهو من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنسائه :

« ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب (الكثير وبر الوجه) تخرج فينبجها كلاب الحواب ، يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ، ثم تنجو بعدما كادت » رواه البزار ورجاله « ثقات » .

قال الامام الزيلعي في « نصب الراية » (٤ / ٦٩ - ٧٠) وقد أظهرت عائشة الندم كما أخرجه ابن عبد البر في « كتاب الاستيعاب » عن ابن أبى عتيق ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق : قال قالت عائشة لابن عمر : يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيرى ؟ قال : رأيت رجلا غلب عليك - يعنى الزبير - فقالت : اما والله لو نهيتنى ما خرجت . ا هـ . ولهذا الأثر طريق أخرى صححها الذهبي في سير النبلاء (٧٨ - ٧٩) .

مما سبق ندرك صحة حديث الحواب من عدة طرق ومن قبل كبار علماء الحديث ، وقد رأى بعضهم في هذا الحديث تخطئة لمائشة رضى الله عنها فحاول تضعيفه من غير علم ! . .

ونقول بهذه المناسبة ان الله سبحانه نزه علماء السنة عن الكذب سواء كان ذلك من صالح أهل السنة أو ضدهم ، وهم بعكس كثير ممن يسمون بعلماء الرافضة وغيرهم الذين لا تكاد تجد كلمة صدق واحدة عندهم !

ومهما كان من شأن السيدة عائشة رضى الله عنها فانها نفسها شهرة بخطئها كما تقدم معنا ، ولها اجر المجتهد كما جاء في الحديث .

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	مفتاح رموز التحقيق
٦	التقدمة : بقلم الدكتور محمد جميل غازى
	كلمة تعريف بالكتب السلفى لتحقيق التراث ودوره فى
١١	اخراج العواصم من القواصم
١٣	ترجمة القاضى أبى بكر بن العربى « رحمه الله »
٣٠	وصف المخطوطات التى اعتمدنا عليها فى التحقيق
٣٤	صور المخطوطات التى اعتمدنا عليها فى التحقيق
٤٢	تقديم للشيخ محمود مهدى الاستانبولى
٤٥	تصدير للعلامة محب الدين الخطيب « رحمه الله »
	العواصم من القواصم
	جزء فى : تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبى ﷺ
٥٣	مقدمة المؤلف
	قاصمة الظهر
٥٤	وفاة النبى ﷺ ووقعها فى نفوس الصحابة
٥٤	استخفاء على فى بيت فاطمة
٥٥	سكوت عثمان واهجار عمر
٥٨	حوار العباس وعلى فى مرضه ﷺ
٥٨	اضطراب امر الأنصار
٥٩	موقف جيش أسامة

عاصمة

- ٦٠ تدارك الله الاسلام والانام بأبي بكر
٦٠ رباطة جأش أبي بكر ، ووداعه النبي ، وخطبته في المسجد
٦١ موقفه في سقيفة بنى ساعدة

خلافة الصديق واستخلاف عمر

- ٦٤ موقف الصديق من مانع الزكاة
٦٤ تنظيمه للجيش ، واختياره القواد والعمال
٦٥ حديث لا تورث ما تركنا صدقة «
٦٧ حديث لا يدفن نبي الا حيث يموت
٦٨ جعل عمر الامر شورى في اختيار الخليفة بعده

خلافة عثمان ودعاة الفتنة

- ٦٩ سجايا عثمان ومكانته العالية في الاسلام
٧١ حديث « ان عمر شهيد ، وعثمان شهيد ، وله الجنة على بلوى نصيبه »
٧٣ وصف اجمالى لدعاة الفتنة الذين قاموا على عثمان

قاصمة

- ٧٦ المظالم والمناكير التى ادعوها على عثمان

عاصمة

بيان بطلان هذه الدعاوى سنداً ومتناً

- ٧٧ موقف عثمان من عبد الله بن مسعود
٧٨ موقف عثمان من عمار بن ياسر
٨٠ جمع القرآن حسنة عثمان العظمى وخصلته الكبرى
٨١ وقعة اليمامة واستماتة حملة القرآن من الصحابة في تلك المعركة
٨٢ ابن طاوس الشيعى يروى عن على اجماع الصحابة على مصحف عثمان
٨٣ اكبر داعية شيعى يدعى تحريف القرآن ويؤيده الطبرسى

الصفحة	الموضوع
٨٤	عبد الله بن مسعود ومصحفه
٨٤	ما أوخذ به عثمان من حماية الحمى لابل الصدقة
٨٥	ابو ذر ومسيره الى الربرة
٨٨	ما وقع بين ابي الدرداء ومعاوية
٨٩	عثمان وابو الدرداء . رد الحكم . تحقيق ابن تيمية وابن حزم وابن الوزير
٩٠	عثمان واتمامه الصلاة في منى
٩٥	معاوية ومكانته في خلافة ابي بكر وعثمان
٩٧	تولية عثمان عبد الله بن عامر بن كريز
٩٨	تولية عثمان الوليد بن عقبة ، والمامة بنشأة الوليد وجهاده
٩٩	الولاية اجتهاد وعلى ولي اقاربه
١٠٠	كان النبي ﷺ أول من ولي بني امية واستعان بهم
١٠١	عدالة مروان ، وانه من كبار الامة عند الصحابة وفقهاء المسلمين
١٠٢	سقوط كل ما استدلوا به على الوليد في آية (ان جاءكم فاسق بنبأ)
١٠٥	اقامة عمر الحد على صهره قدامة بن مظعون من رجال بدر
١٠٩	أى حرج على المرء أن يولى أخاه أو قريبه
١١١	ما فعله عثمان والذين قبله في خمس الخمس والاقطاع
١١٣	عثمان لم يضرب أحدا بالعصا
١١٣	علو عثمان على منبر رسول الله ﷺ
١١٤	تخلفه بالمدينة عن بدر لتمرير زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ
١١٥	لو لم يكن لعثمان من الشرف الا بيعة الرضوان لكفاه
١١٦	مؤاخذتهم عثمان بأنه لم يقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان
١١٩	تحقيق علمي عن الكتاب المنسوب لعثمان
١٢١	قول على ان الخارجين على عثمان حساد طلاب دنيا
١٢٥	تسيير عثمان مشيرى الفتنة الى معاوية بالشام
١٢٨	قولهم لمعاوية : كم تكثر علينا بالامرة وبقريش

- انتقال مشرى الفتنة الى منطقة عبد الرحمن بن خالد ومعاملته لهم بالحزم ١٣٠
تظاهروهم بالتوبة ١٣٠
مسير فرق الثوار الى المدينة ١٣٢
الثوار يناقشون عثمان ١٣٢
وقائع ومحاورات بين عثمان والبغاة عليه ١٣٦
فتوى ابن عمر لعثمان ألا يخلع نفسه لئلا تتخذ عادة ١٣٧
اشراف عثمان على الناس واستشهاده اياهم بسوابقه ١٣٧ - ١٣٨
موقف عثمان من أمر الدفاع عنه أو الاستسلام للأقدار ١٣٩
عثمان في ساعته الأخيرة ١٤١
الحكم الفقهي في موقف عثمان من الدفاع أو الاستسلام ١٤٣
الذين دافعوا عن عثمان في الساعة الأخيرة خارج الدار ١٤٦

خلافة علي

- قولهم فيبيعة طلحة : يد شلاء ، وفي طلحة والزبير بايعا مكرهين ١٤٨
موقف علي من قتلة عثمان ١٥٠

قاصمة

- اجتماع اصحاب مكة وخروجهم الى البصرة ١٥١
خبر الحوابع ، وثبوت صحة الحديث ١٥٢
خروج علي الى الكوفة ، وما وقع في العراق قبل وصوله ١٥٣

عاصمة

- مجيء اصحاب الجمل الى البصرة لتأليف الكلمة ، وللتوصل بذلك الى
اقامة الحد على قتلة عثمان ١٥٥
الاجتماع في البصرة ١٥٧
كتابة الكتاب بين عثمان بن حنيف واصحاب الجمل بالكف عن القتال ١٥٨
وصول علي الى البصرة ووقوع التفاهم بينه وبين اصحاب الجمل ١٥٩

١٦٣ تحقيق علمي لمسألة الحواب

قاصمة

- ١٦٨ موقف عليّ من قتلة عثمان
 ١٦٦ حرب صفين ، ودعوى الفريقين ، وما اخترع في ذلك من أكاذيب
 ١٧٢ الطائفتان كانتا على حق ، والبغاة على عثمان ليسوا من أحدهما
 ١٧٣ حديث « ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين »

قاصّة التحكيم

- ١٧٥ الصحيح فيها ما رواه الدارقطني وخليفة بن خياط
 ١٧٦ العراقيون جاءوا بأبي موسى من عزلته لأنه كان ناصحاً بالدعوة إلى السلم
 ١٧٧ معاوية لم يكن يومئذ خليفة حتى يخلعه عمرو أو يثبته

عاصمة

- ١٨٠ رواية الدارقطني خبر التحكيم فضحت الأكاذيب المفتراة
 ١٨٢ نصيحة المؤلف للناس بالأدب مع الصحابة

قاصمة

- ١٨٣ احتجاج الشيعة بحديث « خم » ودعاء « وال من والاه »
 افتراء الشيعة على أبي بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأهل
 ١٨٤ الشام
 ١٨٧ الصحابة كلهم كفرة عند الشيعة
 ١٨٩ تكفيرهم كل عاص بكبيرة
 ١٨٩ لماذا عزمنا على نشر الكتاب بهذا التحقيق
 ١٩٠ طعن الشيعة في الصحابة

عاصمة

يكفيك من شر سماعه

- مقارنة موقفهم من الصحابة بموقف النصارى واليهود من أصحاب موسى
 ١٩٢ وعيسى
 ٢٠٩بيعة الحسن وصلحه مع معاوية
 ٢١٠مزايا معاوية وسيرته الممتازة
 ٢١٤سرور النبي ﷺ برؤيا حروب معاوية
 ٢١٤تحقيق علمي : هل المنفعة معناها ضعف الحديث
 ٢١٨انقصاد البيعة لمعاوية على الوجه الذي وعد به رسول الله
 ٢١٨كلام العلماء في امامة المفضل مع وجود الفاضل
 ٢١٩حجر بن عدى والاسباب التي حملت معاوية على قتله
 ٢٢٠خير الناس بعده ﷺ أبو بكر ثم عثمان ثم علي ثم معاوية خال المؤمنين
 ٢٢١فساد ما تقول الشيعة في وفاة الحسن
 ٢٢١أهلية يزيد للولاية
 ٢٢٣نقد اخبار ملفقة على وهب بن جرير في تمهيد معاوية لولاية يزيد تحذير
 ونصيحة من المؤلف للمسلمين من الدخول في دماء الصحابة
 ٢٣١وأعراضهم بسوء
 ٢٣٣الليث بن سعد يسمى يزيد أمير المؤمنين
 ٢٣٨ضراعات كبار الصحابة والمفكرين للحسين بلزوم رجوعه
 ٢٤٠حزن يزيد لاستشهاد الحسين ومعاملته لاهل بيته
 ٢٤١طعن آل البيت بالشيعة
 ٢٤٢هل يزيد مسؤول عن مقتل الحسين
 ٢٤٢تكملة
 ٢٤٨النبي صلى الله عليه وسلم اول من عقد الولاية لبنى أمية
 ٢٤٨استلحاق معاوية لزيداد
 ٢٤٩ما روى من اعتراف أبي سفيان لعلي بن أبي طالب بأبوته لزيداد

تكنسة

- للولايات والعزلات معان وحقائق لا يعرفها كثير من الناس ٢٥٥
تسمية الذين شهدوا بأبوة أبى سفيان لزياد ٢٥٦
كانت الجاهلية مبنية على العصبية ، وافتراق المسلمين بعد وفاة النبي ٢٥٧
ظهور الأحزاب البكرية والعمرية والعلوية والعباسية ٢٥٨

عاصمة

- تحذير المسلمين من أهواء المفسرين والمؤرخين الجهلة منهم وكذا أهل الآداب ٢٦٠
ابن قتيبة برىء من كتاب « الامامة والسياسة » ٢٦١
تشيع المسعودى ، وميل المبرد للخوارج ٢٦٢
تحقيقات علمية هامة من كتاب شرح العقيدة الطحاوية
وفتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٢٦٨ - ٢٧٠

ملاحق

- الفاطميين ليسوا بخلفاء لأنهم مجوس وأكثرهم زنادقة ٢٧١
بحث موجز للشيخ محب الدين الخطيب فى شأن الصحابة
كتاب نهج البلاغة ليس كله لعلى بن أبى طالب ، وأبحاث ٢٧٢
هامة منه ٢٧٤
تفصيل فى تصحيح حديث الحوآب ٢٧٦
الفهرس ٢٨١ - ٢٨٥
المراجع ٢٨٦ - ٢٨٨

المراجع

- ١ - آراء أبى بكر ابن العربى - الكلامية - للدكتور عمار طابى - طبع الجزائر
- ١ - الاصابة فى تمييز الصحابة - للحافظ ابن حجر المسقلانى [٨٥٢ هـ] وبهامشها الاستيعاب لابن عبد البر .
- ٢ - الاحكام السلطانية - للماوردى [٤٥٠ هـ]
- ٣ - الاحكام فى اصول الاحكام - لابن حزم الظاهرى [٤٥٧ هـ]
- ٤ - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - للعلىمى [٥٩٢٧ هـ]
- ٥ - انساب الاشراف - للبلاذرى [٢٧٩ هـ]
- ٦ - البيان والتبيين - للجاحظ [٢٥٥ هـ]
- ٧ - البداية والنهاية - لابن كثير [٧٧٤ هـ]
- ٨ - تاريخ الطبرى - لآبى جعفر ابن جرير الطبرى [٣١٠ هـ]
- ٩ - تفسير الطبرى - جامع البيان [٣١٠ هـ]
- ١٠ - التمهيد لآبى بكر الباقلانى [٤٠٣ هـ]
- ١١ - تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر [٥٧١ هـ]
- ١٢ - تذكرة الحفاظ - للدهبى - طبعة الهند ١٣٣١ هـ
- ١٣ - التمهيد والبيان فى مقتل عثمان - لابن بكر الاشعري [٧٤١ هـ] - مخطوط .
- ١٤ - تهذيب التهذيب - لابن حجر المسقلانى [٨٥٢ هـ]
- ١٥ - تاج العروس - للمرطفى الحسينى [١٢٠٥ هـ]
- ١٦ - تنقيح المقال - للمامقانى [١٣٥١ هـ]
- ١٧ - تاريخ القرآن والمصاحف - للزنجانى - طبعة مصر سنة ١٣٥٤ هـ
- ١٨ - جامع الترمذى [السنن] - لآبى عيسى الترمذى [٢٧٩ هـ]
- ١٩ - خلاصة تهذيب الكمال - للخزرجى [٩٢٢ هـ]

- ٢٠ - ديوان ذى الرمة [١١٧ هـ]
- ٢١ - ديوان الحطيئة [٢٧٥ هـ]
- ٢٢ - الديباج المذهب - لابن فرحون [٧٩٩ هـ]
- ٢٣ - الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم - لابن الوزير [٨٤٠ هـ]
- ٢٤ - سنن أبى داود - [٢٧٥ هـ]
- ٢٥ - سنن النسائي - [٢٠٣ هـ]
- ٢٦ - سنن ابن ماجه [٢٧٣ هـ]
- ٢٧ - سلسلة الاحاديث الصحيحة - للألبانى
- ٢٨ - سلسلة الاحاديث الضعيفة - للألبانى
- ٢٩ - السنن الكبرى - للبيهقى [٤٥٨ هـ]
- ٣٠ - شذرات الذهب - لابن العماء [١٠٨٩ هـ]
- ٣١ - شجرة النور الزكية - لمخوف . طبع السلفية بمصر
- ٣٢ - صحيح البخارى [٢٥٦ هـ]
- ٣٣ - صحيح مسلم [٢٦١ هـ]
- ٣٤ - طبقات ابن سعد [٢٣٠ هـ]
- ٣٥ - طبقات الشافعية للسبكي [٧٧١ هـ]
- ٣٦ - العبر - لابن خلدون [٨٠٦ هـ]
- ٣٧ - عثمان بن عفان - صادق عرجون [طبعة مصر ١٣٦٦ هـ]
- ٣٨ - فتوح البلدان . للبلاذرى [٢٧٩ هـ]
- ٣٩ - فتح البارى - لابن حجر العسقلانى [٨٥٢ هـ]
- فهرست ما رواه عن شيخه ابن خير الاشبيلي . [٥٧٥ هـ] .
- ٤٠ - فصل الخطاب للطبرسى . طبعة ايران [١٢٩٨ هـ] .
- ٤١ - الفصل فى الملل والنحل - لابن حزم [٤٥٧ هـ]
- ٤٢ - كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف [١٨٢ هـ]
- ٤٣ - كتاب الزهد - للامام أحمد بن حنبل [٢٤١ هـ]

- ٤٤ - كتاب العزلة - للخطابي [٣٨٨ هـ]
- ٤٥ - الكفاية - للخطيب البغدادي [٤٦٣ هـ]
- ٤٦ - لسان العرب - لابن منظور [٧١١ هـ]
- ٤٧ - لسان الميزان لابن حجر العسقلاني [٨٥٢ هـ]
- ٤٨ - موطأ مالك [١٧٩ هـ]
- منهاج السنة - لابن تيمية [٧٢٨ هـ]
- ٤٩ - مسند الامام احمد [٢٤١ هـ]
- ٥٠ - المسير والقداح - لابن قتيبة [٢٧٦ هـ]
- ٥١ - المنتقى من احاديث الاحكام - للمجد ابن تيمية [٦٥٢ هـ]
مشكاة المصابيح - بتحقيق الالباني
- ٥٢ - المنتقى من منهاج الاعتدال - لابن تيمية - والذهبي اختصره [٧٤٨ هـ]
- ٥٣ - مجموع فتاوى ابن تيمية . جمع ابن قاسم - ٣٧ مجلد
- ٥٤ - معجم البلدان - لياقوت [٦٢٦ هـ]
- ٥٥ - نسب قريش - للزبيرى [٢٣٦ هـ]
- ٥٦ - النهاية في غريب الحديث - لابن الاثير [٦٠٦ هـ]
- ٥٧ - وفيات الاعيان - لابن خلكان [٦٨١ هـ]

ايداع رقم ٨٨/٢٧٢٤